

تَايِيحُ طَرَابِلُسِ الْغَرَبِ

الْمُسَمَّى التَّنْكَارَ

فِيمَنْ بَلَكَ طَرَابِلُسُ وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ الْأَخْبَارِ

وهو شرح لأبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي

على قصيدة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي

نقل عن نسخة في الخزانة التيمورية

عني بشره وتصحيحه والتعليق عا

الطَّاهِرُ أَحْمَدُ الْبَرْزَوِيُّ
الطَّرَابِلُسِيُّ

الطَّاهِرَةُ سَنَةِ ١٣٤٩

يطلب من

الطَّاهِرَةُ الْبَرْزَوِيُّ وَمَكْتَبَتُهَا

﴿ حقوق الطبع محفوظة للناسر ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بتاريخ ابن غلبون

هو تآليف الاستاذ العلامة أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي

جمع فيه المؤلف ما يتعلق بطرابلس من أخبار وما تعاقبت عليها من دول اسلامية وغيرها ، وما وقع فيها من ثورات وحروب منذ الفتح الاسلامي الى أواسط حكم احمد باشا القره مانلي

وهو شرح لقصيدة الاستاذ الفاضل الأديب الشيخ احمد بن عبد الدائم الانصاري الطرابلسي التي أنشأها مدحا لطرابلس ورداً على من ذمها

وقد مر على هذا الكتاب ما يقارب مائتي سنة وهو في مهملات الكتب لا يعرفه الا من له دراية بأسماء الكتب والمشتغلين بها . وقد اتبعت لي فرصة التعرف بالاستاذ الجليل العلامة صاحب السعادة احمد تيمور باشا سنة ١٣٤٨ وكان ممن له عناية إتمامه بالعلم وجمع الكتب الاسلامية . فسألته - رحمه الله - هل يوجد عندكم كتاب تاريخ لطرابلس الغرب ؟ فأجابني - على الفور - بأنه يوجد لديه « تاريخ ابن غلبون » فاستعرت منه على أن أطلع عليه ، ثم بدا لي أن استفسر عن فاستأذنته فأذن لي ، جزاء الله عن العلم والمسلمين خيراً

وكانت نسخته مأخوذة بالتصوير الشمسي (الفوتوغرافية) عن نسخة في خزانة باريس سنة ١٣٤٤ . وهي مكتوبة بخط مغربي جميل . ولكنها كثيرة

التحريف ، ولا أدري ان كان هذا من تعاقب أيدي النساخ عليها فمسخوها ، أو أنها مسودة المؤلف وتناولتها الايدي قبل أن تبيض .

ولم نجد نسخة أخرى غير نسخة تيمور باشا نستعين بها على تصحيح كتابنا هذا فاستعنت بتاريخ ابن خلدون وغيره في تصحيح بعض كلمات وتواريخ ، واقتصرت على تغيير بعض الكلمات ، أو تقديمها بعضها على بعض - وهذا قليل جداً ، وزيادة كلمة أو كلمتين مما لا يغير المعنى . وتركت كثيراً من الكلمات كما هي خوفاً من الوقوع فيما لم يردده المؤلف ، وقد نبهت على أكثر ما أصلحته أو كان غير مفهوم ، ووضعت الزيادة بين هاتين العلامتين [] وقد فاتني شيء مما ينبغي التنبيه عليه ، وأرجو أن يكون غير ذي بال ، أو مما يعفو القراء عن مثله

وقد كان الاصل متصلاً ببعضه ببعض من أوله الى آخره ، فعنونت حوادثه ووضعت فيه فواصل عند انتهاء كل جملة ، وأوائل سطور عند ابتداء الكلام لتميز المعاني وتقريبها الى ذهن القارىء . وأرجو أن أكون وفقت الى القيام ببعض الواجب بطبع تاريخ ابن خلبون . ليطلع أبناء وطنى على ما لسلفهم من الاهتمام بشأن الوطن وتدوين حوادثه ، وليكون باعثاً لهم على الاقتداء بهم في نشاطهم وجدهم . وقد وجدوا في زمن لم يهيا لهم فيه من أسباب العلم وطلبه ما هبى لنا اليوم ، ومع ذلك فقد ذهبوا في فنونه كل مذهب وقطعوا فيه شوطاً قعدنا نحن دونه رغم ما هبى لنا من الاسباب والوسائل

وقد كان للتاريخ أثره في كل الأمم قديماً وحديثاً ، وتبارى في مضماره العلماء وجهاً بوجه الاخبار ، وخصصوا له الكثير من اوقاتهم حتى صار الوصول فيه الى حد مقياس الباحث بين الباحثين ، وميزانا توزن به أعمال الرجال في الهيئة الاجتماعية ، ذلك لان التاريخ مرآة الامم ، ترى فيه صورتها على ما كانت

عليه في كل طور من أطوار حياتها
فالامة التي لم يكن لها تاريخ يدون فيه ما لها في بطون الايام من حوادث
وما أتته من أعمال في حياتها فهي ميتة الذكر لا يقام لها وزن ، وليس لها بين
أمم الارض من قيمة الا ما لتلك الفرق الضاربة في مجاهل الارض من بني الانسان
والتاريخ نوع من الدفاع عن الوطن ، فكما أن الانسان يدافع عن وطنه
بسيفه وماله فكذلك يدافع عنه بتقييد حوادثه وبيان ما وقع فيه من وقائع تعلي
من شأنه وتظهره أمام الناس بمظهر العظمة والكمال . وهذا ما حدا بالاستاذ ابن
غلبون الى تأليف كتابه هذا فانه لما رأى العبدري ذم طرابلس في رحلته ورد
عليه الاستاذ احمد الانصاري بقصيدة رأى أن يشرح هذه القصيدة ليظهر
ما لطرابلس من محاسن وما لها من وقائع تعلى قدرها وترفع شأنها
هذا وأسأل الله أن يوفق من مواطني من يكل هذا البناء الذي وضع أساسه
الاستاذ ابن غلبون ليكون لبلادنا - طرابلس الغرب - تاريخ كامل يرجع اليه لدى
البحث عن فضائلها وما أتته من أعمال مجيدة



ترجمة المؤلف

هو الاستاذ الفاضل العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي المصراقي كان رحمه الله تعالى محباً للعلم مشاركاً فيه ، له قدم راسخة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وله وقفات مشرفة في انكار المنكر بماله وبجأه . فقد أذن عامل مصراته في زمانه بتقطير الحجر من النخل ، فعارضه الاستاذ في ذلك وعظه قائلاً له : إن هذا لا يسمعكم في دين الله ، فأعرض العامل ونأى بجانبه ، فذهب الاستاذ الى ملتزمي بيع الحجر وأعطاهم ما دفعوا من مال وكفوا عن بيعه . ولم يكتف بهذا بل ذهب الى الوالي أحمد باشا لقره مائلي ورجاه في عدم الاذن ببيع الحجر فقبل رجاءه لما له من المكانة عنده ، وعزل عامل مصراته وكان ينكر على أرباب الطرق أعمالهم المخالفة وما أحدثوه من تحريف في أسماء الله ويجاهر بذلك وكانت له مناظرة في شأن الطرق مع الشيخ محمد النعاس التاجوري فظهر عليه وأزموه الحجة . ولما سقط في يد الشيخ محمد النعاس التجأ الى طريق الجهل والتعصب وقال « هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كائنة ما كانت » كبرت كلمة تخرج من فيه .

وقد ارتحل الاستاذ ابن غلبون الى الازهر في طلب العلم ، وأخذ عن الاستاذ الشيخ عبدالرؤف البشبيشي ، والاستاذ أبي محمد عبد الله بن يحيى السوسى وغيرهما ورجع الى بلده مصراته سنة ١١٣٣ ولم أطلع على تاريخ ذهابه الى الازهر وكان يعلم في مصراته التفسير والفقه والحديث وغيرها من العلوم وكان يعظم طلبه العلم ويحترمهم ، وطلب الى احمد باشا اسقاط الضرائب عنهم فأجاب طلبه وأسقطها

﴿ ز ﴾

ومن الاسف الشديد أننا لم نعثر للمؤلف على ترجمة الا ما استخلصناه أثناء مطالعة تاريخه هذا . ولم يترجم له النائب في تاريخه مع أنه عالة عليه في النقل عن كتابه هذا وهو أجل قدراً وأعلم من كثير ممن ترجم لهم واثن جملنا تاريخ ولادة المؤلف ووفاته ، وشيئاً مما يتعلق بحياته فقد علمنا نسبته الى اسرة ابن غلبون ، تلك الاسرة التي فبقت منبت الرئاسة والفضل وسرى في فروعها العلم ، فاخرجت للناس علماء في مختلف الأزمنة نفع الله بهم الناس ، ودونوا في العلم دواوين تشهد لهم بسعة اطلاعهم في العلم وعلمهم كعبيهم فيه

فقد ذكر ابن خلدون في الكلام على آل سالم - وهم بطن من بنى سليم - : « ان مواطنهم بلد مصراته ومسلاقة ، ورياستهم في أولاد مرزوق ، وكانت في أوائل المائة الثامنة لغلبون ابن مرزوق ، واستقرت في بنيه ، وهي اليوم لمحمد بن سنان بن عثمان بن غلبون »

ولهذه الاسرة ذكر حسن في طرابلس ، وشأن يعرفه لهم ذوو الفضل الذين الذين يقدرون الناس قدرهم . ولا يزال لهذه الاسرة نسل يحفظ ما كان لها من فضل وأدب . وهو الاستاذ الشيخ أحمد بن محمد بن خليل بن محمد بن خليل بن محمد بن خليل غلبون المؤلف ، وقد أراد أن يكون له الفضل في ابراز هذا الاثر الخالد بجلده الفاضل ، فاصمم أنى اعتزمت طبعه حتى شجعنى على المضي في هذا العمل وأعاننى على إكماله ، فهو بهذه المهمة قد أبر بجدته وأحسن الى أمته ووطنه ، فجزاه الله خيراً

ترجمة الشيخ احمد بن عبد الدائم

الانصاري الطرابلسي

منذ ان اعتزمت طبع هذا الكتاب وأنا أكتب الى أصدقائي بطرابلس ممن لهم صلة بالعلم بشأن البحث عن ترجمة للشيخ أحمد بن عبد الدائم الانصاري، صاحب القصيدة التي شرحها المؤلف وعن ترجمة للاستاذ المؤلف ، فلم أظفر بما يكشف لنا عن حياة المؤلف ويعطينا نسخة تامة لما كان له من أعمال أما ما يتعلق بترجمة الشيخ أحمد بن عبد الدائم الانصاري فقد كتب الى صديقي الفاضل الاستاذ أحمد بن محمد الفقيه حسن نبذة تتعلق به فنشرها بنصها مع الاكتفاء بها حيث لم يكن لدينا من المعلومات غيرها . قال وفقه الله :

(في دائرة أوقاف القطر الطرابلسي كتاب مخطوط ليس فيه ما يشعر باسمه ، سوى أن مؤلفه وهو « الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الانصاري » ذكر فيه تراجم آبائه وأجداده فهو حري أن يدعى « كتاب الاجداد » وقد فرغ من تأليفه في الرابع والعشرين من المحرم سنة ١٢١٢ . ومن جملة أجداد المؤلف الذين ترجمهم في كتابه هذا الشيخ أحمد بن عبد الدائم الطرابلسي الانصاري ، وهو الجلد الاول لام المؤلف ، وقد ترجم له ترجمة أهل فيها تاريخ ميلاده ووفاته ، فقال :

الفقيه أحمد بن عبد الدائم ، كان يضرب به المثل في ظرفه وفصاحته ، وصلته لأقاربه والقراء . كان حافظاً ، ذا معرفة بالتواريخ الاسلامية والاخبار الملوكية ، غاية في الذكاء والفطنة والعقل الراجح . ومن الغرائب ما اختص به من الحكمة حيث كان يقول : « لي معرفة بسبعين حكمة وعمرى الآن ما يليف

على الخسعين سنة ولم يسألني أحد من أهالي طرابلس عن واحدة منها :
ومن جملة ما استخرج الماء من الأرض حتى يصعد الى قممها بغير مشقة . قلت
ذلك من بدائع الحكم ونتائج الفكر . ولا شك أن الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها
الانسان وكذلك يخترعها بقدر مدلولات العقل ومراتبه . وكان له التقدم في حسن
الخط ، وقد انفرد فيه بطريقة اختراعها لم يكن أحسن منها قط في أنواع الخطوط
المعمودة .

وقد كان شاعراً بليفاً حسن الطريقة في شعره . ومن شعره قصيدة يستنجد
فيها بملك القسطنطينية اذ ذاك على الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس في سنة
١١٤٠ منها قوله :

يا واحداً ما في البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتشكل
فاصم لقصة من أذاك بحرقه خذ ثاره من كل خصم مبطل
أو ما يفيظك حال قلعتك التي فازت بفتحك في الزمان الأول
يا سيدي فانظر لحالة ضعفنا من شيمة الاخيار الا تبطل
انا لندرجو منك أخذ الثار من شعب الفرنسيين اللئيم الارذل (١)
الى آخر القصيدة وهي طويلة جداً .

وله قصيدة جواباً عن سؤال أرسل الى طرابلس من جزيرة جربة (٢) ، وله
القصيدة التي أنشأها في مدح طرابلس الغرب راداً بها على المغربي الذي هجاها وقد
شرحها شرحاً جليلاً الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون رحمه الله تعالى اه كلامه

(١) من ضمن القصيدة هذان البيتان :

في يوم عيد المسلمين ونحرم مترقين بفرصة المدخل
عام اربعين مضت لهجرة احمد من بعدما مائة والف كمل

قال الاستاذ احمد الفقيه حسن : ومنها يستنتج ان الشيخ احمد بن عبد النائم كان من رجال القرن
الثاني عشر للهجرة اخذاً من قوله المتقدم

(٢) ذكر الاستاذ احمد الفاضل منها عدة ابيات حذفناها للاختصار

(ي)

مَقَدِّمَةُ النَّاشِرِ



الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الهدى
وهاد الى الحق وعلى من أرشد أمته ونصر ملته

أما بعد فهذه مقدمة أقدمها بين يدي تاريخ ابن غلبون ذكرت فيها شيئا عن
طرابلس قبل الفتح الاسلامي ، وملخصا عما تداولتها من دول وما مر عليها من
أطوار مختلفة من لدن الفتح الاسلامي الى زمن حكم اسرة القرماني

طرابلس - ويقال لها « طرابلس » و « طرابلس » و « طرابلس » - مدينة

قديمة أزلية كانت تسمى « أوآيات » وهو لفظ يظهر أنه بربري ، وحرفه الرومان
الى « أوآ » ومعناه بالاغريقية والرومية ثلاث مدن وقد تغير اسمها في زمن لا يمكن
تعيينه فصارت طرابلس والثلاث مدن هي « أوآ » طرابلس الآن عاصمة القطر ،
و « سبراتا » و « ليبس » وسبراتا تسمى الآن : صبرة ، وزواغة . وليبس ،
تسمى الآن : لبدة . وقد أطلق لفظ طرابلس على كل القطر من حدود مصر
شرقا ، الى حدود تونس غربا . وسماها اليونان « ترابليطة »

وقد كانت من مستعمرات قرطاجنة ومحطا لسفنهما من سنة ٨٤٦ ق م أو
٨٤٠ ق م - وهو زمن تأسيس قرطاجنة - الى ان استولى الرومان على قرطاجنة سنة
١٤٦ ق م واستولت على جميع أملاك قرطاجنة فأصبحت تابعة للرومان ومحطا
لسفنهم أيضا الى سنة ٤٣٥ وفي هذا التاريخ فتح جنسريك ملك الوندال قرطاجنة
واستولى على كل مستعمرات الرومان وصارت طرابلس تابعة للوندال الى

سنة ٥٣٣ م . وفي هذا التاريخ احتل القائد الروماني بيليساريوس قرطاجنة واسترد جميع البلاد التي كانت تابعة للوندال وصارت طرابلس تابعة للرومان^(١) الى أن تشرفت افريقية بالفتح الاسلامي

وقد دخل جيش المسلمين افريقية فأنحأ في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وافتتح برقة سنة ٢١ ومنها توجه عقبة بن نافع الى زويلة فافتتحها سنة ٢٢ . وتوجه بسر بن أرطاة الى ودان ففتحها سنة ٢٣ . وسار عمرو بن العاص بعد فتح برقة الى طرابلس ففتحها سنة ٢٢ وسار الى مدينة سَبْرْت^(٢) ففتحها عنوة . وسار الى مدينة نفوسة وهي « شروس » ففتحها ، ولما فتح عمرو بن العاص طرابلس كتب الى سيدنا عمر يستأذنه في التوغل في افريقية كتابا نصه :

« ان الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين افريقية الا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يفرزوها ويفتحها الله على يديه فعل » فكتب اليه سيدنا عمر :

« لا ، انها ليست بافريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة مغدورها ، لا يفرزوها أحد ما بقيت » فرجع عمرو بن العاص الى المشرق وكانت افريقية كلما غادرها الفاتحون الى المشرق ارتدت عن الاسلام .

وفي خلافة سيدنا عثمان بعث اليها عبد الله بن أبي سرح سنة ٢٦ في جيش يبلغ ١٠ آلاف مقاتل فوقفوا بجيش الروم في أطرابلس ولم يقدروا على التوغل في افريقية ، فاستأذن ابن أبي سرح سيدنا عثمان واستمده فاستشار سيدنا عثمان للصحابه فاذنوا بذلك ، فجهز الجيوش من المدينة وفيهم جمع من الصحابة فدخلوا افريقية وقتلوا جرجير ملك سبيطلة وكان يملك ما بين طرابلس وطنجة . وكانت طرابلس تابعة لعمال الخلفاء على افريقية الى أن تولت افريقية دولة

بنفي الأغلب سنة ١٨٤ فأصبحت تابعة لهم الى سنة ٢٩٦ وفي أيام حكم الأغلبة انتفض أهالي طرابلس سنة ١٨٩ واستقلوا بأنفسهم

(يب)

الى سنة ١٩٦ فاستردها أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب ورجعت الى حكم الأغالبة

وفي سنة ٢٦٥ أراد العباس بن أحمد بن طولون أخذ افريقية فنهض اليها من مصر في جيش عظيم فانتهك برقة من ابن موهب قائد الاغالبة ثم ملك لبدته وقال الايبات التي ذكرناها في صفحة ٩ وتقدم الى طرابلس وكان بها أحمد ابن قهر ب عامل الأغالبة وحاصرها ٤٣ يوماً ثم هزم شر هزيمة وعاد الى مصر سنة ٢٩٧

واستمرت طرابلس تابعة للأغالبة بتونس الى أن انقرضت دولتهم سنة ٢٩٦. وفي هذا التاريخ ظهرت دولة العبيديين (الفاطميين) فصارت تابعة لهم الى سنة ٥١٥

ولما انتقل المعز لدين الله من افريقية الى مصر سنة ٣٦١ استخلف على افريقية يوسف بلكين بن زيري ، واستعمل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي فطلب يوسف بلكين من المعز سنة ٣٦٧ أن يضم اليه طرابلس فأجابته الى ذلك ولما اختل نظام الحكومة الصنهاجية في افريقية واجتاحت العرب جيوش ابن باديس وكثر الهرج وتغلبت النصارى على أكثر سواحل افريقية استقل أهل طرابلس بأنفسهم ومنعوا المغارم والجباية عن المهدية ، وقام بأمرهم بنو مطروح خير قيام وذلك سنة ٥١٥ وفي سنة ٥٤١ استولى رجار صاحب صقلية « سيسلية » على طرابلس عنوة وسبى النساء وأخذ الأموال وولى عليها من أهلها رافع ابن مطروح بعد أن اخذ رهائته . وهذه أول مرة استولى عليها الافرنج بعد الفتح الاسلامي

وفي سنة ٥٥٣^(١) دار أهلها على الافرنج أهل صقلية وأخرجوهم منها

واستقل بها رافع بن مطروح الى سنة ٥٥٥ فدخلت تحت دولة الموحدين وبايع رافع بن مطروح عبد المؤمن بن علي وأقره على ولايتها واحتلها قراش سنة ٥٦٨ وكثرت فيها الفتن وتماقت عليها أيدي قراش وابن غانية

ودخلت طرابلس تحت حكم الحفصيين سنة ٦٠٣ . وفي أول أمرهم أغار ابن غانية على طرابلس فانتصر عليه عبد الواحد الحفصى سنة ٦٠٤ وبقيت تحت حكم الحفصيين الى أن استقل بها يوسف بن طاهر اليربوعي سنة ٦٨٤ .

وفي سنة ٧٥٠ استقل بها ثابت بن محمد بن ثابت ، وفي أيامه سنة ٧٥٥ احتلها الجنويون عنوة ^(١) وهذه هي المرة الثانية التي احتل فيها الافرنج طرابلس بعد الفتح الاسلامي ، ولم تزل في تقلبات وثورات فلا تخدم فتنة حتى تقوم أخرى الى سنة ٨٩٣ فاستراحت البلاد واستتب الأمن وارتدى الناس ثوب السلم وامت الثروة وكثر المال حتى وصلت الى ما ذكره المؤلف في صفحة ٩٢ واستمرت في رخاء الى سنة ٩١٦ فاحتلها الاسبانئون وهذه هي المرة الثالثة التي احتل فيها الافرنج طرابلس بعد الفتح الاسلامي . والاحتلال الرابع هو الاحتلال الايطالي الذي حصل سنة ١٣٢٩ الموجود الآن .

وفي سنة ٩٢٦ ذهب وفد من أعيان طرابلس ممن انحازوا خارج للسوري الى الاسطانة مستغيثين بالسلطان سليمان الاول لينقذ بلادهم من ظلم الاسبانيين . فأرسل معهم مراد أغا أحد حووجه والياً على بلادهم من قبله فلم يقدر على طرد الاسبانيين من البلد الى أن جاء طرغود باشا فافتكها من الاسبانيين ، وبقي والياها الى أن مات شهيداً سنة ٩٧٢ ومن بعده تولى أمر البلد اليكجيرية فاختل نظامها واستبدوا بالحكم ، ومدوا أيديهم الى ما في أيدي الناس ، وفرضوا على الاهالي من الضرائب مالا قبل لهم به وكثر طغيانهم حتى اضطر كثير من رؤساء القبائل الى الثورة عليهم في أزمان متتالية تخلصوا من حكمهم الجائر

(يد)

واستمرت طرابلس في اضطراب مستمر الى ان تولاهما سنة ١١٢٣ أحمد باشا القرملى — وهو أول وال من اسرة القرملى — فاستطاعت هذه الاسرة أن تهدأ من سلطة الثائرين ، وان ترجع الى البلاد شيئاً من الطمأنينة .
واقعد كان لمدينة طرابلس أيام حكم القرملى شأن يذكر في الاحمال البحرية مما اضطر كثير من دول اوربا — وفي مقدمتهم انكلترا — الى أن تعقد معها معاهدات

قال في « حقائق الاخبار عن دول البحار » هند الكلام من محمد باشا بن احمد باشا القره مانلى : « وزاد في صناعة السفن وأكثرت من المحاربات ونشرت سفنه في البحر بقوة وجسارة لم يسبق لها مثيل فاكثرت طرابلس بذلك شهرة عظيمة حتى أوقعت العرب في قلوب رجال السفن التجارية الأوروبية ، واضطرت الدول المسيحية وقتئذ في عقد معاهدات مع طرابلس ودفع نقود سنوية لولايتها لتأمين بذلك على تجارتها . وأول من تقدم من الدول دولة انكلترا فعقدت مع محمد باشا المذكور معاهدة بدون استشارة الدولة العثمانية سنة ١١٦٤ تحتوي على ٢٨ مادة ، منها : « وعلى كل سفينة انكليزية ان تظهر ورقة الباسبور عند ما تقابل سفن طرابلس » الخ اه

وفي سنة ١١٧١ عقدت معاهدة بينها وبين جمهورية البنادقة من موادها ابطال الحرب بين الطرفين ومنع تمدي سفن طرابلس على سفن الجمهورية .
وفي زمن يوسف باشا صادف اسطول طرابلس سفناً للدولة السويدية فخاربها وأسرها سبع سفن ، فتوسط « بونايرت » وهو بحمر وخلص الاسرى وترك السفن ليوسف باشا وأعاد لطرابلس المبلغ الذي كان مرتباً لها من حكومة السويد

وعقدت معاهدة بين طرابلس وبين الولايات المتحدة سنة ١٢٢٠^(١) ومعاهدة بينها وبين جمهورية طوسكافة سنة ١٢٣٦ ومعاهدة بينها وبين مملكة نابلي سنة ١٢٤٢ وغيرها من أمم جنوب أوروبا وكل هذه المعاهدات لم يتجاوز غنمها جيوب الولاة وخزائنها ما غرمها فعلى الأمة الطرابلسية

وقد استمر حكم الترك في طرابلس ٤٠٣ سنوات لم يفشئوا فيها من المدارس ما يكفي لحاجة أهلها ، ولم يفشئوا فيها سككا حديدية ولا بريداً منظماً . وقد كان عهد الترك في طرابلس على طوله لا يمتُّ إلى العلم بصلابة ولا إلى العمران بسبب . وقد خرجوا من بلادنا كما دخلوا ، وتركوا لنا نحصده ما زرعوا لنا . ولهم عند الله جزاء ما كانوا يصنعون

الطاهر أحمد الزاوي



(١) في هذه السنة تقريباً احتلت الولايات المتحدة دنه انظر صفحة ١٢٨ وهددت طرابلس وانتهى الامر

الى المعاهدة

التَّزَكُّوْا

مَعْبُودًا طَرِيقًا وَمَا كَانَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون رحمه الله ونفعنا به :
نحمدك يا من قضيت أزلاً لا يكون غير مرادك ، وشهد الكون أجمعه نطقاً
ودلالة بانفرادك ، وبعثت سيد ولد آدم رحمة لعبادك ، وقصصت عليه نبأ
الماضين من أهل طاعتك وعنادك ، وخاطبتهم ان في ذلك موعظة وتثنية لفؤادك .
ونصلي عليه وعلى آله مسلمين ما عصاك وكفر به أهل ابعادك

وبعد فان القصيدة التي أشدها الفاضل الأديب الخیر اللبيب سيدي أحمد
ابن عبد الدائم الأنصاري في مدح طرابلس معرضاً فيه عن هجائها ^(١) ، وهو -
وان صرح بالمدح فيه اجمالاً - يحتاج الى التفصيل بذكر جزئيات أخبارها ، ولم أر
من تعرض لجمعها على حدة من المؤرخين ، وانما ذكرت مشققة في الصحف
والدواوين . فقد أمرني بجمعها من أدام الله سعوده ، وحرس لاهياء الدين

(١) وجدت في آخر هذا الكتاب نبذة منفصلة عما كتبه المؤلف من رحلة أبي عبد الله محمد بن محمد بن
محمد بن علي بن سعود البغدادي الغربي التي ابتدأها سنة ٦٨٨ . فيها انه لما مر بطرابلس اجتمع بالاستاذ
أبي محمد عبد الله بن عبد السيد قاضيها اذ ذاك . وقد حضر بعض دروسه ووقعت بينها مناقشات علمية ولم
يوافقه الاستاذ أبو محمد على رأيه . وقد وصف الاستاذ ابا محمد بضيق الخلق وقصر النظر والعي والشكاسة ،
وقال : واظنه لارواية له ، وقد وصف في هذه النبذة طرابلس بأوصاف ذميمة ، واطال في التقيص من شأنها
بما لا ينطبق على الحقيقة . واظن ان صاحب الرحلة هذه هو الذي رد عليه الاستاذ أحمد بن عبد الدائم
بهذه القصيدة التي شرحها المؤلف . وما يؤيد ظننا هذا ما وجدنا مكتوباً مع هذه القصيدة وهو قوله : الحمد لله
لما بلغ البعد ما منع الشرق برحلته من ذكر مساوي لطرابلس اختلقتها عين السخط منه بعد توجهه لبلاده
فوقفت على بعض الفاظه . . . الى ان قال : فلما تحققت الفقد ذلك انتدب لذكر محاسنها ... فقال . وذكر القصيدة

والمكرمات وجوده ، ظل الله في بريته ، وخليفته في خليقته ، رافع منار الشريعة النبوية ، ناصب رايات العلوم الدينية . ذو المقام العالي ، وكوكب المجد المنير المتلالي ، الجامع لأصناف المفاخر والمعالى ، الناصر لدين الاسلام ، القامع بسيفه عبدة الصليب والأصنام ، الناشر لألوية العدل والانصاف ، الماحي آثار كل الجور والاعتساف . من متّع الله به الخالص والعام ، وأكثر منه للفقراء الجود والانعام . السند الأعظم والمقام الأنفم . كافل المملكة الطرابلسية ، وأكرم من خفقت عليه الألوية العثمانية أحمد بن يوسف بن محمود بن مصطفى ، يسر الله له من استمرار العزة والدولة ما يشاء ، تشريعاً منه لقدرى ، واستدامة لعادته الحسنى في استحسان أمرى . واطهاراً لجيـل رأيه الذى مازلت أعتدّه ظهيراً على نوائب دهرى . فامتثلت أمره العالى تيمناً ببركاته ، وتلقياً للنجح باقتفاء مراحمه من جميع جهاته . وانتصبت لذكر ما حضرني من أخبارها مما رويت أو شاهدت من آثارها . سالكاً فيه سبيل الاختصار ، راجياً التوفيق والمعونة من القادر الغفار . وجعلته خدمة لسدة بابه التي هي معول رجاء الآمال ، وملثم شفاه الأكابر والأقـيال (١) . لا زالت ملاذ أرباب الفضائل ومحط رحال الأفاضل . وأهلاً لفعل المعروف ، وإغاثة لكل محتبـط ملهوف . بجاه النبي الأكرم ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وشرف وكرم . وصحـيته :

﴿ التذكار ، فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ﴾

قال رحمه الله تعالى :

﴿ أرى زَمناً قد جاء يَقتنصُ المَهْماً بلا جراح والأسدُ في فُلواتها ﴾

﴿ رأى القَيْضَ مُبَيضاً بِمِزْلةِ الحِى فقال كَفانى أَنَّهُ من صفاتها ﴾

أرى من رأى البصرية وهي تتمدى لمفعول واحد وهو هنا زَمناً ، والزمانة

العاهة كذا في القاموس . وخصها عرف اللغة بانعاضة الموجبة لعدم قيام الانسان . والمراد بها هنا آفة الجهل على زعم الناذم لمجوده من لا يستحق هجوا . والاقتناص : الاصطياد ، من قنصه يقنصه اذا صاده . والمها اسم جلس جمعي واحده مها ، وهي البقرة الوحشية ، شبه بها لطيف الوصف الذي لا يدرك الا بدقيق الفهم . الجارح : خصه العرف بما يصطاد به من حيوان طيرا كان أو كلبا . والأسد جمع أسد ، وهو الحيوان المفترس ، والمراد هنا الفهم الذكي شبه به من حيث الحماية ، فكما أن الأسد يحمي ما يحماه ، كذلك الفهم الذكي . والقبض القشرة اليابسة على البيض . كذا في القاموس ، مبيضا صفة له خصصه اذ منه ما ليس كذلك . والمزبلة فهم الباء وفتحها : ملأى الزبل وموضعه وهو معروف . والحى بكسر الحاء المهملة وفتح الميم والقصر : هو المكان الذي يمنع رعيه ليتوفر فيه للكلأ فترطه مواش مخصوصة ويمنع غيرها عنه ، والكلأ بالهمز من خير مد هو المرعى رطباً كان أو يابسا . والكلأ بالقصر من خير حمز : النبات الرطب قل في المشارق : وضبطه السمرقندي والعنبري مرة بالمد وهو خطأ . قل الحافظ ابن حجر : من مده فقد أخطأ . والحشيش هو المشب اليابس . وظاهر كلام القاموس أن الحى يجوز فيه المد ، ولم يحك في المشارق فيه الا القصر فالحى بمعنى الحى : مصدر بمعنى المفعول ، وهو خلاف المباح ، تثنيته حيان . وحكي السكاسي في تثنيته حوان بالواو والصواب الأول لأنه يأتي

وأصل الحى عند العرب أن الرئيس منهم كان اذا نزل منزلاً مخصصاً استعوى كلباً على مكان عال بحيث انتهى صوته حماه من كل جانب فلا يرعى فيه غيره ، ويرعى هو مع غيره فيما سواه . هذا معناه لغة . وأما شرها فهو حماية الامام موضعاً لا يقع به التضيق على الناس للحاجة العامة الى ذلك للخيال التي يحمل عليها الناس للغزو ولماشية الصدقة ، كذا عرفه الباجي ، نقل ذلك ابن عرفة

والاصل في اباحة الحى مارواه الامام البخاري في صحيحه في كتاب الشرب عن يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الميث عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصَّعْب بن جثَّامة رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « لا حى الا لله ورسوله » . قال وبلغنا أن النبي ﷺ حى البقيع وأن عمر حى الشرف والرَبْذة

والشرب بكسر الشين المعجمة : الحكم في قسمة الماء ^(١) وضبطه الاصيلي بالضم . قال ابن حجر : والصواب الاول . والبقيع بالوحدة : موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وبه يسمى بقيع الغرق ^(٢) وهو بالوحدة كذا ذكره الجوهري في حرف الباء ، ونحوه في مختصر العين ، ومثله لابن سيده . والغرق ^(٢) شجر له شوك كان ينبت هنالك فذهب وبقي الاسم لازماً للموضع وقال عياض في المشارق في آخر الموحدة لما ذكر العلماء المواضع : بقيع الغرق ^(٢) الذي فيه مقبرة المدينة سمى بذلك لشجرات غرق قد - وهو العوسج - كانت فيه ، وكذلك بقيع بطحان

والشرف بفتح المعجمة والراء بعدها في المشهور . وذكر عياض أنه عند البخاري بفتح المهملة وكسر الراء . قال وفي موطأ مالك رحمه الله : ابن وهب بفتح المعجمة والراء ، وكذا رواه بعض رواة البخاري أو أصلحه وهو الصواب . وأما سرف فهو موضع بقرب مكة ولا يدخله الالف واللام والربذة بالراء المهملة المفتوحة وإمدها باء موحدة مفتوحة بعدها ذال معجمة قال ابن حجر في فتح الباري : موضع معروف بين مكة والمدينة . وقال الزركشي في كتاب العلم من حاشية البخاري : موضع على ثلاث مراحل من المدينة . والصعب ضد السهل وعلى وزنه . وجثَّامة : بجيم مفتوحة ، وثاء مثلثة مشددة

(١) قال في مختار الصحاح : الشرب بالكسر الحظ من الماء

(٢) كانت بالاصل (الغرق) وهو تحريف

كذا ضبطه النووي أول كتاب الحج من شرح مسلم اه ومعنى الايات بين . قال
 ﴿ آتَى أَهْلَهُ يَهْوَى وَبَشَّرَ أَنَّهُ بِرِبْقَةٍ مِنْ ظُلْيَانِهَا وَمَهَاتِهَا ﴾
 ﴿ أَلَا أَيُّهَا النَّحْرِيرُ عَنْ مَدَمَّةٍ فَمَا فِي الْأَوَانِي بَانَ مِنْ قَطَرَاتِهَا ﴾
 أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه ، والهوى من معانيه أن يقبل بالشئ مرة
 ويدبر به أخرى ، والعرف خصه بالبشارة بالشئ ، يؤتى بالمصدر من لفظه للاعلام
 بها . والبشارة الفرح ، ومنه أبشَرَ بكذا فرح به . والربق بالكسر : جبل فيه عدة
 عرى يشد به البهائم ، كل غرورة ربة ، بالكسر والفتح جمعه ربق كعنب ،
 وأرباق كأصحاب ، ورباق كجبال . وربقه يربقه : جعل رأسه في الربة ، وفي
 الامر : أوقعه فيه فارتبق . والربق ويكسر : الشد . والريبة كسفينة : البهيمة
 المربوقة في الربة . والظبي معروف . وقال في مختصر العين في باب الضاد في
 الثلاثي المعتل : الضبي ضرب من دواب البر على خلقة الكلب . قال ولست على
 يقين منه . والمهاة واحدة المها ، وقد تقدم . والنحرير بالكسر فيهما ، قال في
 القاموس : الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شيء لانه
 ينحر العلم نحراً

(غريبة) قدم على حضرة أمير المؤمنين أحمد باشا رجل منتسب للطلب
 متعلق بالفتوى يطلب منه توقيعاً يتضمن زيادة احترامه وتوقيره فأمر - أيده الله
 تعالى - أجل كتبت أنه يكتب له توقيعاً بذلك على عاداته في مجاورة من انتسب الى
 الدين ، فكتب ما نصه :

« هذا كتاب أمير المؤمنين أيده الله بيد حامله العالم العلامة النحرير ، فلان
 يؤذن من يقف عليه بزيادة احترامه وتعظيمه » الخ

فلما تناول الكتاب وقرأ « النحرير » كاد أن يخرج من عقه حنقا ، وراجع
 بعض النبلاء واشتكى من الكاتب والامير ، وتلف على غضبهما حقه فبين له

معناها فلم يقبله وحملها على ما يؤدي اليه ركيك فهمه من خلاف الصواب في ألفاظ اللغة ، وتوهم لبدائوته أنه وصفه ببيع الحرير لاتفاق الأنطين في أكثر الحروف ادراجا له في وصف أهل الذمة لمشاهدته أن غالب سوقتهم يتعاطون بيعه في البلد دون أهلها . والكاتب مخطيء في الحقيقة اذ وصف الرجل بما لم يقيم به معناه خطأ ، واسكن له أجر من اجتهد فأخطأ

مه : اسم فعل [بمعنى] اكفف كذا في القاموس . والمذمة مفعلة من التمس ضد المدح . قال في القاموس : ذمه ذما ومذمة فهو مذموم ، وذميم ، وذم ويكسر ضد مدح . واليك النظر في سبك الأبيات :

قال رحمه الله تعالى :

طرابلس لا تقبل الذم انها لها حسنات جاوزت سيئاتها
[طرابلس] لفظ رومي معناه ثلاث مدن . كذا ذكر صاحب القاموس .
قال بعضهم وهو الأشهر . وهو بفتح الطاء وضم اللام والباء ، وعلى ذلك درج أحمد بن حسين بن محمد من متأخري ادبائها . فقال أيام هجرته عنها بالجامع الازهر:

طرابلس الغراء ترى لي عودة	اليك وهل يدنو الذي كان قد ذهب
سقى الخائب الشرقي منك سحابة	ولا زال فيها من رياح الصبا مهب
بلادها بالخلد شبهة آية	فنها نبات الزعفران كذا العنب
ترى سوحها من فضة فاذا اكثنت	بشمس الضحى أضحت لجينتها ذهب
وفي كل حول حوّلها حلة حلت	برؤيتها خضراء من سندس القصب
وفيهما نخيل باسقات اذا الصبا	تهب عليها أسقطت يانع الرطب
وفيهما من الأشجار ما جل وصفه	بأوراقها الورقاء غنت من الطرب
وفي ثمرها ظفر الرضاب وعينها لا	لتي قد صمت من فضة آية العجب (١)

(١) ذكر الشاعر في ثمر طرابلس عينا تسمى « عين الفضة » وهي غير معروفة اليوم . ولا يوجد اليوم في المدينة ولا فيها جاررها عين ماء الالعين التي بجوار الشيخ الشهاب . وهي قريبة من البحر في كهف شبه منحوت في صخور البحر ينحسر الماء دونها ، وهي عذبة الماء ونعها ليس بالقوي ، وتعرف الى اليوم المعونة بضم العين وفتح الواو وتعلمه يقصدها لآها في الثمر

فيا حبذا نَفَرٌ له النصرُ خادِمٌ
 أمثل شوقاً شكلاً في ضامري
 بديمةٌ حُسْنُ زادها الله بهجة
 لقد أعجزت أوصافها كلَّ معرب
 ولكن قُصَارَى مُطَنِّبِ القولِ أنها
 وناهيك بالبر الجديد ومبره
 فلا تُلحني ان أرق البين مُقلتي
 فان من الايمان - والنصِّ شاهدٌ -
 وكيف بدار قد حوت كلَّ رُقعة
 ومن فضله بحرٌ طويل ووافر
 هو الوالدُ الأسمى فلا زال كاسمه
 امام من الاحسان أحياء ما ثراً
 فيا فائق الاصباح والحب والنوى
 سقتك أيا ربيع الأجنة ديمة
 فيالك من ربيع اذا ما ذكرته
 وذكر البكري وغيره أنها بزيادة ألف قبل الطاء ، وسكون الطاء ، وكذا
 هو بخط الأجدادي . وعلى ذلك قول أحمد بن يحيى من قدماء شعرائها :

لقد طال شوقي الى فتية حسان الوجوه بأطراً بلّس
 وقد عيل صبري فإلى مُسْعدي على الشوق الأذموعي البُجس
 قال التيجاني : واختار بعضهم في العربية زيادة الألف ، وفي الشامية اسقاطها
 وعكس صاحب القاموس فجعل الهمزة للشامية ، وقد سكن بعضهم لامها للضرورة
 وهو الكاتب أبو الحسن علي بن أبي بكر بن بلال استناداً لما تقرر في اللغة من

تغيير الأسماء الأعجمية للضرورة ، فقال مخبراً عن نفسه حين قدمها متوجهاً
 للمحج فصرفه الدهر في بعض خدمها - يصف اشتياقه ويطلب التخلص مما عاقه :
 رَسَى فرسي في سَبْرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ خَلِيٌّ مِنَ الْأَوْزَارِ سَارَ وَلَمْ يَرْسُ
 سَمَى سَمِيَّ طَلَّاحٍ لَا بُدَّ غَايَةٍ فَكَانَتْ لَهُ دَارَ الْمُقَامِ طَرَابُلُسُ
 والمدن الثلاثة التي جعل هذا اللفظ علماً عليها : لبد ، ^(١) وطرابلس ، وصبره
 ثم غلب على المدينة المعروفة الآن التي بساحل البحر الغربي بين لبد و صبرة .
 وهي بلدة أنيقة حسنة الجو ، أعطى ساكنها الشجاعة وقوة العزم ، لا أكثر
 أهلها شبه بالصحابة ، فقد اشربت قلوب الكفرة منهم مهابة . وبالجملة فهو بلد
 أنيق المنظر فسيح الساحة ^(٢) ، فلذا يجمد القلب فيه راحة . أهلها أمطر الله سبحانه
 الرأفة عليهم ، فتراهم يحبون من هاجر إليهم . زادها حسناً بلد المشية الذي استوفى
 المحاسن وأشعر بها وذكر بمنظره الألفرجنة الخلد واستبرقها ^(٣) أحرق بها [البحر]
 من جهتي شرقها والغرب ^(٤) فهي نازلة من البحر منزلة اللب والقلب . جمع من
 أنواع الفواكه ما يعجز عن حصره ، وتشتك المشاعر عند رؤيته أو ذكره .
 قطوف عرصاتها دانية ، جنة إلا أنها فانية

(١) قال في معجم البلدان (لبد) مدينة بين برقة وأفريقية ، وهو حصن من بليان الاول بالحجر
 والاجر وحوله آثار عجمية ، يسكن هذا الحصن قوم من العرب يحاربون كل من حاربهم ولا يعطون طاعة
 لاحد ، كانت به وقعة بين ابي العباس احمد بن طولون واهل افريقية . فقال ابو العباس يذكر ذلك :

ان كنت سائلة عني وعن خبري فها أنا الليث والصمصامة الذكر
 من ال طولون اصلي ان سألت فما فسوق لمفتخر بالجسود مفتخر
 لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ بالسيف اضرب والمسامات تشتد
 اذا ادنايت مني ما تناذره عني الاحاديث والانبياء والخبر

(٢) يوجد بالاصل بعد قوله : الساحة كلمة جمع ، وكلمة بمدحها غير مفهومة ، وكلمة « بر وبحر » وهذه
 الكلمات لا معنى لها . لحذفناها ونهينا عليها هنا

(٣) كانت بالاصل : وادكر بمنظرها الانوار وورقة الانظر جنة الخلد الخ لحذفناها لعدم وضوحه

(٤) يباين بالاصل يتسع استقامة

وهي أول بلد فتح عنوة بأرض المغرب بعد صلح « انطابلس » وهي برقة ،
 صالح أهلها عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن قدم عليهم بعد فراغه من فتح
 الاسكندرية . صالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار فرعونى يؤدونها كل سنة
 على أن يبيعوا في جزيتهم من أولادهم
 وكان يسكن برقة من البربر لواتة ، وكانت أرض البربر فلسطين

سبب دخول البربر

برقة وأرض المغرب

وسبب انتقامهم منها الى برقة وأرض المغرب — على ما ذكره المؤرخون —
 أن بني اسرائيل لما قتلهم بخت نصر البابلي وأخرب بيت المقدس واستولى على
 خزائنه والتابوت الذي فيه عصا موسى والسكينة وعمامة هارون ، وقد كانوا
 يقدمونه أمامهم في الحروب فينصرون — ضعف أمرهم عن القتال وقويت عليهم
 شوكة البربر ، فلم يزل أمر بني اسرائيل في ادبار ، وأمر البربر في اقبال حتى تنبأ
 اشمويل عليه السلام فأناه بنو اسرائيل وسألوه : سل ربك أيبعث لنا ملكا
 نقاتل في سبيل الله ، فسأل فأوحى الله اليه إني منزل عليك عصا وقرنا فيه دهن
 القدس ، فضع العصا والقرن حولك فاذا دخل عليك رجل منهم وغلى دهن القدس
 فقسه بالعصا فان طابقتها فذلك ملكهم الذي يفتح لهم على يديه ، فصار أهل بيت
 الملك يدخلون عليه فلم يغل لدخول أحدهم ، فلما دخل طالوت ، ولم يكن من
 بيت الملك ، وإنما كان سقاء ضل له حمار فخرج في طلبه ، فلما مر ببيت أشمويل
 عليه السلام قال لمن معه : ألا ندخل بيت هذا الرجل الصالح لعل ببركته نجد
 ضالتنا ، فدخلا فغلى دهن القدس فقاسه بالعصا فطابقتها فقال : ان هذا ملككم

الذي يفتح على يديه . فكان من جوابهم ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : « قالوا
 أتنبأ بكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » قال ان
 الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله
 واسعٌ عليم » و « ان آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيَّةٌ مما
 ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »
 وكان التابوت قد استولى عليه ، فلما حل بين أظهرهم تشاءموا ببقائه ، فأخرجوه
 من بين أظهرهم الى قرية أخرى فأصبح أهلها موتى أكلت الفأرة أفئدتهم فأخرجوه
 ودفنوه بفلاة من الارض ، فصار كل من بال متوجهاً نحوه أصابه الحصر ،
 فأخرجوه وجعلوه في آلة يحملها ثوران وضربوها فأخذته الملائكة حتى أتت بها
 بيت المقدس بلد أئتمويل عليه السلام فلما شاهدوا ذلك أذعنوا للملكه وملكوه
 عليهم وأمرهم بالتأهب لقتال البربر فتأهب معه لقتالهم من بني اسرائيل ثلاثون
 ألف شاب وخرجوا لذلك فأوحى الله سبحانه الى أئتمويل عليه السلام : اني
 مبتليهم ، فابتلاهم بنهر ماء بعد قيظهم ، ونهاهم عن الشرب منه فشربوا منه إلا
 قليلاً منهم فلم يجاوزه معه إلا أربعة آلاف ، منهم ايشأبو داود عليه السلام ، وكان
 له أربعة عشر ولداً أصغرهم داود عليه السلام

فلما التقى الجمعان : جمع البربر وعليهم جالوت ، وجمع بني اسرائيل وملكهم
 طالوت أوحى الله سبحانه الى أئتمويل عليه السلام : أن هلاك جالوت على يد ولد
 من أولاد ايشأ ، فأمر طالوت باحضار أولاده فأحضرهم إلا داود لصغره ، فقال
 أئتمويل عليه السلام لم يكن بينهم من هلاكه على يديه ، واستتمهم ألك غيرهم ؟
 قال ولد صغير ، فأمر باحضاره ، فلما أحضر قال هو هذا ، فأمر له طالوت بفرس
 وسلاح ، فتقلد داود السلاح وركب ، فلما استوى عليها نزل ورمى بالسلاح ،
 وأخذ آلة يرمى بها الحجر ، فربحجارة الانبياء فصاحت به فأخذها ، حتى ربححجر
 موسى فصاح به أنا حجر موسى فأخذه ووضع في الآلة وقذف به جالوت

فأصابته فأهلكته

واستولى طالوت على عسكره وأمواله . ثم أفضى الملك لداود عليه السلام واستولى على أرض فلسطين ولما استولى عليها وتنبأ أوحى الله سبحانه اليه : يا داود أن اخرج البربر من أرضك فانهم خبث الارض فأخرجهم من فلسطين وبعث بهم من قطع بهم النيل متوجهين الى أرض المغرب

قال ابن عبد الحكم : كان البربر بفلسطين في زمن داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين نحو أرض المغرب حتى انتهوا الى لوبة ومراقية ، وها قريطان من قرى مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالها النيل فتفرقوا هناك ، فتقدمت زناتة مقبلة الى المغرب وسكنوا الجبال ، وتقدمت لواته وسكنت انطابلس ، وهي برقة ، وتفرقت في المغرب ، وانتشروا حتى بلغوا السوس . ونزلت هوار مدينة لبدة^(١) ، ونزلت نفوسه مدينة صبرة ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك . وأقام الافارق - وكانوا خدما للروم - على صلح يؤدونه لمن غلب على بلادهم . وهم بنو فارق بن يبط بن حام ، فلم يزل كل أأرضه الى أن افتتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية

(١) قال في المهمل المذهب : ومن بطون هواره : مغرا ، وزمور ، وكابار ، وفساطو ، ومعدان ، ونباوه ، ومليله ، وغريان ، ومسلانة ، وترهوتة ، وتاورطا ، وزكارة ، وسيلان اه . قلت وهذه البطون لا أثر لها اليوم بجوار لبدة ، اللهم الا اماكنهم التي كانوا يسكنونها قبل تغلب العرب عليهم فهي لا يزال أكثرها في حوالى لبدة ، ويعرف بهذه الاسماء الى اليوم وهي قرية منها مما يدل على انها كانت قرى تابعة لهذه المدينة العظيمة وهي تقع شرق مدينة طرابلس على مسافة خمسين ميلا ، قد أسسها الفيلقيون في زمن غير معلوم ، والاثار القديمة فيها ثلاث لغات : اليونانية ، واللاتينية ، والفينيقية ، وترى اعمدة الرخام واقفة في وسط البحر ، وآثار البناء متناثرة على مسافات بعيدة جدا ، مما يدل على ان كل هذه المسافات كانت تشغلها تلك المدينة البائدة وقد جلب اليها الماء من عين كعام - ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم - وقد خربت ايلة ليبية من البربر سنة ٣٧٠ م . وقيل خربها قوم الوندال لما طردوا الروم من اراضي الاندلس . اه ملخصا منه

فتح برقة^(١)

فسار عمرو بن العاص في أنجيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها اليه جزية على أن يبيعوا من أولادهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جاني خراج ، إنما كانوا يعيشون بها اذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة . قال الطبري : فافتتحها بصلح وصار ما بين زويلة وبرقة سلبا للإسلام
وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : « لاهل انطابلس عهد موفى لهم به »

(١) تبثدي من نهاية خليج سرت بكان يقال له المقطاع بجوارعين الكبيرتين وتمتد شرقا على ساحل البحر الأبيض الى مرسى السلوم - ويسمى المقبة الكبيرة - حيث تبثدي الاراضي المصرية وما بين هذين الموضعين هو الذي يقال له قديما (سير بناتيك) وهو بلاد برقة الحقيقية ، وتقع في الدرجة ٣١ والدقيقة ٢٩ من العرض الشمال . والمدينة العربية المسماة (برقة) هي المرج ، وهي على نحو ١١٠ كيلومترات الى الجنوب والغرب من قرنة ، وعلى نحو ٢٤ كيلومترا الى الجنوب والشرق من طليئة . وقد بنيت سنة (٥٥١) قبل التاريخ الميلادي . وفي سنة (٦٤٢ م) أغار العرب على قرنة ونهبوها ثم احتاروا مدينة برقة (المرج) وجعلوها عاصمة البلاد وأطلقوا على بلاد قرنة اسم برقة ، ولم يهيدوا لها سورا الا بعد قرنين من اعمارهم ، وكان مرساها البحري طليئة . وقاعدة برقة الآن بنغازي ، وقد بنيت على أنقاض (برنيق) القديمة ، وهي أشمل قسما كبيرا من مكانها . وبرنيق هذه هي إحدى المدن الخمس التي كانت تسمى قديما انطابلس (أي المدن الخمسة) وهي : برنيق وطوكرة ، والمرج ، وسوسة ، وقرنة انتهى ملخصا من كتاب التبيان لرافت بك من (ص ٣٤٩ - ٣٩١) اقول : وقد ذكر برنيق هذه الخمسة في معجمه فقال : برنيق : بالفتح ثم السكون وكسر النون وياه ساكنة وقاف . مدينة بين الاسكندرية وبرقة على الساحل ، منها على بن البرقيفي الاديب كان بمصر ، وله خط مضبوط متعارف

وقال في الكلام على برقة : افتتحها عمرو سنة ٦١ سلحا على ثلاثة عشر ألف دينار ، وكان عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول ما أهل منزلا لرجل له عيال اسلم ولا أهل من برقة ، ولولا اموال البحار لزلت برقة وقد نسب الى برقة جماعة من اهل العلم . منهم احمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرة الزهري البرق أبو بكر مول بني ذهرة ، حدث بالمغازي عن عبد الملك بن هشام وكان ثقة ثبتا ، وله تاريخ ، واخوه محمد وعبد الرحيم ابنا عبد الله وروا جميعا كتاب السيرة عن ابن همام

حصار مدينة طرابلس

قال ابن عبد الحكم : ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس في سنة ٢٢ قنزل القبة التي على الشرف من شرقيها ^(١) فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء — وفي أيام حصاره لها بعث الى ودان بسر بن ارطاة — فافتتحها سنة ٢٣ كذا قال البكري

. قلت : ولا خلاف بينه وبين ابن عبد الحكم ، لاحتمال أن يكون الحصار أواخر سنة الثنتين وعشرين ، والفتح في ثلاث وعشرين ، على أن ابن عبد الحكم أطلق في الفتح . قال البكري : ودان لها قلعة حصينة والمدينة دروب ، وهي مدينتان فيهما قبيلتان من العرب : سهميون وحضرميون ، وجامعهما واحد بين الموضعين . وبين القبيلتين تنازع وتنافس ، وعندهم فقهاء وقراء وشعراء ^(٢) ، وأكثر عيشهم التمر ، لهم زرع قليل يسقونه من النضج

فتح طرابلس

ثم خرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصلياً في سبعة نفر ففضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقاً بالمدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن الروم شائعة في مرساها الى بيوتهم . فنظر المدلجي وأصحابه فإذا

(١) قال في المنهل العذب ان سيدنا عمرا نزل بجيشه شرقي المدينة بقرية من المكان الذي فيه ضريح الشيخ الصعاب الان . قلت ولعل المؤلف يعني قبة الصعاب
(٢) قال في المنهل العذب : ومن ينسب اليها ابو الحسن بن ابي اسحاق الوداني صاحب ديوان ، ذكره ابن القطاع والهد له :

من يشتري من النهار بليسة لا فرق بين مجومها ومجانب
دارت على فلك السجاء ونحن قد درنا على فلك من الآداب
دان الصباح ولا أتى ، وكأله شيب اطل على سواد شباب

البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا لها من الموضع الذى انحسر عنه البحر ، فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن مفزع للروم إلا سفنهم ، وأبصر عمرو أصحابه الستة ^(١) في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان بالمدينة وكان من بصرة متحصنين ، وهي المدينة العظوى ، وسوقها السوق القديم . فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم أمّنوا

فتح مدينة صبرة ^(٢)

فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير ، فصبحت خيله مدينة صبرة وهم غافلون وقد فتحوا أبوابها للسرعة فدخلوها فلم ينج منهم أحد . واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ، ورجعوا الى عمرو . اهـ ما لابن عبد الحكم ، وقد أطلق في خروجهم ، وذكر غيره السبب كما ذكرنا . وذكر غير ابن عبد الحكم أن المدلجي ومن معه لم يدخلوا المدينة وحدهم بل ندبوا معهم جماعة

ولما استولى عليها عمرو هدم سورها وارتحل عنها لشروس ^(٣) مدينة

(١) تقدم أن المدلجي خرج في سبعة نفر

(٢) قلت هذا الاسم محرف عن اسم الروماني (صبرة) واسمها البربري (زواغة) بتشديد الواو ، والناس عندنا يخففونها وهي تقع في الجهة الغربية من طرابلس على مسافة يوم . قال الحموي (سبرت) كذا وجدته مضبوطة بخط من يرجع إليه في الصحة في عدة مواضع من كتاب ابن عبد الحكم . ذكر ابن عبد الحكم في كتابه ان طرابلس اسم للكورة ومدينتها (نبارة) وسيرة السوق القديم ، وانما نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٨٣١

(٣) كانت بالاصل (شروين) وهو غلط منشؤه تحريف من الناسخ ، لان شروين - بالواو - اسم لجبال في طبرستان كما ذكره الحموي في معجمه والصواب ما كتبناه ، وهو اسم مدينة قديمة في جبل نفوسة (المعروف عندنا بالجبل الغربي) . قال في مرصد الاطلاع : شروس ، اوله مثل آخره ، وربما قيل بالمعجمة في اوله مدينة نفوسة في جبل نفوسة بأفريقية واهلها اباضية وهي نحو من ثلاثمائة قرية اهـ وقد ذكرها صاحب معجم البلدان في الكلام على جبل نفوسة فقال . . . وفيه - اى في جبل نفوسة - منبران في مدينتين أحدهما شروس في وسط الجبل ، والاخرى يقال لها جادو . الى آخر ما قال

نفوسة فافتتحها . قال البكري . وهي مدينة أهلة جليلة . وبين طرابلس
وشرّوس خمسة أيام

ولم يزل سورها ^(١) خرابا الى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فجدده من جهة البر
عبد الرحمن بن حبيب المتغلب على افريقيا وأخّر دولة بني أمية . وتأخر بناءه
من جهة البحر الى سنة ثمانين ومائة فبنى على زمن هارون الرشيد زمن ولاية
هرثمة بن أعين على افريقية من قبله ، وهو الذي بناه على يد ثقتة زكرياء ابي قادم
ثم زاد أبو الفتح زيان الصقلي متولى طرابلس سنة خمس وأربعين وثلاثمائة في
رفعه واتقانه من جهتي البر والبحر [وكان مولى] من جهة المنصور اسماعيل بن القائم
بأمر الله بن عبّيد الله المهدي لعنه الله

ولم تزل تحت ولاية بني أمية ثم بني العباس الى أن غلب أبو عبد الله الشيعي
على أكثر بلاد افريقيا وفرّ زيادة الله بن الأغلب من رقادة ^(٢) هاربا الى
طرابلس وأقام بها أياما ثم رجع الى رقادة وولى عليها أخاه أبا العباس وتعام بن
المبارك وانفصل الى سجلماسة ، فلحق بعبّيد الله واستخرجته من سجنها ودعا له
بإخلافة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، وقدم افريقية وقتل أبا عبد الله الشيعي
وأبا العباس أخاه

مصار أبي القاسم القائم بأمر الله

﴿ مدينة طرابلس ﴾

ولما استقامت له الامور جهز جيشا لطرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة

(١) اي طرابلس

(٢) قال في المعجم : رقادة بلد كانت بأفريقية ، بينها وبين القيروان اربعة اميال . بناها ابراهيم بن احمد
ابن الاغلب سنة ٢٦٤ ، ووقعت بها حروب بين ابي الخطّاب بن السمّح القائم بدعوة الاباخية في طرابلس وبين
ومجموعه فقتلهم قتلا ذريماً . قيل وبذلك سميت رقادة لكثرة القتل فيها ، وكان تغلب عبّيد الله الملقب بالمهدي
على رقادة وطرد بني الاغلب عنها في شهر ربيع الاول من سنة ٢٩٧ واستقر بها ملكه ٨١ ملخصاً منه

ثم انصرف عنها خائباً ولم يفتتحها ، ففاظ ذلك عبيد الله ، فوجه اليها ولده أبا القاسم الملقب بالقائم بأمر الله في جيش ، وكان ذلك في سنة ٣٠٣ فحاصرها وضيق عليهم الى أن فني طعامهم - وقد كانوا أجمعوه شراً ونالوا من عرضه - فسالمهم في أنفسهم الا قليلا منهم ، وأغروهم ما أنفق على الجيش ، وذلك أربعمائة ألف دينار ، وولى تغريمهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق من أبناء جندها وولد بها ، وكانت له صولة وهيبة وحظ جليل من العلم ، وباع متسع في الأدب ، واستخلف عليها القائم واليا من قبله . ثم انصرف عنها متوجها لمصر بجيوشه فلحق بها في سنة ست وثلاثمائة فأخذ الاسكندرية وأكثر الصعيد ، وكان أبوه المهدي قبل ذلك سنة احدى وثلاثمائة قصد مصر في أربعين ألفاً ليأخذها فرد خائباً ثم رجع ولم تزال طرابلس تحت ولايته وولاية ابنه المنصور ثم ابنه المعز لدين الله معد الى أن أصاب مصر غلامه شديدٌ أضعفهم وكان ذلك سنة ٣٥٣ بعد وفاة كافور الاخشيدى الخصى المكفي بأبي المسك ، كان عبداً حبشياً أسود اشتراه محمد الاخشيد بن طغج التركي الفرغاني المتغلب على مصر زمن الرازي العباسي ، فانه تملكها قهراً ثم وصل له التقليد من الرازي عن كُرِه

وقد كان كافور^(١) هذا تولى ملك مصر بعد وفاة ابني سيده: أبي القاسم وأبي الحسن وكانت في صفر سنة ٣٥٥ فأقام سنتين وأربعة أشهر ، وكان يدعى له على المنابر بمصر والشام والحجاز وله مآثر حميدة ، ودفن بالقرافة . وكان خبيراً بالسياسة ، فطناً ذكياً ، جيد العقل . وكان يداري ويخدع ، فكان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ويدعي الطاعة لبني العباس . وقد وقعت في أيامه

(١) اشتراه سيده الاخشيد بثانية عشر ديناراً ، اي بأقل من اثني عشر ديناراً مصرياً ثم اعطاه بعد ان رباه ورفاه حتى جعله من كبار قواد الجيوش ، وظهرت مواهبه وفضله وحزمه وسياسته حتى صار املاً للملك ومات وهو على الملك . اه من كتاب نظام النفقات في الشريعة الاسلامية للاستاذ احمد ابراهيم

زلزلة ففرّ الناس منها فأنشد بعض الشعراء :

ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدلكم طرباً
ولما مات تولى أبو الفوارس أحمد بن علي بن الاخشيد ، وكان صغيراً لم
يحسن الأمر ، ولم يبق بمصر من يجتمع عليه القلوب بعد كافور ، وأصابهم الغلاء ،
وكانت للمعز جواسيس بمصر في أيام كافور يرسلونه : « انك ان زال الحجر الاسود
ملكك الدنيا » يعنون به كافورا . فلما مات راسلوا المعز فوجه اليهم جوهر القائد
في مائة ألف فسلم مصر بلا قتال فلما وطئ مصر وارتفعت منها الخلافة العباسية
بقي له القاهرة مفاخرة لبغداد بفي العباس سنة ٣٥٨ وشرع في بناء الأزهر سنة
٣٥٩ وأتم بناءه سابع رمضان سنة ٣٦١ . ولما بلغه تمامها انتقل اليها المعز لدين الله
محمد ، بن المنصور اسماعيل ، بن القائم بأمر الله ، بن المهدي بأمر الله عبيد الله ،
ابن الحسين بن محمد ، بن قداح . وهو أول ملوك العبيديين . تولى خمساً
وعشرين سنة وثلاثة أشهر . وكانت ولايته سنة سبع وسبعين ومائتين ، وهو
الذي ابتنى مدينة المهدية بأفريقية واليه تنسب . ثم تولى ابنه القائم بأمر الله أرض
المغرب وأفريقية وطرابلس اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر . ثم تولى ابنه المنصور
بملكته اثنتين وثلاثين عاماً . ثم تولى المعز المغرب وأفريقية وطرابلس ومصر
أربعاً وعشرين سنة ، وكان انتقاله لمصر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كذا ذكر
الشيخ [مرعي في تاريخه مدة تولى كل منهم . ولم أره لغيره ، ولا يصح شيء من
ذلك لمن تأمل كلامه . وذلك أنه اتفق على أن عبيد الله المهدي دعى له بالخلافة
سنة سبع وتسعين ومائتين وهو بسجاسة ، ثم قدم أفريقية وافتكها من يد الشيعة
وفي سنة احدى وثلاثمائة جهز لطرابلس ومصر جيشاً فرد خائباً كآمر ، وحاصر
طرابلس سنة ثلاث وثلاثمائة على يد ابنه القائم بأمر الله فافتتحها ، ولحق بمصر
سنة ست وثلاثمائة ، وأخذ الاسكندرية وأكثر الصعيد ، ثم انتفضت عليه .

وقد ذكر أن مدة توليهم - غير المعز - تسع وستون سنة وعشرة أشهر منها ثلاثة تكلمة الثلاثمائة ، وبقيت سبع وستون وثلاثمائة الا شهرين ، مقتضى ذلك أن ولاية المعز كانت فيها . وقد ذكروا أن المعز انتقل الى مصر بعد أن أفضى اليه الملك سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وأقام في الملك أربعة وعشرين عاماً ، وهو يقتضي أن ابتداء ولاية المعز كان في سنة سبع وستين ، ففي كلامه أولاً وآخرآ تناقض لا يخفى

ولما انتقل المعز سنة اثنتين وستين وثلاثمائة من دار ملكه التي هي صبرة^(١) الى مصر ، وعزم على اتخاذها دار ملكه - وكان فيما يزعمون عنده أثاره من علم الحدائق عرف بها مصائر أحواله ، وأهل الغنية من أعيان رجاله . وكانت عنده علامة خليفته على افرقية اذا صار اليه الملك يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه - دعى زيري بن مناد ، وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس الطالب . وكان له عشرة من الولد فقال ادع لي بفيك فقد علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان أصغرهم سنّاً ، وأهونهم عليه شائعاً يوسف ، فدعا بفيه سواء . فلما أحضرهم بين يديه نظر في وجوههم فأبكرها ، حين فقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بفيك أحداً ، فليست أرى لمن هاهنا منهم يداً ، فقال الا غلاماً ، وطفق يحقر شأنه والمقدار عناء وأعانه ويطوي أخباره ، والاختيار يريد عليه مداره . فقال له المعز : لا أراك حتى أراه ، فليست أريد سواء . فلما رآه عرفه ، وفوض اليه من حينه واستخلفه

(١) صبرة : بالفتح ثم السكون ثم راء ، بلد قريب من مدينة القيروان ، وتسمى المنصورية . من بناء مناد ابن بلكين ، سميت بالمنصور بن يوسف بن زيري بن مناد . واسم يوسف بلكين الصنهاجي . والمنصور هذا هو والهاديس والد المعز بن باديس ، وكانوا ملوك هذه النواحي ، ومات المنصور هذا سنة ٣٧٦ وقد ولي ملك تلك البلاد ثلاث عشرة سنة وشهوراً . وقال البكري (صبرة) متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبد الله سنة ٣٣٧ واستوطنها ، اه معجم

وتوجه لمصر ومعه ألف وخمسمائة حمل موسوقة ذهباً . وحمل نواييت آباءه
 محبته ، ودفعهم بالقاهرة بقصره ، فلا رحمه الله ولا رحم آباءه . فاستولى [يوسف]
 من وقته على الامور ، وزاحت مهابته الاهواء في الصدور . وبعدت أسفاره واشتهرت
 أخباره ، واشتمل على طرفي الايام والليالي مورده واصداره ، ثم أجاب صوت
 مناديه ، وخلم الامارة على أعطاف بنيه حتى انتهت منهم الى المعز بن باديس
 وفي أثناء امارتهم على افريقية استولى على طرابلس بنو خزرون
 الزنانيون ، ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة من رامها فليراجع
 تاريخ الرقيق فان فيه غرائب وعجائب

ولما استولى المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد ،
 فأول ما افتتح به شأنه وثبت به دعم سلطانه اذية الرافضة أشياخ بني عبيد خفية ،
 وبلغ ذلك أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر بن الحاكم البيهقي
 الذي بنى بجامع عمرو بن العاص تنوراً فيه مائة ألف درهم فضة ، وبعث له من
 القصر ألفاً ومائتين وتسعين مصحفاً ^(١) منها ما هو مكتوب كله بالذهب فأحرقها .
 وبني جامع الحاكم وممثلة الانور ، بين باب النصر وباب الفتوح . وهو الآن
 خراب لتأسيسه على شفا جرف هار . وكان قاضيه يكتب على السجل : « قاضي
 القضاة ، قاضي عبد الله الامام الحاكم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه
 الطاهرين ، على القاهرة المعزية ، ومصر والاسكندرية ، وأجناد الشام والرحبة
 والركة والمغرب وأعمالها »

قال المؤرخون : لم يل مصر بعد فرعون شر من الحاكم . رام أن يدعي
 الالهية ، وصار قوم جهال إذا رأوه قالوا : يا واحد يا أحد ، يا محيي يا مميت . وأمر

(١) ذكرت هذه المصاحف وهذا التنور في الخطط التوفيقية عند الكلام على جامع عمرو ولم يذكر حرقها

الرعية بالقيام له عند ذكر اسمه في الخطبة وغيره من مواضع الاجتماع . وكان كثير التلون لعنه الله ، مرة يأمر ببناء الكنائس ومرة يهدمها ، وبني المدارس وجمع فيها الفقهاء والمشايع وقتلهم وأخربها . وأمر بقتل الكلاب ، وحرّم الملوخية ، وأغلق الاسواق نهاراً وأمر أن تفتح ليلاً . وله قبائح كثيرة

وكانت دولة بني عبيد الناجمين ^(١) دولة رديئة تنتسب لفاطمة الزهراء رضي الله عنها كذباً وافتراء . وغرم في ذلك نسبتهم الى الحسين بن محمد بن قداح ، كان مجوسياً ، وقيل يهودياً ، فظنوا أنه الحسين بن علي رضي الله عنهما وأنما هم زنادقة مجوس أو يهود ، وعلى ذلك أكثر المؤرخين . وبهم ارتفعت الخلافة العباسية من مهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة كما ذكرنا ، وتسموا ظلماً بالخلفاء وامراء المؤمنين ، وأقاموا مذاهب الرفض والشيعه وعطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء

وفي مدتهم - لعنهم الله - ضيعوا أئمة السنة قتلاً ونفيًا وتشريدًا . وأفردهم العلماء بالتأليف ، فمنهم أبو شامة ^(٢) ، أفردهم بكتاب سماه « كشف ما كان عليه بنو عبيد ، من الكفر والكذب والتكيد » . وكتب بعض أجلة بغداد من العلماء فيهم أيام الحاكم كتاباً بين أنهم ليسوا من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنما هم كفار فساق وملحدون ، وزنادقة ومبطلون ، وللإسلام جاحدون ، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء . الخ

وقال الرعي : أجمع علماء القيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة . وقال أبو الحسن القابسي من علماء القيروان :

(١) سمي المؤلف دولة بني عبيد في مصر بالناجية لان دولتهم تأسست في افريقية بسجلامة وأول من انتقل منهم الى مصر هو المعز لدين الله سنة ٣٦٢ وهو الذي بنى مدينة القاهرة
(٢) هو الامام الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل البغدادي توفي بها سنة ٦٦٥ وكنيته ابو شامة

ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت . وإجبنا لو كان رافضياً ، ولكنه زنديق . وقال تقي الدين ابن تيمية : بقي ولاية القاهرة نحو مائتي سنة على غير شريعة الاسلام . وكانوا يظهرن أنهم رافضة ، وهم في الباطن اسماعيلية ونصيرية وقرامطة وباطنية . وكذا قال الغزالي في كتابته في الرد عليهم : ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر المحض . والذي يوجد في بلاد الاسلام من الاسماعيلية ، والنصيرية والقدرية من أتباعهم . وكانوا - وهم بالقاهرة - يستوزرون مرة يهوديا ومرة نصرانياً أرمنياً ، فبذلك كثرت الكنائس والديور في أرض المسلمين . وكانوا ينادون بين القصرين بمصر : من لعن الصحابة فله دينار وأردب . وكانوا من شر الخلق ، فيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ، ولم يستوزر أحد منهم مسلماً على مقتضى كلام ابن تيمية الا الظاهر لاعزاز دين الله علي ولدا الحاكم فانه استوزر أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني^(١) أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء ، وبعد غور ، ونفوذ فكرة

ولما بلغه اذاية المغز بن باديس أشيعا بن عبيد سر بذلك ، وكان مستميلاً للمعز معرضاً بالتحزب معه على بني عبيد

(١) أبو القاسم علي بن أحمد من الدهاة ولد في جرجاريا (بسواد العراق) وسكن مصر فتقل في الاعمال السلطانية وكثر النظم منه في أيام الحاكم الفاطمي فقبض عليه في سنة ٤٠٣ هـ وأطلق ثم صدر الامر بقطع يديه سنة ٤٠٤ هـ فقطعنا . واستوزره الظاهر الفاطمي سنة ٤١٨ هـ وأقره بعده المستنصر ولقب بالوزير الاجل الواحد هـ ص كتاب الاعلام للزركلي

(١)

نقض المعز به باديس عمر العبيديين

﴿ ودعوته للخليفة العباسي ببغداد ﴾

فانتهى أمر المعز في أذية أتباعهم حتى بدأهم بالقتل وصرح بلعن بني عبيد على المنابر وأرسل [الى] أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله ، بن القادر بالله أحمد ، ابن المقتدر بالله ، بن المعتضد ، بن الموفق ، بن المتوكل على الله جعفر ، بن المعتصم بالله محمد بن المأمون عبد الله ، بن هارون الرشيد ، بن المهدي محمد ، بن أبي جعفر المنصور ، بن محمد ، بن علي ، بن عبد الله ، بن العباس ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ببغداد . وخطب له بأرض المغرب وإفريقية ، وكتب له العهد ، وأرسل له الخلع واللقب على طريق القسطنطينية . قيل وكتب المعز للجرجرائي - لما كان يظن به من التحزب معه على بني عبيد - قطعة تمثل فيها بقوله :

وفيك صاحبت قوما لاخلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

بخطه يشير بذلك لبني عبيد ، ويزعم انه إنما أبقي عليهم بعض الابقاء من أجل حبه ، فلما وقف الجرجرائي عليها قال : ألا تعجبون من هذا الامر؟ صبي مغربي بربري ، يحب أن يخدع شيخاً بغدادياً عربياً . واتهمه بأنه إنما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عثروا على هذه الرموز . فأقسم لاجبشن عليه جيشاً ولا تحملن فيه نصباً

(١) تولى المعز بن باديس على إفريقية سنة ٤٠٨ هـ وكان تابعاً لدولة العبيديين في مصر يخطب لهم على المنابر ويضرب السكة باسمهم وكان يميل الى مذهب اهل السنة والجماعة واستمر يكتم هذا الامر الى سنة ٤٤٣ هـ شاهر به واعتقه وخالف اسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة ٨١. من التبان لرأفة بك (ص ١٧٩ و ١٨٠) وهو من بني زيري الذين استباحهم العبيديون على إفريقية حينما رحلوا الى مصر سنة ٣٦٢

دخول العرب الى افريقية

و كان المستنصر العلوي صاحب مصر بلغه ما فعل المعز من قطع الخطبة له وخطبته للقاء بأمر الله ، فكانت المعز تهدده . فلما بلغ كتابه المعز أغلظ له في الجواب فكلف الوزير الجرجاني — على ما ذكر ابن بسام — العرب العبور اليه . وكانت بطونا من بني عامر بن صعصعة : زعنا ، و بني عدى ، والاتبج^(١) ، ورياح وغيرهم تنزل بالضعيد ، لا يسمح لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين اجازة النيل ، فأفرج لهم الجرجاني على السبيل وأذن لهم في المعز : أمتية طالما سرت اليها أطعمهم ، وعلقت عليها أسماعهم وأبصارهم . فعشيه منهم سيل الحرم ورماه منهم بدؤلول **ايفل** الرقم^(٢) ، فتهاون المعز بهم أولا ، فشغلهم بخدمته وأثقلهم بأعباء نعمته ، وهم في أثناء ذلك يتمرسون بحياته ويدبون الى أنصاره وحاماته ، ويطلعون على مقاتله وعوراتهم حتى بازلم شأنه ، وهان عليهم سلطانه . فجأهروه بالعداوة وراودوه على الاتاوة . فأغص الجرجاني أهل افريقية بريقهم . حاجة كانت في نفسه من افساد هذه البلاد تعجل قضاءها . لم مالا بن بسام باختصار

وقال ابن الاثير : ان الذي أقطع العرب النيل الوزير اليازوري استوزره المستنصر العلوي ولم يكن من أهل الوزارة ، وانما كان من أهل النيابة والفلاحة ، فلم يخاطبه المعز بما كان يخاطب من خلفه . كان يخاطبهم بعبد ، فخاطب اليازوري

(١) كانت بالاصل الاتبج وهو غلط قال ابن خلدون : والاتبج من الملايين اوفر عددا واكثر بطونا وهم الذين تم لهم الغلب على صنهاجة بافريقية على الضواحي

(٢) اي بداهية بنت داهية

قال في اللسان : والدؤلول الداهية والجمع الدآليل . وقال في حرف الميم الرقم بكسر القاف : الداهية ومالا يطلق له ولا يقام به ، قال الاصمعي : جاء فلان بالرقم الرقاء كقولهم بالناهية الداهية . قال الجوهري : الرقم بكسر القاف الداهية وكذلك بنت الرقم

بصنيعته فعظم عليه ذلك وعاتبه فلم يرجع الى ما يحب . فأكثر الوقعة في المعز
وأغرى به المستنصر ، وشرعوا في ارسال العرب الى المغرب ، فأصلحوا بين بني
زعب ورياح وكانت بينهم حروب وأحقاد ، وأعطوهم مالا وأمروهم بقصد بلاد
القيروان وملكوهم كل مايفتحونه ، ووعدوهم بالممدد والعمد

واختلف فيما أعطوهم من المال ، قيل لكل فروة ودينار ، وقيل غير ذلك ،
فدخل العرب افريقية وكتب اليازوري الى المعز :

« أما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي
الله أمراً كان مفعولاً » فلما حلوا ببرقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرحى
خالية من الابل لان زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز فأقامت العرب بها ، فاستولوا
عليها وعاثوا في أطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم

وكان المعز لما رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد ووسع لهم
في العطشاء فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك ، وأقلعت العرب فلك بنوزعب مدينة
طرابلس سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فتتابعت رياح والانبج وبنو عدي الى
افريقية ، وقطعوا السبيل ، عاثوا في الارض وأرادوا الوصول الى القيروان .
فقال موسى بن يحيى المرداسي : ليست المبادرة عندي برأي ، فقالوا وكيف تحب
أن نصنع ؟ فأخذ بساطاً فبسطه ثم قال لهم : من يدخل وسط هذا البساط من غير
أن يمشى [عليه] ؟ قالوا لا يُقدَر على ذلك ، فقال هكذا القيروان ، خذوا شيئاً
فشيئاً حتى لا يبتى الا القيروان فخذوها حينئذ . قالوا انك لشيخ العرب وأميرها
وأنت المتقدم عليها ، ولتنا نقطع أمراً دونك

ثم قدم أمراء العرب الى المعز فأكرمهم ، وبذل لهم شيئاً كثيراً فلما خرجوا من عنده
لم يجازوه بما فعل من الاحسان ، بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وأفسدوا الزرع وقطعوا
الثمار وحاصروا المدن ، فضاق بالناس الأمر ، وساءت أحوالهم ، وانقطعت أسفارهم ،

ونزل بأفريقيا بلاء لم ينزل بها مثله قط . فعند ذلك احتفل^(١) المعز وجمع عساكره وكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلهم رجالة ، وسار من دار ملكه وهي صبرة - وهل هي زواغة التي هي مدينة بينها وبين طرابلس مسيرة يوم ، وزواغة وصف لها وليس يعلم ، والعلم هو صبرة ، أو هي صبرة التي بأفريقية ؟ وهو الاظهر^(٢) - حتى قدم جندارا ، بينه وبين القيروان ثلاثة أيام ، وكان عدة العرب ثلاثة آلاف فارس ، فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم ، فقال موسى بن يحيى : « ما هذا اليوم يوم فرار ، اليوم يوم العيينين^(٣) » . والتحم القتال واشتدت الحرب فانتقلت صنهاجة على الهزيمة ، وتركوا المعز مع العبيد حتى يروا قتالهم ويقتل أكثرهم فعند ذلك يرجعون ، فانهمزمت صنهاجة وثبت المعز مع العبيد حتى قتل منهم خلق كثير ، وأرادت صنهاجة الرجوع فلم يمكنهم ذلك ، واستمرت الهزيمة ، وقتل من صنهاجة كثير ، وانتقل المعز الى القيروان مهزوما على كثرة من معه ، وأخذ العرب الخيل والخيما وما فيها من المال وغيره ، وفيها يقول علي بن رزق الرياحي :

وان ابن باديس لأحزم مالك ولكن لعمرى مالدیه رجال

ثلاثة آلاف لنا غلبت له ثلاثين ألفا إن ذا لنكال

وكان توجههم لأرض المغرب من مصر سنة اثنيتين وأربعين وأربعمائة ولقيهم المعز وجيشه سنة ست وأربعين وأربعمائة

ولما دخل القيروان مهزوما جمع في يوم النحر من هذه السنة سبعة وعشرين

(١) قال في أساس البلاغة : حفل القوم واحتفلوا : اجتمعوا

(٢) لامعنى لهذا الاستفهام من المؤلف فهي غيرها قطعاً وسيأتي له تفسيرها بالنصورية . انظر الكلام على صبرة في صحيفة ١٩

(٣) لم تكن واضحة بالاصل ورسمها يشبه (العيين) و (العيينين)

ألف فارس ، وسار الى العرب [في] جريدة^(١) وسبق خبره ، فهجم عليهم وهم في صلاة العيد ، فركبت العرب خيولها وحملت فانهمزمت صنهاجة وقتل منهم عالم كثير ، ثم جمع المعز وخرج بنفسه في صنهاجة وزنائة في جمع كثير ، فلما أشرف على بيوت العرب - وهي قبلي جبل جندار - انتشب القتال ، واشتعلت نيران الحرب ، وكان العرب سبعة آلاف فانهمزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله ، وانهمزمت زنائة ، وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد الى صبرة التي هي المنصورية^(٢) ، وأحصى من قتل من صنهاجة اذ ذاك فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ، ثم أقبلت حتى نزلت مصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من زنائة بالمنصورية خلق كثير . فلما رأى ذلك المعز أباح دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع أو شراء . فلما دخلوها وقعت فتنة عظيمة بين أهلها وبعض العرب فكانت الغاية الحرب وكان المعز سنة أربع وأربعين وأربعمائة بنى سور زويلة^(٣) والقيروان . وفي سنة ست وأربعين وأربعمائة حاصرت العرب بالقيروان الخ كما تقدم

وأشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهديّة^(٤) لعجزه عن حمايتهم من

(١) قال في اساس البلاغة : وحاجت جريدة من الخيل : وهي التي جردت من معظم الخيل لوجه

(٢) تفسيره هنا صبرة بالمنصورية يؤيد ما قلناه في صفحة ٢٦

(٣) زويلة بقرب المهديّة بتونس بناها المهدي بعد ان اتم بناء المهديّة وجعل بينهما مقدار رمية سهم وافردها بسور وابواب والمؤلف يقصد ببناء سور زويلة تجديد

(٤) المهديّة مدينة بتونس بناها المهدي وبه سميت ، شرع في بنائها سنة ٢٠٢ ، وكل سورها سنة ٣٠٥ ولما فرغ من احكامها قال : اليوم امنت على الفاطميات : يعنى بناته ، . . . وفي سنة ٤٠٣ ارسل اليها رجار صاحب صقلية قائده جورجي بن ميخائيل - قال ابن خلدون : وكان من المنتصرة وافتكها من الحسن بن علي ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، والتحق الحسن بعبد المؤمن بالمغرب . وبقيت في يد الفرنجة اثنتى عشرة سنة حتى التمسها عبد المؤمن في الحرم سنة ٥٠٥

وينسب الى المهديّة هذه كثير من أهل الفضل منهم ابو الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني المهدي المعروف بالحداد . وهو القائل :

العرب ، وأقام المعز والناس ينتقلون الى المهديّة الى سنة تسع وأربعين وأربعمائة - فانتقل اليها في شعبان فلقاه ابنه تميم - وكان المعز قد ولاه سنة خمس وأربعين وأربعمائة أحسن قبول . وكانت واقعة بين عبيد تميم وعبيد المعز ذلت بها عبيد المعز وكانوا ييلفون المعز عن ابنه ما يكره ، فلما رآه رأى ما سره منه وسلم اليه الأمر ، ولم يرزل بها المعز الى سنة ثلاث وخسين وأربعمائة فتوفي رحمه الله . وكان ملكه سبعاً وأربعين سنة ، وكان عمره لما ملك إحدى عشرة سنة ، وقيل ثمان سنين وستة أشهر

وكان رحمه الله تعالى رقيق القلب خاشعاً متجنباً لسفك الدماء الا في حد حليماً يتجاوز عن الذنوب العظام ، حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه ، مكرماً لأهل العلم كثير العطاء لهم ، كريماً ، وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناني ، كان عنده ، وقد جاءه هذا المال فاستكثره ، فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أفرغته من أوعيته ؟ فقال : لئلا يقال : لو رآه لما سمحت به نفسه . وكان له شعر حسن ، ولما مات رثاه الشعراء ومنهم أبو الحسن بن رشيق فقال :
لكل حي وان طال المدي هلك لاعز مملكة يبقي ولا ملك
ولا المعز على أعقابها فزهاً أو كان ينهد من أركانه الفلك^(١)

قال وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع
بت الدفاتر وهي آ خر ما يباع من المتاع
فاجتهدا وبدى علي كبدى وهمت بالصداع
لا تصحبي مما رأيت فنحن في زمن الضياع

والمهديّة ايضا مدينة تقع من مراكش في جنوبها الغربي على مسافة عشر مراحل ، اختطها عبد المؤمن ونماها هذا الاسم معجم
(١) روى صاحب (التنف) هذا البيت هكذا :

ولي المعز على أعقابها فرمى أو كاد الخ

ووضع عليه علامة استفهام هكذا ؟ وروى البيهقي الاخيرين هكذا :

ولم يجد بقتاير مقتطرة قد اوعيت باسمه ابرزها السكك
راح المعز وروح الشمس قد قبضا فانظر بأي ضياء يصعد الفلك

ورواية المؤلف في البيت الاخير اوضح في المعنى من رواية صاحب التنف

مضى فقيراً وأبقى في خزائنه هام الملوك وما أدراك ما ملوكوا
 ما كانت الاحساماً سله قدر على الذين بغوا في الارض وانهمكوا
 كأنه لم يخض للموت بحروفي خضر البحار اذا قيست برك
 ولم يجد بقنسا طير مقنطرة قد توجت باسمه ابريزها السكك
 روح المعز وروح الشمس قد قبضا فالنظر بأى ضياء يصعد الملك

ولاية تميم بن المعز بن باديس

ولما توفي ملك ابنه تميم . وكان مولده بالمنصورية منتصف رجب من سنة
 اثنتين وعشرين وأربعمائة ، واستقل بالملك ، واتخذ دار ملكه المهدية لأنها
 محل ولايته في حياة أبيه كما ذكرنا . ولما استقل بالملك سلك مسلك أبيه في حسن السيرة
 ومحبة أهل العلم ، إلا أن عمال أبيه الذين في البلدان قد طمعوا في الاستقلال بالملك
 بسبب تغلب العرب . وكانت هيبة بني باديس قد وهت أيام المعز بما كان من
 الاعراب ، فلما مات ازداد طمع العمال في الاستقلال وأظهر كثير منهم الخلاف
 فممن أظهر الخلاف عليه القائد حمو بن مليل^(٢) قائد صفاقس واستعان
 بالاعراب ، ووقعت بين أصحاب تميم وحمو وقعة كانت لأصحاب حمو على أصحاب
 تميم . وكان المظفر بن علي كاتباً لحمو ، وكان بليغاً مشهوراً بالبلاغة وحسن
 الكتابة ، وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يفيظه ، وبلغ منه كل مبلغ . فلما كانت
 بين أصحابهم الواقعة المذكورة واستأصل فيها أصحاب حمو أصحاب تميم كتب مظفر
 الى تميم كتاباً تمثل فيه بقول أبي الطيب :

(١) كانت بالأصل ملك والصحيح من ابن خلدون فقد قال في عدة مواضع حمو بن مليل البرغواطى
 صاحب صفاقس

فان كان أعجبكم عامكم فعوداً الى مصر في القابل
 فان حسام الخصيب الذي قُتِلَ به في يد القاتل
 وكان قد تحدث في المهديّة بموت حُوّ وبلغ ذلك حُوّ فأمر مظفر أن يكتب
 الى تميم في هذا المعنى ، فكتب اليه متمثلاً بقول أبي الطيب :

كم قد دفنت وكم أقبرت عنكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن^(١)
 ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
 وكتب تميم مرة لحُوّ يعظه ويتهدده ، وتمثل فيه بقول الشاعر :
 ستعلم ليلى أيّ دين تدايفت وأيّ غريم للتقاضى غريمها
 فراجعته عنه مظفر متمثلاً بقول قيس بن ذريح :

ستعلم ان شطت به غربة النوى وزالوا بليلى أن عقلك زائل
 وقيل انه تمثل في مراجعته عن هذا الكتاب بقول جرير :
 زعم الفرزدق أن سيقتل ربعاً أبشر بطول سلامة يارب
 قلت : وهذا أظهر في الجواب من ذلك

وكتب تميم الى حُوّ - بأثر وقعة كانت لميم عليه - كتاب ايناس والطف فراجعته
 في الجواب مظفر متمثلاً بقول عبد الله بن محمد العطار :

لا تظنن امرأة أغضبته سبب ثم انتفضي ذاك السبب
 سالم الصدر من الحقد ولو أكثر الود ولم يبد الغضب
 كرماد النار يبقى حرها كامناً فيه ولو زال اللهب

فبذلك تأكدت الوحشة بينهما ، واستعان حُوّ بالعرب وقصد حصار المهديّة

(١) الشطرة الأولى في ديوان المتنبي هكذا (كم قد قتلت وكم قد مت عنكم) . وفيه بيت ثان بين
 البيتين اللذين ذكرهما المؤلف وهو :

(قد ن شاهد دفن قبل قولم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا ما كل الخ

نفرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهمز حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ونجا حمو بنفسه ، وتفرقت خيله ورجاله . وكان ذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وكان التفاوضا بسلطنة ^(١) ، وبها كانت الواقعة ثم سار تميم الى سوسة ^(٢) وكان أهلها قد خالفوا أباه الممز وعصوا عليه - فلحقها وعفا عنهم

وفي سنة سبع وخمسين من التاريخ المذكور وقعت بين تميم والناصر بن علقناس الصنهاجي حروب عظيمة وكان سببها أن حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين عمه باديس بن المنصور أبي الممز جد تميم خلاف وشقاق أوجب مسير باديس اليه وحاصر قلعة بني حماد ، ولولا تلك القلعة لآخذهم سريعاً ومات باديس وهو محاصر لها وتولى ابنه الممز فبايعه حماد على ضمن منعه من اظهار العجز ، ومات وتولى ابنه قائداً ، ودخل تحت طاعة الممز على ما كان عليه أبوه . وكان يضمم القدر وخلع طاعة الممز والعجز بمنعه من ذلك الى أن رأى قوة العرب وما نال الممز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد ، وبعده ولده محسن ، وبعده ابن عمه بلكين بن محمد ، وبعده ابن عمه الناصر بن علقناس بن محمد بن حماد ، وكل منهم متمحصن بالقلعة ، وقد جعلوها دار ملكهم . فلما رحل الممز من صبرة والقيروان الى المهديّة تمكنت العرب ونهبت

(١) حكنا الاصل قلت سلطنة بريقة ولعل التي ذكرها المؤلف (سيطة) وهي مدينة من مدن افريقية بينها وبين القيروان سبعون ميلاً . وقال بعض السياح : بنى جامع القيروان باحجار حلت من خرائب سيطة (٢) سوسة بلفظ واحدة السوس : مدينة صغيرة بينها وبين صفاقس يومان ، وبينها وبين المدينة ثلاثة أيام وتقع على نحو ١١٠ كيلومترات الى الجنوب والشرق من مدينة تونس وقد اساط بها البحر من الشمال والجنوب والشرق . ويسورها باب الى جهة القيروان يقال له باب القيروان واليها تنسب الثياب السوسية الفاخرة . وقد ارسل اليها معاوية بن خديج عبد الله بن الزبير في جمع كثير . وكان البطاريرك صفور جاء من قبل ملك صقلية لاحتلالها . فسار عبد الله بن الزبير حتى وصل باب المدينة فنزل عن فرسه وصل بالناس المعسر ، ولا فرغ من صلاته - وكان العدو قد اخذ في المعجم عليهم - شد عليهم فزهمهم . وقد نرى سورها زيادة الله بن الاغلب ، وكان يقول :

لا ابل ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفي اربع حسنات : ببناء المسجد الجامع بالقيروان ، وبنان قنطرة الربيع ، وبنان حصن مدينة سوسة . وتولى أحمد بن أبي حمزة قضاء افريقية له معجم

الناس ، وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبلا وعرة يمكن الامتناع بها من الغرب ، فعمرت بلادهم ، و كثرت أموالهم ، وبقيت في نفوسهم الضغائن من باديس ومن بعده من أولاده يرثها صغير عن كبير الى أن ولي تميم الأمر بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد أو قلعة من عملهم بمكانه وتميم يداري ويتجلد . واقتل به أن الناصر بن علنأس يقع فيه في مجلسه ويذمه ، وانه عزم على المسير ليحاصره في المهديّة ، وانه حالف بعض صنهاجة وزناة وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة . فلما صبح ذلك عنده أرسل الى أمراء بني رياح فأحضرهم اليه وقال : « أنتم تعلمون أن المهديّة حصن منيع أكثره في البحر ، لا يقابل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا ، وانما جمع الناصر هذه العساكر ليسير اليكم » فقالوا له : الذي تقول حق ، ونريد منك المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح من السيوف والرماح والدرق ، فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر ، وأرسلوا الى من مع الناصر من بني هلال يقيمون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى ، وانه يهلكهم عن معه من زناة وصنهاجة ، وانه انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد ان دام الخلف وضعف السلطان . فأجابهم بنو هلال الى الموافقة ، وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها علينا ونحن نهزم بالناس ، ويكون لنا ثلث الغنيمة ، فأجابوهم الى ذلك واستقر الأمر . وأرسل المعز بن زيरी الزناني الى من مع الناصر من زناة بنحو ذلك ، فوعده أيضا أن ينهزموا . فحينئذ رحلت رياح وزناة جميعا وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناة وبني هلال فالتقت العساكر بمدينة سيبيّة^(١) فحملت رياح على بني هلال ، وحل المعز على زناة فانهزم الطائفتان وتبعهم عسكر الناصر منهزما ، ووقع فيهم القتل ، فقتل فيمن قتل القاسم بن علنأس أخو الناصر . وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناة أربعة وعشرين ألفا ، وسلم الناصر في نفر يسير ، وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر

(١) سيبيّة : ناحية من أعمال القيروان ، واليها ينسب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الديلمي خطيب المهديّة

من مال وسلاح ودواب وغير ذلك واقتسموها على ما استقر بينهم . وبهذه الواقعة تم للعرب ملك البلاد . فاتهم قدموها من ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم ، وقل المحامي عن البلاد . وأرسلوا الأموال والسلاح ورحيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال : يقبح ان آخذ سلب ابن عمي . فأرضى العرب بذلك

وعلقناس : بفتح العين المهملة واللام والنون ، وبعد الالف سين مهملة ولما كانت هذه الواقعة بين بني حماد والعرب ، وقويت شوكة العرب اغتم تميم لذلك وأصابه حزن شديد ، فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر ابن أبي الفتح ، وكان رجلا جيذا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر : ألم أشر عليك أن تقصد ابن عمك وأن تتفقوا على العرب ؟ فانكألو اتفقما لأخرجنا العرب ، فقال الناصر صدقت ، ولكن لا مرد لما قدر ، فأصلح ذات بيننا . فأرسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الإصلاح فقبل تميم قوله وأراد أن يرسل رسولا الى الناصر ، فاستشار أصحابه فاجمع رأيهم على محمد بن الببيع وقالوا هذا رجل غريب وقد أحسنت اليه وحصلت له منك الاموال والاولاد ، فاحضره وأعطاه دواب وعبيدا وأرسله فسار مع الرسول حتى وصل الى موضع بجاية ^(١) ، وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر ، فنظر اليها محمد بن الببيع وقال في نفسه ان هذا موضع يصلح أن يكون مرسى ومدينة ، وسار حتى وصل الى الناصر ، فلما وصل أوصل الكتاب وأدى الرسالة ، وقال للناصر : معي وصية اليك وأحب أن يخلى المجلس ، فقال الناصر

(١) بجاية - بكسر الباء - مدينة على ساحل البحر بافريقية . اول من اختطها الناصر بن علقناس بن حماد بن زيري بن مناد ابن بلكين في حدود ٤٥٧ هـ . وكانت قديما ميناء ثم بنيت المدينة . وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بنو حماد . وتسمى الناصرية أيضا باسم بانها ، وبينها وبين ميلة ثلاثة أيام . وميلة هذه مدينة صغيرة في أقصى افريقية . ولما غزا المنصور بن المهدي كتامة في سنة ٣٧٨ زحف اليها فخرج اليه النساء والمعائن والاطفال ، فلما رأى آم يحكي وأمر ألا يقتل منهم أحد . ٨١ مجمع

أنا لا أخفي على وزيرى شيئاً ، فقال بهذا أمرني الأمير تميم ، فقام الوزير أبو بكر وانصرف ، فلما خرج قال الرسول يامولاي ان الوزير يخامر عليك ^(١) وهواه مع الأمير تميم لا يخفي عنه من أمورك شيئاً وتميم مشغول مع عبيده وقد استبد بهم ^(٢) وأضر بصنهاجة وغيرها ، ولو وصلت بعسكر الى المهديّة مابت الا فيها لبغض الجنود الرعية لميم وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها ، وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملكه ويقرب من بلاد افریقیة ، وقال له أنا انتقل اليك بأهلي وأديري دولتك ، فأجابه الناصر لذلك وأرتاب بوزيره وسارع مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة . فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع البناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته ان رجم اليه ورجعا الى القلعة . فقال الناصر لوزيره : ان هذا الرسول محب لنا ، وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال اليها ، فاكتب له جواب كتابه ففعل . فسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشهد الاخبار ويعود بها ، فأرسل معه رجلا يثق به فكتب معه : « اني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شيء قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم أمرها عليه وقد انهمني ، فانظر من تثق به من العرب ترسله الى موضع كذا ^(٣) فاني سائر اليهم مسرعاً ، وقد أخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك » وسير الكتاب .

فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال : لقد نصح وبالف في الخدمة فلا تؤخر عليه انفاذ العرب ليحضر معهم ،

(١) اي يكتم عنك اشياء ويسترها دونك (٢) في القاموس (استبد به : تفرد) ولعل المؤلف لا يريد هذا المعنى ، وانما يقصد ان تميم استبد بامور الناس بسبب عبيده لانهم قوته التي يعتمد عليها .
(٣) كناية عن اسم المكان الذي تواعدوا على اللقاة فيه

ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم ، وكتابه منه يذكر له الحال من أوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سبباً يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر . فأتى بعض أولئك الحرس الى تميم وأخبره ان الرسول صنع طعاما وأحضر عنده الشريف الفوري ، وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه ، فأحضره تميم فقال : كنت واصلا اليك ، وحدثه ان ابن البعيع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال : أنا في ذمامك أحب أن تعرفني مع من أخرج من المهديّة فنعمته من ذلك وهو خائف . فأوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وأمره بإحضاره ، فأحضره الشريف ، فلما وصل الرسول الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يأمره بالحضور عنده فأخذ الكتُبَ وخرج الأمير تميم ، فلما رآه ابن البعيع سقطت الكتُب من يده فاذا عنوان أحدها : « من الناصر بن علنّاس الى فلان » فقال تميم من أين هذه الكتُب ؟ فسكت فأخذها وقرأها ، فقال ابن البعيع : العفو يا مولاي . فقال لا عفا الله عنك وأمر بقتله فقتل وحرقت جثته

استيلاء تميم على طرابلس

وجّهز الأمير تميم في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة جيشاً لطرابلس فأخذها بعد الحصر
وكان سببه أن أهلها كانوا كارهين لواليتها من قبله ^(١) ولم تزل يده عليهم
فلما وصل اليها شاه ملك من مصر ملكوه من البلد

(١) الذي تولى طرابلس قبل شاهملك هو خليفة بن خزرون وكان شديد البطش حتى اشتد بغض الأهالي له فقدموا عليه شاهملك وولوه أمرهم

وملك شاه هذا من أولاد بعض أمراء الاتراك ببلاد المشرق . آله في بلاده أخرجوه منها فسار الى مصر في مائة فارس زمن الافرضل وأمير الجيوش ، فأكرماه وأعطياه أقطاعاً وأموالاً ، ثم بلغهما عنه أشياء توجب إخراجهم من مصر . فخرج هو وأصحابه هاربين ، واحتالوا حتى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس وملكوها بواسطة بعض أهلها وأخرجوا واليها . فلما سمع تميم الخبر جهز العساكر اليها وضيقوا على الاتراك بها ففتحوها^(١) ووصل شاه ملك معهم الى المهديّة فسر به تميم ومن معه ، وقال : قد ولد لي مائة انتفع بهم ، وكانوا لا يخطيء لهم سهم ، فلم تطل الايام حتى جرى لهم أمر غير تميماً عليهم ، فلم شاه ملك ذلك وكان داهية خبيثاً . فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاه ملك ، وكان قد قدّم اليه ألا يقرب شاه ملك فلم يقبل ، فلما أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاه ملك وقبض عليه وسار به ومن أخذ من أصحابه معه الى صفاقس ، وبلغ الخبر تميماً فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ، ووصل شاه ملك يحيى بن تميم الى صفاقس فركب صاحبها حو بن مليل^(٢) ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلاً وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية ، فأقام أياماً ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده ، فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابناً له آخر اسمه « منى » ثم خاف حو يحيى على نفسه أن ينور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم ، فأرسل الى تميم كتاباً يسأله إنفاذ الاتراك وأولادهم ليرسل اليه ابنه يحيى ، ففعل ذلك بعد اقتناع منه ، وقدم يحيى فحجبه أبوه عنده مدة ثم أعاده الى حاله ورضي عنه ، وجهازه معه عسكراً الى صفاقس فسار

(١) وولى طرابلس محمد بن خزون بن خليفة ، وبقي والياً الى زمن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم فاستبد بطرابلس هو وبطائنه من بني مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومهم ومنعوا المغارم والجباية . اهـ من تاريخ الثواب (ص ١٢٢)

(٢) كانت بالاصل مليك . والتصحيح من ابن خلدون

اليها وحصرها براً وأقام عليها شهرين ، وضيق على الاتراك بها ، واستولى عليها
بعد أن فارقها الاتراك الى قابس

ولما أخذ الحسن أخاه المثنى وأخرجه تميم من المهديّة قصد الأمير بكر بن كامل
الدّهمني بقابس^(١) ، وحسن له الخروج الى صفّاقس والمهديّة وأطمعه فيها وضمن
الاتفاق على الجند من ماله ، وجمع مئتي من يمكنه جمعه وساروا الى صفّاقس ،
وبلغهم أن جند تميم قدم عليهم وأنه لاطاقة لهم به ، فساروا عنها الى المهديّة
فنزّلوا عليها وقتلوها . وكان الذي تولى قتالهم من أهل المهديّة يحيى بن تميم
وظهرت منه شهامة وشجاعة وحسن تدبير ، فلم يبلغوا منها غرضاً وعادوا خائبين ،
وتلف ما كان مع المثنى من مال وغيره ، وعظم أمر يحيى وصار هو المشار اليه

وتوفي تميم في رجب سنة احدى وخمسمائة . وكان شجاعاً ذكياً له معرفة
حسنة ، حليماً ، كثير العفو على الجرائم العظيمة . عفا عن مظفر كاتب حو الذي كان
يكتب لميم عن حو ما يفيظه ، وبلغ منه كل مبلغ لما وصل اليه حين فر حو الى
صفّاقس ، وقد كان أدخل عليه وهو لا يشعر ، وحين مثل بين يديه طلب العفو
فعفا عنه مع شدة حقه عليه ومثل هذا الذنب لا تغفره الملوك ، بل تتجاوز فيه
الى العقاب ، وتتمدى العقاب الى ضرب الرقاب

وكان له شعر حسن . فنه أنه وقع حرب بين طائفتين من العرب : عدي
ورياح ، فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه ، وكان صلحهم مما يضر
به وببلاده ، فقال أحياناً يحرض على الطلب بدمه ، وهي :

مَيِّ كَانَتْ دِمَاؤُكُمْ تَطْلُؤُكُمْ أَمَا فِيكُمْ بَثْرُ مُسْتَقِلِّ

أَغَانِمُ ثُمَّ سَالِمُ إِنْ فَشَلْتُمْ فَمَا كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ تَنْزِلُ

(١) كانت بالاصل (بصفاقس) والتمصحيح من ابن خلدون (ص ١٦٦ و ١٦٧ ج ٦) فقد ذكر
الامير بكر بن كامل في امره قابس حيث قال في الكلام عن بنى جامع الملاليين امرأ قابس : فوليا بكر بن
جامع من دهمان من بنى على احدى بطون رياح ، فقام بامرها واستبد على صنهاجة ولحق به مثنى بن تميم بن
المز نازعا عن أبيه فلجأ به ونازل معه المهديّة حتى امتعت عليه الخ

ونتم عن طلاب النار حتى كأن المز فيكم مضجحل
ولا كسرتم فيه العوالي ولا بيضاً تئمل ولا تُسل
فعند أخو المقتول حين سمعها قتل أميراً من عدي ، واشتد بينهم القتال
وكرثت القتلى حتى أخرجوا بني عدي من إفريقية

ومن محاسنه أنه اشترى جارية بشمن كثير ، فبلغه أن مولاهم الذي باعها
ذهب عقله وأسف على فراقها ، فأحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره
ومعها الكسوات وأواني الفضة وغيرها ومن الفضة شيء كثير ، ثم أمر مولاهم
بالانصراف وهو لا يعلم ، فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال خرب مغشياً
عليه لشدة سروره ثم أفاق ، فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان عليها وهاد الى
دار تميم ، فانتهره وأمره بإعادة جميع ذلك الى داره

وكان له في البلاد أصحاب أخبار لهم أرزاق سنية ليطلعوه على أحوال أصحابه
ثلاثاً يظلموا الناس ، فكان بمدينة القيروان تاجر له مال وثروة فذكر بعض الأيام
التجار تيمماً ودعوا له وذلك التاجر حاضر ، فرحم على أبيه ولم يذكره ، فرفع
ذلك الى تميم ، فأحضره الى قصره فسأله : هل ظلمتك ؟ قال لا . قال فهل ظلمك
بعض أصحابي ؟ قال لا . قال فلم أطلقت لسانك أمس بندي ؟ ثم قال له : لولا أن
يقال شره في ماله لقتلتك . ثم أمر بصفعه في حضرتة قليلاً ، ثم أطلقه فخرج
وأصحابه ينتظرونه ، فسألوه ما الخبر ؟ فقال : « أسرار الملوك لاتذاع » فكانت
بإفريقية مثلاً

وكان عمره ستاً وسبعين سنة ، تولى منها ستاً وأربعين سنة وهشيرة أشهر وعشرين
يوماً . وخلف من الذكور ما يزيد على المائة ، ومن الاناث ما يزيد على الستين^(١)

(١) وقد مدحه ابن وشيق القيرواني بهذين البيتين :

اصح وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث تزورها السبول عن الحيا من البحر عن كف الأمير تميم

ومث شعره :

وخر قد شربت على وجوه اذا وصفت لجل عن القياس
خدود مثل ورد في نفور كدر في شمر مثل أس

ولاية يحيى بن تميم

ولما مات تولى ابنه يحيى في رجب من السنة المذكورة . وكان عادلاً في رعيته ضابطاً لأمور دولته ، رحماً بالضعفاء والفقراء ، يكثر الصدقة عليهم ، يقرب أهل العلم والفضل ، وكان عالماً بالأخبار وأيام الناس والطب ، وكان حسن الوجه أشهل العين ، الى الطول ماهو^(١)

ولما استقر في الملك ججز أسطولا الى جزيرة جربة . وسببها : أن أهلها يقطعون الطريق ويأخذون التجار ، فحصرها وضيق على من فيها ، فدخلوا تحت حكمه ، والتزموا ترك الفساد ، وضمنوا صلاح الطريق ، فكف عنهم عند ذاك ، وصلى أمر البحر ، وأمن المسافرين^(٢) . وتوفى سنة تسع وخمائة وكان موته فجأة يوم عيد الاضحى . وكان منجمه قد قال له في تسيير مولده : ان عليه قطعاً في هذا اليوم فلا تركب ، فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته الى المصلى ، فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء ، وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام ، فلم يش غير ثلاث خطوات حتى وقع ميتاً . وكان ولده علي بمدينة صفاقس فأحضر وعقدت له الولاية . ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمستير . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً ، وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، وخلف ثلاثين ولداً ، ورثاه عند موته الشعراء ومنهم عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي بقصيدة ، وهذا فيه ابنه علياً . وهي قوله :

ما أضمد العصبُ حتى جرد الذكر ولا اختفى قر حتى بدا قر

(١) بنى انه مائل الى الطول

(٢) وكان قد أكثر من الاساطيل البحرية وصرف همه الى غزو النصارى ، وردد البعوث الى دار الحرب

حتى لقبته امم النصرانية بالجرى . ٥١٠ . ابن خلدون (ص ١٦٠ ج ٦)

يموت يحبي أميت الناس كلهم حتى اذا ما علي جاءهم نشروا
 ان يُبعثوا بسرور من تملكه فمن منية يحبي بالأسى قُبروا
 وافى عليّ بسن الموت ضاحكة وعينه من أبيه دمعا همر
 شقت جيوب الاعالي بالأسى فبكت من كل أفق عليه الأنجم الزهر
 وقلّ لابن تميم حزن مأثمها فكل حزن عظيم فيه محقر
 قام الدليل - ويحيي لاهياة له - أن المنية لا تُبقي ولا تذر

ولاية علي به يحيي به تميم

ولما تولى عليّ علت همته وأنف مما كان يفعله قواده ، ومنهم رافع بن بكر
 الدهماني قائد قابس . وكان لا يصنع أحد بافريقية أسطولا لحل التجارة الآ
 أميرها ، وكان رافع اصطنع في أيام يحيي أسطولا لحل التجارة فلم ينكر عليه يحيي
 جرياً على عادته في المدارة . فلما استقر عليّ في الملك لحقته أنفة وبعث الى رافع
 يمنعه من ذلك فالتجأ الى رجار صاحب صقلية - لعنه الله واعتضد به ، فوعده - أن
 ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر ، وأنفذ في الحال أسطولا الى قابس ،
 فاجتاز أسطوله بالمهدية فتحقق على اتفاقها ، وكان اذا قيل له اتفقا على ذلك يكذبه
 فلما اجتاز الأسطول بالمهدية أخرج عليّ أسطوله إثره فتوافى الجميع الى قابس ،
 فلما شاهد رافع أسطول الافرنج و [أسطول] المسلمين لم يخرج مركب^(١) ، فساد
 أسطول الافرنج وبقي علي بحصن قابس مضيقاً عليها ، ثم عاد الى المهدية . وتمادى
 رافع في الخالفة لعلّي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل المهدية فحاصرها ،
 وخادع علياً وقال انما جئت للدخول في الطاعة ، وطلب من يسعى له في الصلح ،

(١) يعني ان رافعا لما شاهد اسطول الافرنج واسطول المسلمين ، وهو اسطول علي القادم من
 المهدية بقي اسطوله لم يخرج منه مركب

وأفعاله تكذب قوله فلم يجبه عليّ بحرف ، وأخرج العساكر فحملوا على رافع حملة منكرة فالتقوا بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت . فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن ، فعادت العرب وعاودت القتال ، واشتد الأمر ودامت الحرب الى الغروب ثم افترقوا ، وقتل من أصحاب رافع بشر كثير ، ولم يقتل من جند عليّ غير جندي واحد من الرجال ، ثم خرج عسكر عليّ مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الأول وكان الظهور فيه لعسكر عليّ فلما رأى رافع أنه لا طاقة له بهم رحل من المهديّة ليلا الى القيروان فننعه أهلها من الدخول فقاتلهم ثم دخلها ، فأرسل اليه عليّ عسكرا فحاصره الى أن خرج منها وعاد الى قابس ، ثم سأله جماعة من أعراب افريقية وغيرهم الصلح فأبى ثم أجاب .

وكانت استجارة رافع برجار سبب الوحشة بينه وبين عليّ ، وكانت بينهما مودة أكيدة ، فخطبه رجار بقول لم تكن عادته أن يخاطبه به وأغلظ فيه ، فتأكدت الوحشة وحذر عليّ منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الأهبة للقاء العدو ، وكاتب المرابطين بمراكش في الدخول معه الى صقلية ، فكيف رجار عما كان يعتمد ، وتوفي عليّ سنة خمس عشرة وخمسمائة في العشر الآخر من ربيع الثاني . وكان مولده بالمهديّة . وكانت امارته خمس سنين وأربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً

ولاية الحسن بن علي بن يحيى

وفي ذلك تولى ابنه الحسن بعهد منسه ، وتولى أمر الدولة صندل الخصى . مولاه . وفي أيام الحسن خرجت هن بيعته طرابلس ، وقصدها رجار صاحب

صقلية كما سندكره ان شاء الله تعالى

وكان سن الحسن بن علي يوم ولايته الثاني عشرة سنة . ولما تولى أمره صندل راسل أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين الملقب بمراكش لما كان بينه وبين والده من المودة لما وقعت الوحشة بينه وبين رجار صاحب صقلية بسبب الاسطول الذي كان قد صنعه عامله مكى بن كامل الدهاني والي قابس من قبله لملح التجارة ، واستغاثة مكى بن كامل برجار ، واتفق أن وصل بأثر توليته أسطول أمير المؤمنين علي بن يوسف مع قائده علي بن ميمون الى بلاد رجار ، فافتتح منها حصوناً وسبي منها سبايا كثيرة فلم يشك النصراني أن الباعث لسلي بن يوسف على ذلك إنما هو الحسن فاستعجاش وحشد أجناده ومقاتلته وبالغ في كتم أمره بمنع السفن من سواحل المسلمين ، فلم يخف على الحسن مقصده وخشى أن يعطرق بلاده دون أهبة له فأمر باتخاذ الأسلحة وتشبيد الأسوار واستقدام القبائل من الأعراب وغيرهم للجهاد . فوصلت الحشود اليه من كل جهة ، ونزلت الأعراب بإظهار المهدية ، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسة مئة وصل أسطول رجار الى المهدية فرسي بالجزيرة المعروفة بجزيرة الاحامى وهي على عشرة أميال من المهدية ، ونزل قائدها عبد الرحمن وجورجي الى الجزيرة وضربت لهما ولقديمي الافرنج مضارب هناك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وانبسطوا حتى تعدوا عن البحر أميالاً ثم عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان في اليوم في البحر الى المهدية في بعض قطع ، فأطافا بها وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رأيا بالأسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة فوجدا طائفة من العرب والاجناد قد حطوا حولها وكشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم ، وقتلوا منهم قوماً ونهبوا بعض أسلحتهم ، فلما كان

اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف بقصر الديماس^(١) ، وحصل به زهاء مائة باعانة بعض الاعراب لهم على ذلك لما متاهم به عبد الرحمن وصاحبه .

وقد كان رجار أمرهما بالنزول بجزيرة الاحاسي والتحيل على أخذ قصر الديماس بمباطنة العرب ، ثم الزحف من هنالك في البر بالرجال والخيال الى المهديّة ، فلما كان في اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من في الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهمزوا الى مراكزهم وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها أحد منهم ، فوجدوا بها خيلاً وآلات وأسلحة أهملهم الحربُ عنها ، وأحاطوا الديماس يقاتلونه والاسطول في البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من في القصر لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين . فلما هابتوا أنهم غير قادرين على انقاذ من بالقصر أقبلوا عائدين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من حصر بقصر الديماس منهم الى أن اشتد الحصار عليهم ، وفنى ماؤمهم وطعامهم ، فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة ، فتخلفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم ، وهنى الحسن بهذا الفتح . ولم يدرك ما تحت طيه من الخنة التي خصت وعمت المسلمين ، وكتبت عنه في ذلك كتب الى سائر الجهات ، منها كتاب يقال في بعض فصوله : « وان صاحب [صقلية] لَجَّ في طغيان غيه ، واستمر على عداوته وبغيه ، وحمله سوء تقديره وفساد تدبيره على احتضام جانب الاسلام ، وتوهم أن ذلك سهل الملتصق قريب المرام ، فاستعجاش وحشد ، واستنفر واستمد . ولما اشتملت له في ظنه أمور ، وكل تدبيره الذي فيه تدميره ، سير أسطوله نحو المهديّة -

(١) قال ابن خلدون في اخبار الحسن بن علي (ص ١٦١ ، ج ٦) : وقصدوا (اي الفرنجة) الى المهديّة . ونزلوا الى الساحل وشربوا الابلية ، وملكوا قصر (الدهانين) وجزيرة (الاملس) وتكرر القتال فيهم الى ان غلبهم المسلمون واقلعوا راجعين الى صقلية فقد سمي الجزيرة والقصر بغيرها ماسماها المؤلف

حماها الله - في نحو من الثلاثمائة مركب حاملة ثلاثين ألف راكب ، وزهاء الف فارس . وكان اقلاعه في طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه باتلاف أمواله واهلاك النفوس . فمن أول ما أنشأه الله فيه من فعل الجليل ، وأظهره من عنايته التي لا يؤدى حتمها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم ريحاً جرّت جميعهم الى التيار وأصلتهم بين الماء حر النار ، في كلام طويل

ولما أقلع الاسطول الى صقلية خائباً خاسراً غاظ رجاء ذلك . واتفق بأثر ذلك أن وصل الاسطول الملتئم مرة أخرى ، وقائده محمد بن ميمون المذكور ، وقبل مفادرة بلاد رجار قتل وحل نساءها سبياً الى بلاده . وكان رجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده نسبه الى الحسن ، فعزم العزم المضمم على غزو المهديّة وأفشى في ظاهر الامر أن بينه وبين الحسن صلحاً وفي نفسه ما فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده .

وكان بين الحسن وبين ابن عمه يحيى بن [العزيز بن منصور^(١)] بن الناصر ابن علناس المتقدم المذكور صاحب بجاية ما أوجب أن بعث في هذه المرة لمحاصرته بالمهدية أسطولا في البحر وجيشاً في البر قائده مطرف بن علي بن حمدون الفقيه ، فحصر المهديّة براً وبحراً ، ونزل مطرف بجيشه بظاهر زويلة ، فاستمد الحسن رجار فأمدّه بأسطول ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهديّة مسرعاً ، وكانت لرجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أنه يمر ساها مراكب قد استوفت وسقها ، فأمر جرجي قائد اسطوله المتوجه للنصرة بالمهجوم عليها وأخذها ، فأخذ ذلك خدراً وحملها الى صقلية^(٢) ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهديّة فأخذ منه مركبا

(١) كانت بالاصل يحيى بن المعز بن باديس بن المنصور الخ وهو خطأ والصواب ما اثبتناه كما يؤخذ من

ابن خلدون (ص ١٦٢ : ج ٦)

(٢) صقلية (ثلاث كسرات وتشديد اللام ، والياء ايضاً مشددة : مدينة على شاطئ بحر الروم الصغالى) صقلية (يبلغ الساع البحر بينها وبين افريقية في اقرب نقطة مائة واربعين ميلاً ، وبها عدة مدن

للحسن قد احتفل به وشحنه بذخائر ملوكة ليوجه بها الى الحافظ العبيدي صاحب مصر ، وكان ذلك المركب يسمى نصف الدنيا .

ولم يزل يوالى الغزو عليه بأساطيله - والمقدم عليها جرجي المذكور وهو للعارف بالمهديّة حاضرة وبادية ويسعفه في ذلك - الى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسة فلم يشعر الحسن صبيحة يوم الاثنين الثاني من صفر الا وقد طلع عليه جرجي المذكور ^(١) في ثلاثمائة مركب ، فأرسل على بعد من المهديّة ، وكانت الريح منته من الدخول الى المرسى فأرسل الى الحسن يخادعه ، ويدكر أنه انما وصل لطلب عسكري يستعين به على أهل قابس ليرد اليها ابن رشيد واليه الفار اليه مستغيثا به - وله قصة طويلة من رامها فليراجع محلها - فعلم الحسن أنها مخادعة الى أن انتهى له الريح فدخل اليها ، وانه لم يصل الا بعد علمه بخلاء المهديّة من العسكر ، وكان الغلاء المتوالى على إفريقية أضعف أكثر جند الحسن وأهلك خيلهم ، ومع ذلك كانت بقية العسكر في محاربة ابن خراسان بتونس عضداً لحزب ابن زياد القادسي صاحب المعلقة : فعزم الحسن على تسليم المهديّة للنصارى وأمر في الحين بالراحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده وحشمه ، وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد ، وجرى عليهم في هذه الضعفة ما لم يكونوا يقدرونه . وكان الحسن يقول عند خروجه : « سلامة

وأناهار ومتزهات غناه وعمار جيدة . وفيها يقول ابن حديس :

ذكرت سقلية والموى يبيع النفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جنة فاني احدث اخبارها

افتتحها اسد بن القرات سنة ٢١٢ في زمن زيادة الله بن الاغلب في أيام المأمون . المعجم

قلت : وهي الآن من ممالك إيطاليا ولا تزال آثار المسلمين قائمة بها في كل ناحية وتسمى سيسيليا

(٢) هو جرجي بن ميخائيل الانطاكي قائد اسطول رجاء . كان نصرانياً هاجر من المشرق وقد تعلم اللسان وبرع في الحساب وتهدب في الشام بأنطاكية وغيرها فاستطاعه تميم واستولى عليه ، وكان يحكي بشاره فلما هلك تميم اعمل جرجي الحيلة في اللحاق برجاء فلاحق به وحظي عنده واستعمله على اسطوله . من

ابن خلدون (ص ١٦١ : ج ٦)

المسلمين أحب الي من الملك والقصر ، كذا ذكر ابن شداد
 وبقي الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد بسبب عدم
 اسعاف الريح الى الساعة السابعة من حين وصوله ، ثم لانت الريح فدخل ووجد
 المهدي خالية فلكها دون دفاع . ووجد جورجى قصر الحسن على حاله لم يحمل
 منه الحسن الا ما خف له . فرأى فيه من الدخائر الملوكة ما هاله ، وحكم على ذلك
 كله ، وأمر أن ينادى في المهديتين بالامان فارفع النهب منهما وأخرج جميع
 النصارى من المهديتين ^(١) فأنزلهم فيما بينهما من مضارب وأخبية فكان من
 بقى في المهديّة أحسن حالا ممن فر منها ، فان الفارين لقوا من المشقة وعدم الماء
 ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جورجى فبعث اليهم خيلا يعلمهم بالامان
 فرجعوا الى بلدهم ، وفرق عليهم مالا وطعاما أقرضهم إياه ، فصلحت أحوالهم
 واغتنبت الناس بالمهديّة لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة وسار
 الحسن الى عسكره الذي قدّمنا أنه كان في نصرة محرز بن زياد ^(٢) فلقه محرز بالبر
 والاكرام وأنزله عنده فأقام هنالك أشورا وهو كاره للقامة لما يرى في عيني محرز
 من السامة ، فأحب الانتقال الى مصر - ووالها اذ ذاك [الحافظ] عبد المجيد ،
 ابن محمد ، بن المنتصر ، بن الظاهر ، بن الحاكم ، بن العزيز ، بن المعز ، بن المنصور
 ابن القائم ، بن المهدي ، وباسمه كان الحسن يخطب في بلاده - قابض من تونس
 مركبا أعد لسفره فعلم جورجى بذلك فأعد له عشرين قطعة ترقب إقلاعه
 فعدل عن السفر الى مصر

ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي وأنفذ كبار ولده يحيى وتيميا
 وعياله الى ابن عمه يحيى بن العزيز يستأذنه في الوصول اليه وتجديد العهد والسير

(١) يريد بالمهدي الثانية زويلة وبينها وبين المهديّة مقدار رمية سهم انظر الكلام عليها في صفحة ٢٧

(٢) قال ابن خلدون (ص ١٦٢ ج ٦) محرز بن زياد الفادى صاحب على بن خراسان صاحب تونس

من عنده الى عبد المؤمن ، فأذن له يحيى فصار اليه فلما وصل اليه لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة مرعبان هو وأولاده ، و وكل بهم من يمنعهم من التصرف ، فبعثوا كذلك الى أن ملك عبد المؤمن بن علي بجاية ، وكان وزير يحيى ميمون ابن حمدون ، تلقى بني الحسن أحسن تلقى ، وكتب على لسان يحيى الى الحسن بالتوجه عما جرى عليه ، والتحريض على الوصول والعدول عما خطر بباله من قصد غيره ، فأعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه ، فأشار اليه بالتنكب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطعه الحسن في التوجه الى بجاية ، فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك ، وأمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزل له هو وأولاده بمدينة الجزائر في أمكنة لاتليق بهم وأجرى عليهم جرايات لاتكفيهم ، وأمر ميمونا بمراعاة أحوال الحسن ، ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن بن علي لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به في أخذ بجاية ، فبالغ في التشديد عليه في ذلك وأقام بها ساكنا الى أن نزل عبد المؤمن المغرب الأوسط وقد تغلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة وتغلب على مليانة والجزائر ، فاجتمع بالحسن هنالك وسار اليه وهو بمدينة متيجة وأقبل عليه عبد المؤمن وقربه اليه واستصحبه معه ، وجعل الحسن يغريه على أخذ بجاية حسد الابن عمه ورغبة في خروج الملك من يديه ليستقوا في ذلك . فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه ، فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها ، وكان ذلك بعد هزيمة صنهاجة بجبل زيرى واعانة يحيى على نفسه بأنهما كه في لقائه وإهمال تدبير دولته وتفويضه الامر لغيره .

فلما استولى عبد المؤمن على بجاية فرى يحيى بن العزيز منها في البحر وكان

مرايه التوجه الى بونة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعله أن الخليفة العبيدي بمصر ينقم عليهم الخلع الاول ، فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويغويه على اهل الملك ، فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز ، فأكرمه وتخلّى له عن الأمر فأقام بقسنطينة أياما يعمل أمره الى أن أناب الى الطاعة ودخل في إيالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن ابن علي ثم كانت لعبد المؤمن على المغرب الواقعة المعروفة « بوقعة سطيف » هزم فيها طوائفهم وطلع الى حضرة مراکش بجميع من حكم عليه ، ومن جملتهم الحسن بن علي ويحيى بن العزيز وأسكنهما بمراكش في رفاهية ورزق جار ولما كانت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وصل الخليفة الى سلا واستصحب معه يحيى بن العزيز واسكنه بها في بعض قصور بني عشرة ، واقام بسلا الى أن مات هناك ودفن بمقابرها الجوفية ^(١) مما يلي البحر ثم عاد الى مراكش وبها الحسن بن علي مقياً ، فلما وصل اليها لم يزل الحسن يغريه بالحركة الى افريقية ويحضه عليها وعلى انفاذ المهديّة من أيدي النصاري الى أن طاقت نفسه الى ذلك فاختفى في الحركة اليها سنة أربع وخمسين وخمسمائة ^(٢) وكانت بيد رجار صاحب صقلية ملك الافرنج وكان افتكها من يد الحسن في صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

حصار رجار طرابلس

وكان رجار هذا سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قصد طرابلس بأسطوله ليأخذها لما علم أنهم لم يدخلوها يداً في بيعة الحسن بن علي ، وكانوا قدموا عليهم مشايخ

(١) بنى المالكية

(٢) قال ابن خلدون فنازل المهديّة (بنى عبد المؤمن) وحاصرها اشهراً ثم افتتحها سنة ٥٥٥ هـ واسكن بها الحسن فأقام هناك ثمانين سنين ، ثم استسده يوسف بن عبد المؤمن فارتحل باهله يريد مراكش فهلك بتامسنا في طريقه اه (ص ١٦٦ ، ج ٦)

من بني مطروح يدبرون أموره فظن أنهم لا يقدرّون على شيء ، فسير إليها
 أسطولاً فحاصرها أهلها ، وكان ذلك تاسع ذي الحجة ، فنازلوا البلد وقتلوه ،
 وعلقوا السكلايب في سوره ونقبوه حتى كادوا يأخذونه . فلما كان الغد نزل
 جماعة من العرب نجدة لأهل البلد فقتل بهم أهل البلد فخرجوا إلى [أهل]
 الأسطول وحملوا عليهم حملة منكّرة فانهزموا هزيمة فاحشة ، وقتل منهم خلق
 كثير ولحق الباقون بالأسطول ، وتركوا الأسلحة والافتال والدواب فنهبا
 العرب وأهل البلد ورجع الأفرنج إلى صقلية وتجهزوا وعادوا إلى المغرب فوصلوا
 إلى جيجل ، فلما رأهم أهل البلد هربوا منهم إلى البراري والجبال فدخلها
 الأفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأحرقوا القصر الذي بناه
 يحيى بن عبد العزيز للثّرة وعادوا

استيلاء رجار على طرابلس

ثم وجه لطرابلس أسطولاً كبيراً في سنة إحدى وأربعين وخمسة فاحاطوا
 بها براً وبحراً ثالث المحرم فخرج اليهم أهلها ونشب القتال ودامت الحرب بينهم
 ثلاثة أيام ، فلما كان الثالث صبح الأفرنج في البلدة ضجة عظيمة وخلت الأسوار
 من المقاتلة :

وكان سبب ذلك أن أهلها كانوا قبل وصول الأفرنج بأيام يسيرة قد
 اختلفوا فاخرجت طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلاً من الملتصين
 يريد الحج ومعه جماعة ولوه أمرهم ، فلما نالهم الأفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني
 مطروح فوقم الحرب بين الطائفتين ، وخلت الأسوار ، فانهزم الأفرنج الفرصة ونصبوا
 السلايم وصعدوا السور فاشتد القتال وملكت المدينة عنوة بالسيف ، فسفكوا
 دماء أهلها ، وأخذوا نساءهم وأموالهم ، وهرب من قدر على الحرب ،

والتجأوا إلى البربر والعرب ، ثم نودي بالأمان في كافة الناس فرجع كل من فرّ منها وأقام الأفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها ، وحفروا خندقها . ولما عادوا أخذوا رهائن من أهلها ومعهم بنو مطروح والمثلّم ، ثم أعادوا رهائنهم

ولاية رافع بن مطروح الأولى

على طرابلس

وولوا عليهم رجلاً من بني مطروح ^(١) وتركوا رهائنه وحده ، واستقامت أمور المدينة ، وانضم أهل صقلية والروم إليها فعمرت سريعاً وحسن حالها ، هذا ما لابن الأثير

وذكر التيجاني أن رجلاً أخذها سنة أربعين وخمسة بعد أن أخذ المهديّة وسبب ذلك أن أهلها في تلك السنة أصابهم شدة عظيمة وبجاعة مهلكة هلك فيها الناس وفروا من أوطانهم ، فجهز إليها رجلاً رومي صاحب صقلية أسطولا فحاصرها به وذلك بعد استيلائه على المهديّة وصفاقس واستقرار ولايته عليهما . ووقع خلف بين أهل طرابلس أدى إلى تغلب أسطول الروم عليها ، فأحسن قائده جرجي بن ميخائيل إلى أهلها لما أضمره من تلك غيرها من البلاد الساحليّة وأبقى جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم وولى عليها شيخها أبا يحيى بن مطروح النيمي ، وجعل قاضيهما أبا الحجاج يوسف بن زيري ، فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيهما ، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم . وأقامت تحت تغلب النصراني اثني عشر عاماً إلى أن افتتح

(١) هو أبو يحيى رافع بن مطروح النيمي كاسيد كره قريباً . وولايته هذه كانت من قبل الأفرنج . وستأتي له ولاية ثانية حينما ثار بالأفرنج واجلام عن طرابلس ، ثم أقره عليها عبد المؤمن بن علي خليفة امام الموحدين محمد بن تومرت

عبد المؤمن بن علي أكثر بلاد افريقية فخاف النصارى أن يمالكه أهل طرابلس فأحبوا أن ينجسوا بين المسلمين الموحدين وأهل طرابلس عداوة ، فأمرهم أن يصعدوا المنابر ويتكلموا في جهة الموحدين بسوء ، وكان ذلك سنة أربع وخمسين وخمسمائة لما بلغهم ملك عبد المؤمن أكثر بلاد افريقية ، فأعظم ذلك أهل طرابلس واجتمعوا على قاضيههم أبي الحجاج ، فسفر بينهم وبين النصارى وأعلم النصارى ألا سبيل الى نيل ذلك ، وان الامر انما كان المقدر بينهم ألا يكلفوا المسلمين شيئاً مما يخالف أمر دينهم ، وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف أمر دينهم ، فان رضوا منهم بذلك والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنه ، فأعفاهم النصارى من ذلك وتعاقبوا على القيام عليهم والتخلص من أيديهم ، والسر والنجوى بذلك بينهم ، واتعدوا (١) لليلة معينة ، ولصبروا في تلك الليلة خشباً وأناشيط في الطرقات تمنع الخليل من الجري فيها وثاروا عليهم ، فبادر النصارى الى خيولهم وركضوها فلم تجد مجالا ، فأخذوا قبضاً باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان قيامهم عليهم في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (٢)

(١) قال في مختار الصحاح : تنوعد القوم : وعد بعضهم بعضاً . هذا في الخير . واما في الشر فيقال :

اتعدوا . اهـ

(٢) هذا التاريخ غير صحيح لانه ذكر اننا : ان النصارى ارادوا ان يجدنوا فتنة بين الموحدين وأهل طرابلس ، وكان ذلك في سنة ٥٥٤ . وبهى ان هذا قبل الثورة عليهم ، وهو سبب التبيت لهم والتنمر منهم . فكيف يعقل انهم ثاروا عليهم سنة ٥٥٣ ؟ وقد ذكر ابن خلدون هذه الثورة فقال (وثاروا بهم وأحرقوا بالنار) ولم يذكر هذا التاريخ . وذكر النائب في تاريخه ان ابا يحيى بن مطروح نبذ ساعة الافرنج

ولاية رافع بن مطروح الثانية

على طرابلس

وحكم على البلاد شيخه [أبو] يحيى بن مطروح التميمي ، وكان رجلا شهما ، صانع العرب المجاورين له فاستقر حاله بها الى أن نزل الخليفة عبد المؤمن بن علي الى افريقية في سنة خمس وخسين وخمسة ، ووصلت اليه وفود البلاد فكان من جلّتهم وفد طرابلس ، قدم بهم [أبو] يحيى بن مطروح التميمي فبايعوا عبد المؤمن وأقرّ عليهم شيخهم أبا يحيى بن مطروح التميمي المذكور ، فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن عجز في أيام أبي يعقوب بن عبد المؤمن ، وقيد الهرم فطلب التوجه الى الحج ، فسرّحه السيد أبو زيد بن أبي حفص [محمد] ^(١) بن عبد المؤمن المذكور ، فتوجه بجميع أهله في البحر واستقر بالاسكندرية وكان دخوله لها سنة [ست وثمانين وخمسة] ^(٢) وبها مات. كذا ذكره النيساني في مياومته . وهو الذي أنشد لما كان بمصر :

لوقفة بين باب البحر ضاحية وباب هواره وموقف الغنم
اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطئ بركة الخدم
اه ما للتيجاني

وذكر ابن الأثير أن عبد المؤمن قدم افريقية وبايعه أهل طرابلس سنة أربع وخسين وخمسة . والله أعلم أين ذلك كان ولم تستول عليها يد العدو من لدن الفتح غير هذه المرة وسنة ست عشرة وتسعة ^(٣)

(١) الزيادة من ابن خلدون

(٢) كانت بالاصل ٥٣٦ وهو غلط لأن ابن مطروح هذا كانت ييمته لعبد المؤمن سنة ٥٥٥ او ٥٥٤ على ما ذكره المؤلف . وتاريخ انتقاله الى الاسكندرية على ما في الاصل يقتضى انه كان قبل بيمه عبد المؤمن وهو غير صحيح . والتصحيح من ابن خلدون (ص ١٦٨ ، ج ٦)

(٣) سنة ٧٥٠ انظر الحاشية صفحة ٥٣

وذكر ابن بطوطة : أن العدو استولى عليها في أيام السلطان أبي عنان :
واقتردها منه بخمسة قناطير من الذهب المعين وردها للمسلمين فعد ذلك من مآثره
الحسنة من اعتنائه بشأنها . ولم أقف على تاريخ استيلائهم ^(١) ولعل ذلك إنما كان
فيما بين سنة ست وسبعائة الى سنة ست عشرة وسبعائة ؛ اذ فيها بينهما كانت
دولة بنى مرين الذين منهم أبو عنان ، ولعل ذلك إنما كان بعد اضطراب حالها
بعد بيعه أهلها الموحدون وتوالى فتن شرف الدين قراقش الارمنى مملوك الملك
المظفر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاه ابن أخى السلطان صلاح الدين بن يوسف بن
أيوب الكردى ، ويحيى بن اسحاق الميورقي

وذلك أن علياً بن اسحاق الميورقي كانت بينه وبين قراقش المذكور مهادنة
ومصالحة ، وكانا يجتمعان في أكثر حروبهما ، ويقيان الدعوة لبنى العباس بطرابلس
وبعض من افریقیة

وسبب انتقال قراقش - على ما ذكره المؤرخون - أن عم سيده الملك

(١) في سنة ٧٥٠ توفى والى طرابلس محمد بن ثابت وولى ابنه ثابت بن محمد بن ثابت واستبد بطرابلس
بعد أن كانت تابعة لثولس . وكان تجار الجنوبيين يترددون الى طرابلس فاطلموا على عورتها واتمروا في
غزوها والعدوا لمراسها فوافوها سنة ٧٥٥ وانتفروا في البلاد لحاجتهم فيتوها ذات ليلة وصعدوا اسوارها
فلكروها عليهم وحتف هاتقيم بالحرب وقد لبسوا السلاح ، فهب الناس من مضاجعهم مرتاعين ، فلما راوم
بالأسوار لم يكن مهمهم الا النجاة بانفسهم ، ونجا (ثابت بن محمد الوالى) الى حلة الجوارى [جهة التواحي
الاربية] فقتل وفر اخواه الى الاسكندرية . واستباح النصارى البلد ، واحتلوا في سنهم ما وجدوا بها من
المتاع والمقاتل والاسارى ، واقاموا بها . ثم داخلهم ابو العباس احمد بن مكي صاحب قابس في فدائهم فاشتروا
عليه خمسين الف مثقال من الذهب المعين ، فبعث فيها الى ملك المغرب السلطان ابي عنان بن ابي الحسن على
المريض يطرفه بثوبتها ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده ، واستوهب ما بقي من اهل قابس والحامة وبلاد الجريد
فجمعوها له حسبة ورغبة في الخير وامكنه النصارى من طرابلس فلسكها واستولى عليها وازال ما دلتها من
وخر السكفر . وبعث السلطان أبو عنان بالمال اليه وان يرد على الناس ما اعطوه وينفرد بثوبتها وذكراها
فامتنعوا الا قليلا منهم ووضع المال عند ابن مكي . ولم يزل احمد بن مكي واليا بها الى ان توفى سنة ٧٦٦ هـ
ويحتمل لمعجب من ان المؤلف لم يطلع على هذه الحادثة مع انه كثير النقل عن ابن خلدون وهي مذكورة
فيه (ص ٣٦٨ و ٣٦٩ ، ج ٦) وكفى به ثقة

صلاح الدين يوسف بن أيوب أنما ملك هو وعنه أسد الدين شير كوه مصر بجيش نور الدين محمود بن زنكي وقوة سلطانه ، وكانا من قواده وأهوانه . ولما توفي أسد الدين حدثت بين صلاح الدين بن أيوب ونور الدين زنكي وحشة ، وكان ذلك سنة ثمان وستين وخمسمائة ، احتاط صلاح الدين بسببها ، وقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، وبنى على الاندفاع أمامه إن وصله نور الدين وسبب الوحشة : أن صلاح الدين يوسف بن أيوب عهد من مصر الى بلاد الافرنج غازيا ، ونازل حصن شوبك^(١) وبينه وبين الكرك يوم^(٢) وحاصره وضيق على من به من الافرنج ، وأدام القتال ، فطلبوا الامان واستمهلوه عشرة أيام فأجابهم الى ذلك ، فلما سمع نور الدين بن زنكي بما فعله صلاح الدين سارعن دمشق قاصداً بلاد الافرنج أيضا ليدخلها من جهة أخرى ، فقبل لصلاح الدين : ان دخل نور الدين بلاد الافرنج وهم على هذه الحالة أنت من جانب وهو من جانب ملكها ، متى زال الافرنج عن الطريق وأخذ ملكهم لم يبق لك بديار مصر مقام مع نور الدين : وان جاء نور الدين اليك وأنت هاهنا فلا بد لك من الاجتماع به ويكون هو المتحكم فيك بما شاء ، ان شاء تركك فعل ، وان شاء غير ذلك فعل ، فلا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر . فرحل عن الشوبك عائداً الى مصر ولم يأخذه من الافرنج ، وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن شيعة العلويين ، وانهم عازمون على الوثوب بها وأنه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من يخلفه بها فيخرجونهم وتعود ممتنعة ، وأطال الاعتذار ، فلم يقبله نور الدين منه وتغير عليه

(١) الشوبك : بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة وآخره كاف : قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وإبلة وبحر القلزم - البحر الاحمر - قرب الكرك ، والكرك بفتح اوله وثانيه اسم لقلعة حصينة في اطراف الشام من نواحي البلقاء بين ابلة وبحر القلزم معجم

وعزم على الدخول الى مصر واخراجه منها . فلما سمع صلاح الدين الخبر
 جمع أهله وفيهم أبوه نجم الدين أيوب ، وخاله شهاب الدين الحازمي وغيرهم
 ومعهم سائر الامراء وأعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليهم واستشارهم
 فلم يجبه أحد بكلمة . فقام تقي الدين عمرو بن أخى صلاح الدين فقال : اذا جاءنا
 قاتلناه ومنعناه عن البلاد ، ووافقه غيره من أهلهم ، فستهم نجم الدين أيوب
 وأسكر ذلك واستعظمه ، وشتم تقي الدين وأقده ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك ،
 وهذا شهاب الدين خالك ونحن أكثر محبة [لك] من جميع من ترى والله لو رأينا
 نور الدين لم يمكننا إلا أن نقبل الارض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب عنقك
 بالسيف لفعلنا ، فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من ترى من الامراء
 لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم ، وهذه البلاد
 له ، ونحن بماليكه ونوابه فيها فان أراد عزلك سمعنا وأطعنا ، والرأي أن تكتب
 كتابا مع نجاب تقول : بلغنى أنك تريد الحركة لأجل البلاد فأى حاجة الى هذا ؟
 يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتى منديلا ويأخذني اليك ، فما هاهنا من يتمتع عليك
 وقلم الامراء وغيرهم فتفرقوا على هذا . فلما خلا به أبوه قال له : بأي عقل
 فعلت هذا ؟ أما تعلم أن نور الدين اذا سمع بعزمنا على منعه ومحاربته جعلنا أهم
 الرجوع اليه وحينئذ لا نقوى عليه ، وأما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا
 وتشاغل بغيرنا والأقدار تعمل عملها ، والله لو أراد نور الدين قسبة من قصب
 السكر لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل ، ففعل صلاح الدين ما أشار به ، فترك
 نور الدين تعجيل قصده واشتغل بالاهم عنها الى أن توفي سنة سبع وستين وخمسة
 و كان في تلك السنة شرع يتجهز للدخول الى مصر فاتاه أمر الله الذي لا مرد له
 - وكان أصغر اللون طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه وكان واسم الجبهة
 حسين الصورة حلو العينين ، وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين

الشريفين ، وبأين لما دخلها شمس الدولة بن أيوب سنة احدى عشرة وخمسة
وطبق ذكره الأرض بعدله وحسن سيرته

قال ابن الأثيره وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أر فيها بعد الخلفاء
الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ، ولا أكثر تجرباً منه للعدل .
وقد أتينا على كثير من ذلك في كتاب الباهر في أخبار دولتهم . ولندكر هنا
نبذة مختصرة لعل من يقف عليها ممن له حكم فيتقدي به

فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه ، فانه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف
الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال
المرصدة لمصالح المسلمين . ولقد شكت اليه زوجته من المضايقة فاعطاها ثلاثة
دكاكين في حصص كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين ديناراً ، فلما استقلتها
قال ليس لي الا هذا ، وجميع ما في يدي أنا فيه خازن للمسلمين ولا أخوتهم فيه ،
ولا أخوض نار جهنم لاجلك . وكان يصلي كثيراً بالليل ، وله أوراد حسنة فكان
كما قيل :

جمع للشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب
وكان عارفاً بالفق على مذهب أبي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع
الحديث واسمعه طلباً للاجر

وأما عدله فانه لم يترك في بلاده على سعتها مكسا ولا عسراً ، بل أطلقها
جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل . وكان يعظم الشريعة ويقف عند
أحكامها . وأحضره انسان في مجلس الحكم فضى معه اليه ، وأرسل الى القاضي
كمال الدين بن الشهر زوري يقول : قد جئت محاكاً ، فاسلك معي ما تسلكه مع الخصوم
فظهر الحق له ، فوجهه للخصم الذي أحضره وقال : أردت أن أترك له ما يدعيه

نفخت أن يكون الباعث لي على ذلك الكبر والافتة من الحضور الى مجلس الشريعة ، فخصرته ووهبته ما يدعيه . وبني دار العدل في بلاده فكان يجلس هو والقاضي فيها ، فينصف المظلوم ولو أنه يهودي من الظالم ولو أنه ولده

وأما شجاعته فاليها النهاية ، فكان في الحرب يأخذ قوسين ليقاثل بهما ، فقال له القطب الدساوي العقيه : بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالإسلام فان أصبت في معركة لا يبقى من المسلمين أحد الا أخذه السيف . فقال له نور الدين : ومن محمود حتى يقال له هذا ؟ ، من قبلي من حفظ الاسلام والبلاد ، ذلك الله الذي لا اله الا هو

وأما ما فعله من المصالح ، فانه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فنها دمشق ، وحمص ، وحماه ، وحلب ، وشيوز^(١) ، وبعليك وغيرها . وبني المدارس للكثيرة للحنفية والشافعية وبنى الخانكاهات للصوفية ، وبنى الخانات في الطرق ، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة ، وحاصل وقفه في كل شهر تسعة آلاف دينار وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلس معهم وينبسط ، ولا يرد لهم قولاً ويكاتبهم بخط يده وكان وقوراً مهابةً مع تواضعه

ولما بنى صلاح الدين على الاحتياط بسبب الوحشة بينه وبين نور الدين قسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب ، وبني على الاندفاع أمامه ان وصله نور الدين ، فوجه أخاه تورنشا الى اليمن فافتتحها سنة تسع وستين وخطب فيها لمحمود بن زنكي ، وطلب ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين أن يوجهه الى أرض المغرب يفتحها ، وكانت طرابلس وافريقية والمغرب في يد الموحدين ، فاشتغل تقي الدين في حركته ثم زهد في غزو أرض المغرب لما بينه وبينها من

(١) اسم قلعة بالشام

العربان والمهالك

وقد سرى خبر تغريبه الى جمع من جنده وخواصه فاستبشروا بذلك وبنوا عليه ، فلما امتنع تقي الدين عن التغريب نفر بطائفة من جنده مملوكه شرف الدين قراقش المتقدم المذكور وبأخرى ابراهيم بن قراتكين^(١) سلاح دار المعظم ، وصف دار المعظم ، وسيد المعظم شمس الدولة بن أيوب الكردي أخو صلاح الدين المذكور . وكان ابن قراتكين في جند تقي الدين . فتوجه العبدان المذكوران لأرض المغرب مجتمعين حتى جاوزا العقبة ، فاتفق رأيهما أن يفترقا لينفرد كل بما قدر له من الملك . فسار قراقش الى « سنترية » وهي المعروفة في زماننا بسيوة وافتتحها وخطب فيها لصلاح الدين ولاخيه تقي الدين سيد قراقش من بعده وكتب اليهما بذلك . وافتتح « أوجلة » و« زالة » وهي المعروفة عند العوام بزلة ، وأزال من فزان دولة بني خطاب الهواريين ، وكانت قاعدة ملكهم « زويلة »^(٢) وهي المعروفة بزويلة ابن خطاب ، وعذب ملكها محمود ابن خطاب بن يسليطن بن عبد الله بن صنع بن خطاب^(٣) آخر ملوكهم على المال حتى هلك^(٤) وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين

(١) ابراهيم بن قراتكين قتل بقتلة حين حاصرها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في حروبه مع قراقش وعلى بن غانية

(٢) زويلة : كسفينة مدينة في فزان واقعة في الجنوب الشرقي من مرزوق : بينهما نحو ١٥٠ كيلو متراً ، ومنها الى مدينة طرابلس مسيرة ٢٥ يوماً ، وهي مغلطة وسط الواحة الشرقية المتصلة بواحة مرزوق ، وكانت فيما مضى قاعدة لفزان . وتسمى بلد الاشراف لأن غالب سكانها اشراف وكانت اكبر مما هي عليه الآن بنحو ثلاث مرات ودورها من طبقة واحدة . وفي وسطها بقايا بناء ضخم قديم يقال انه كان قصراً فيما مضى . ويقرب سورها الجنوبي مسجد لا يزال بحالة جيدة وبه محن متسع حوله اعمدة ضخمة ويقرب المدينة من الجهة الشرقية مبان قديمة هي قبور اشراف استشهدوا في قتال كفار تلك النواحي وتسمى الآن قبور الصحابة . والارض حولها منبسطة خصبة كثيرة المياه افتتحها عقبة بن نافع سنة ٢٢ بعد فتح برقة

(٣) كانت بالاصل محمود بن خطاب بن زلة بن عبد الله بن زغل بن خطاب والصحيح من ابن خلدون وتاريخه النائب

(٤) وبوته انقرض ملك بني خطاب من فزان ، وكان التحاق قراقش بزويلة سنة ٦٨ هـ

ولم يزل على هذه الطريقة يفتتح البلاد ويخطب لمن ذكر الى أن وصل الى طرابلس فاجتمع عليه القبايون ، وهم بنو ذباب بن ربيعة بن زعب ابن جرد بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة ^(١) بن سليم ابن سلمون ، كذا ذكره الرشاطي . وزعب المنسوب اليه ذكره الرشاطي ^(٢) بكسر الزاي والعين المهملة وله ولد آخر يسمى باسمه أخو ربيعة واليه ينتسب الرعييون اخوة بني ذباب . ومثل ما للرشاطي للاجدائي

ولما قدم على بني ذباب وفد اليه مسعود بن زمام من أمراء بني هلال كان لم يدخل يدأ في بيعة عبد المؤمن بن علي حين تملك افريقية ، وفر منها لأعراب طرابلس ، فتسارة يكون مع بني ذباب ، وتارة يكون مع اخوتهم زعب ، فاتفق معهم وكثر جمعهم فنزل على طرابلس فحاصرها مدة وضيق على أهلها ثم فتحت

استيلاء قراقش على طرابلس

فاستولى عليها قراقش ^(٣) وكان ذلك سنة ثمان وستين وخمسة كما ذكرنا أولاً وأسكن أهله قصرها ، وكانت خالية من الاقوات والاجناد لانهم بعد بيعتهم لعبد المؤمن بن علي واستقرار بلدهم في يد الموحدين لم يتوقعوا نائراً ولا مخالفاً فلما أتاها على ذلك أخذها وتملك كثيراً من بلاد افريقية ما خلا المهديّة وصفاقس وقونس وقنصة وما والاها من القرى والمواضع . وسار مع قراقش عسكر كثير فجرح على تلك البلاد بمساعدة العرب فجمع أموالاً عظيمة وجعلها

(١) كانت بالأصل بنية . وقد ذكر ابن خلدون في بني سليم أمرا القيس بن بهثة بانه مثلثة في عدة مواضع

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي يعرف بالرشاطي وله عناية بالحديث ورجاله والتاريخ . ومولده في جمادى الآخرة سنة ١٦٦ ، وتوفي سنة ٥٤٠

(٣) توجد بلدة قروية من مدينته طرابلس على نحو ثلاثة أميال الى الجهة الغربية . منها تسمى قراقش وهي محرفة عن اسم قراقش وبها أصل قصر قديم

بمدينة قابس ، وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افرريقية لبعده يعقوب بن عبد المؤمن هنا . وتملك على بن اسحق^(١) بجاية من يدعامل يعقوب سنة ثمانين وخمسة فوجه اليه يعقوب مسكراً واستبعتها منه

وسبب استيلاء على عليها أنه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر أسطولا نحواً من عشرين قطعة وسار بجموعه فأرسل على ساحل بجاية وخرجت خيله ورجالته من الشواني^(٢) فكانوا نحو مائتي فارس من المثلثين ، وأربعة آلاف رجل ، فدخل مدينة بجاية بغير قتال ، لانه اتفق أن واليها سار عنها قبل ذلك بأيام الى مرا كش ولم يترك فيها جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه فجاء المثلث ولم يكن في حسابهم أنه يحدث نفسه بذلك فأرسل بها ، وواقفه جماعة من بقايا دولة بني حماد وساروا معه فكثر جمعهم وقويت نفسه . فسمع انهزم والي بجاية فماد من طريقه ومعه من الموحدين نحو ثلاثمائة فارس وجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو ألف فارس ، فسمع بهم المثلث وقر بهم منه ، فخرج اليهم وقد سار معه نحو ألف فارس ، فالتقوا وتواقفوا ساعة ، فانضافت الجوع التي كانت مع والي بجاية الى المثلث ، وانهزم واليها ومن معه من الموحدين وساروا الى مرا كش فجمع جيشه وخرج الى أعمال بجاية فأطاعته جميعها الا قسنطينة فحصرها الى أن جاء جيش من الموحدين من مرا كش في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية في البر والبحر ، وكان بها يحيى وعبد الله أخوا على ابن اسحق المثلث ، فخرجوا منها هاربين ولحقا بأخيها ، فرحل عن قسنطينة وسار الى افرريقية وصادقة قراقش الارمني وكانا يقمان الدعوة لبني العباس ، واجتمع عليهما سليم ورياح ومن بأرض طرابلس وافرريقية مما يليها من العرب ، ووصل

(١) هو على بن اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن غانية ، وهو من اعيان المثلثين الذين كانوا يملكون المغرب الاقصى ، وهو صاحب جزيرة ميورقة وقتل في حروبه مع اهل نفاوة سنة ٨٤ هـ

(٢) جمع شواني وهو اسم لنوع من مراكب البحر

اليهما من مصر بملوك لتقى الدين ابن أخي صلاح الدين اسمه بوزابه ، فكثرت
 جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كبيرا وكلمهم كاره
 لدولة الموحدين فاتبعوا على بن اسحاق الملقب بالملثم لانه من بيت المملكة والرياسة
 القديمة ، واقادوا اليه ولقبوه أمير المسلمين وقصدوا بلاد أفريقية فلكوها
 جميعها شرقا وغربا الا مدينتي تونس والمهدية فان الموحدين أقاموا بهما
 وحفظوهما على خوف وضيق وشدة ، وانضم الى الملثم كل مفسد في تلك البلاد
 ومن يريد النهب والفساد والشر ، فخرّبوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا
 الحرم وقطعوا الأشجار . وكان الوالي على افريقية من قبل الموحدين عبد الواحد
 ابن عبد الله الهنتائي وهو بمدينة تونس ، فارسل الى ملك المغرب يعقوب بن
 يوسف بن عبد المؤمن بن علي وهو بمراكش يعلمه الحال ، وقصد الملثم جزيرة
 باشو - وهي بمقربة من تونس تشتمل على قرى كثيرة - فنازلها وأحاط بها ،
 وطلب أهلها الا مان فأجابهم وأمنهم ، فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من
 الغلات والدواب ، وسلبوا الناس ، وامتدت أيديهم الى النساء والصبيان
 وتركوهم هلكى ، وقصد تونس فحاصرها وضيق على من بها حتى مات منهم خلق
 كثير . ولما استولى على افريقية قطع الخطبة لبني عبد المؤمن وخطب للناصر
 لدين الله العباسي ، وأرسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود
 وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فخرج من بها من الموحدين
 وسلموها اليه فرتب فيها جندا من المثلثين والاتراك ، وحصنها بالرجال مع
 حصانتها في البلاد . ولما وصل الخبر يعقوب بن يوسف اختار من جنده عشرين
 ألف فارس من الموحدين وقصد قلعة العسكر لقلعة القوت في البلاد ، ولما جرى فيها من
 التخريب والاذى ، وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة
 تونس ، وأرسل ستة آلاف مع ابن أخيه ، فساروا الى علي بن اسحاق الملثم

ليقاتلوه ، وكان بقفصة ، فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فثاروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين ، فلما جمع يعقوب الخبر أقام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ، ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب المثلث والاثراك ، فوصل اليهم والتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم المثلث ومن معه ، فأكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفتونهم ولم ينج منهم الا القليل ، فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها وأخذ منها أهل قراقش وأولاده وحملهم الى مراكش ، ودانت له البلاد كلها : طرابلس وافريقية

ثم أظهر قراقش الانابة الى الموحدين ومات على بن اسحاق الميورقي ، وتولى اخوه يحيى ، وكان ذلك سنة ست وثمانين وخمسة مائة ، ولحق قراقش بالسيد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن^(١) ، فأقام بهازما تحت كرامته ثم انصرف عنها فأراد فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم ، وأظهر الرجوع عن الانابة واستدعى جماعة من أشياخ العرب الذين قتل أعيانهم ومن قتل منهم محمود بن طوق بن بقية - واليه تنسب الحمديد - وحيد بن جارية في سبعين^(٢) ، واستولى عليها وعلى طرابلس بعد انتفاضهما عليه . ثم وقع

(١) ذكر ابن خلدون ان قراقش تزعم الى طاعة الموحدين سنة ٨١٦ هـ فهاجر اليهم بتونس وتقبله السيد ابو زيد بن ابي حفص بن عبد المؤمن . ا هـ وابو زيد هذا كان صاحب تونس اذ ذاك . وكان صاحب افريقية والمغرب المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

(٢) قلهم بقصر العروسيين ، وهذا القصر بقابس اختطه رافع بن مكى ، وقيل رشيد بن كامل وكلاهما من دهمان من بني هلال

والحمديد قبيلة عربية طرابلسية مشهورة بعزة النفس والكرم ، وساؤم شديداً التحجب لا يكاد الانسان يراهم ولا زلنا نعرف منهم هذا الى اليوم . وم يسكنون البادية وبيوت الشعر ولم رحلة في الصيف الى الزاوية يفتشون فيها خلال الاشجار والتخيل بالصارية وما اليها الى صرمان وحيد بن جارية جد الجوارى واليه ينسبون وهم قبيلة عربية بطرابلس بعضها يسكن صرمان وبعضها يسكن النواحي الاربعية بين طرابلس وغريان

التغير بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقي ، وكان يحيى ببلد الجريد ، فسار الى طرابلس للاقاء قراش فخرج اليه قراش وجعل عليها نائبا يقال له يا قوت المعروف بالافتخار والتقيا بمحسن ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

ألا لاسقى الرحمن محسن قطرة ولا زال مغبر الجوانب محسن
وخيب قطيساً^(١) من الغيث كله ولا ابتل فيه للركائب فرسن
وهو يعرف اليوم بوادي الهيرة : بهاء بعدها مثناء تحمية بعدها راء مهمة
فكالت الوقعة ليحيى على قراش وقعة شليعة ، وفر قراش للجبال وتوغل فيها
وتبعه الميورقي أياما ثم رجع الى طرابلس وحصر بها يا قوتا نائب قراش ، فلم
يقصر في دفاعه ، وضبط البلد ضبطاً عظيماً ، فكتب الميورقي لأخيه عبد الله
- وهو اذ ذاك صاحب ميورقة^(٢) من بلاد الاندلس يطلب منه الاعانة ببعض
أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضيقا شديداً الى أن
استولى عليها

استيلاء يحيى بن غانية على طرابلس

[ولما تم له الأمر] امتن على أهلها بالعفو ، وأخذ يا قوتا فوجهه في القطم التي
وصلت اليه الى ميورقة فاعتقل بها ، ولم يزل هناك الى ان استولى الموحدون على
ميورقة وذلك سنة تسع وتسعين وخمسة

ولما انفصل عنها استخلف عليها ابن عمه تاشفين بن الغاني فاقام بها مدة ثم
قام عليه أهلها وأخرجوه منها ، وتوجه يحيى الى قابس واستولى عليها ، وبقيت

(١) قطيس : بقاف مكسورة وطاء مكسورة مشددة ، اسم موضع تحت جبال غريان من الجهة الشمالية

(٢) ميورقة بفتح الميم ويلتقى فيها ساكنان الواو والراء : جزيرة في شرقي الاندلس

في حكم يحيى بن اسحاق الملقب الى أن وصل الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الى افريقية سنة احدى وستائة فاستنقذ قابس ، وبايعه أهل طرابلس ، وتردد عليهما حفاظ الموحدين من قبله ، ثم من قبل الشيخ ابن محمود ابن أبي حفص بن عبد المؤمن بعد انفصال الناصر واستخلافه اياه عليها . وكان يحيى ابن اسحاق لما استولى على البلدين طرابلس وقابس وأستقر عنده أن شرف الدين قراقش أقام بودان (١) فتوجه اليه بن استصحب من العرب الذبابيين من أولاد محمود (٢) وجارية بن وشاح ، الموتورين من قبل قراقش وحصر بها الى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلما واشترط على العرب أن يقتلوه قبل ولده وكان شديد المحبة له . فلما خرج هو وولده اليهم قال له الولد يا أبت الى أين يروحوا بنا ؟ فقال الى حيث رحنا بشبابهم . فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه يحيى بظاهر ودان ويحيى هذا هو يحيى بن اسحاق المعروف بابن غانبة من أعيان الملتئمين الذين كانوا ملوك المغرب واختصبوه من أيدي زناته الذين ثاروا أيام الفتن بعد خروج افريقية عن بيعة بني عبيد وهي دولة رديئة مذمومة سيئة لا ديانة لها ولا سياسة . فلنذكر نسبهم وسبب توليهم تنجبا للفائدة فنقول :

(١) ودان مدينة تقع على رأس جبل صغير كان بها سور وبه باب واحد يفتح الى الجهة الشرقية وفي الجهة الغربية منه قلعة . والان تهدم السور ولم يبق منه الآن الا الباب وحوله شيء قليل وقد كثر صرلها الان وامتد خارج السور ، ومحاويله بكثير وهي تقع على مسافة ٥٣٤ ميلا الى الجنوب من مدينة طرابلس والى شمال زويلة بنحو عشرة ايام اقتحمها بسر بن أرطاة سنة ٢٣ ثم انتفض أهلها ومنعوا ما كان بسر فرسه عليهم وفي ايام معاوية بن أبي سفيان ذهب اليها عقبة بن نافع ومعه بسر بن أرطاة في جيش عظيم حتى نزل غدامس فافتتحها سنة ٤٢ وخلف عقبة جيشه هناك واستخلف عليه زهير بن قيس البلوي ، ثم سار بنفسه في ٤٠٠ فارس ، و ٤٠٠ رجل بثمانائة قرية ماء حتى قدم ودان فافتتحوها واخذ ملكها فجذب انفه فقال لم فعلت هذا وقد عاهدت المسلمين ؟ فقال عقبة : ادبا لك اذا مسست انفك ذكرت فلم يحارب العرب ، واستخرج منه ما كان بسر فرسه عليه وهو ٣٦٠ راسا

(٢) اولاد محمود لا يزالون يرفقون بهذا الاسم وم من العرب الرحل يسكنون البادية فيها وراء الجوش الى الجهة الغربية وبعضهم يسكن بفرن وم غند من المهاديد

(١) نسب المسلمين

هم عدة قبائل يقتسبون الى حير أشهرها لمتونة ، ومنها أمير المسلمين يوسف ابن هلي بن ناشفين . وجدالة ، ولمطة . وكان مسيرهم من اليمن أيام الصديق رضى الله عنه أمرهم بالمسير الى الشام وانتقلوا الى مصر ، ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير و توجهوا مع طارق الى طنجة وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وتوجه رجل منهم يقال له الجوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالباً للحج وكان محباً للدين ، فربقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقون قيل هو الفقيه أبو عمران الفاسي ، فأصغى اليه الجوهر وأعجبه حاله فلما رجع من حجه قال للفقيه ما عندنا من هذا في الصحراء شيء غير الشهادة والصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلمهم شرائع الاسلام ، فبعث معه رجلا اسمه عبد الله بن ياسين الكردي^(٢) ، وكان فقيهاً صالحاً شهماً ، فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جملته وأخذ بزمام جمل ابن ياسين تعظيماً للاسلام فأقبلوا على الجوهر يهنئونه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال : هذا رجلٌ حاملٌ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم دين الاسلام ، فرحبوا بهما وأزولوها ، وقالوا تذكر لنا شريعة الاسلام ، ففرهم عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا : أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب ، وأما ما قلت من قتل يقتل ومن سرق يقطع ، ومن زنى رجم ، أو جلد ، فأمر لانا لزمه فاذهب لغيرنا . فرحل عنهم فنظر الى الفقيه شيخ كبير وقال لا بد أن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء

(١) للمسلمون قبائل بربرية كانت تسكن الصحراء الكبرى ، وكانوا على دين الجوسية قبل ان يظلمهم الاسلام في المائة الثالثة ، واول من سماهم المرابطين عبد الله بن ياسين ، وهو اول من دعاهم الى قتال من لم يذعن الى الاحكام الاسلامية

(٢) قال ابن خلدون : عبد الله بن ياسين بن بك الجزولي

شأن يذكر في العالم ، فانتهى الجوهر والفقير الى جدالة قبيلة الجوهر فدعاهم عبد الله ابن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم الى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض وعصى . ثم ان المتحالفين لهم نجبروا وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين أطاعوا نوجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم فأقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميراً . فقال الجوهر أنت الامير فقال إنما انا حامل أمانة الشريعة ولكن أنت الامير ، فقال الجوهر لو فعلت هذا لتسلط قبيلي على الناس ويكون وزير ذلك عليّ فقال له ابن ياسين الرأي أن نولى ذلك أبا بكر بن عمر رأس لمتوّه وكبيرها (١) وهو رجل سيد مشكور الحال مطاع في قومه ومستجيب لنا ، يحب الرأسة ويتبعه قومه فنتقوى بهم . فأتيا أبا بكر بن عمر ، فمرضا عليه ذلك فأجاب ، فمقدوا له البيعة وصماه ابن ياسين « أمير المسلمين » وعادوا الى جدالة وجمعوا لهم من حسن اسلامه ، وحرصهم عبد الله بن ياسين على القتال في سبيل الله وصماه المرابطين ، وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون ، واستعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك الاشرار بالصالحين من قبائلهم فاستألومهم وقربوهم حتى أحاطوا بنحو ألفي رجل منهم من أهل البغي والفساد فتركوهم في مكان واحد وخندقوا عليهم وحفظوهم وأخرجوهم قوما بعد قوما وقتلوهم فحينئذ دلت لهم أكبر قبائل الصحراء وهابوهم وقويت شوكة المرابطين . هذا وعبد الله بن ياسين مشغول بالعلم وقد صار عنده منهم جماعة يتفقون ولما استبد بالأمر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجدل الى وبقي لاحكم له داخله الحسد وشرع سرا في افساد الأمر ، فعلم بذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لأنه نكث البيعة وشق العصا وأراد محاربة

(١) هو ابو بكر بن عمر بن نلاكاكين ، وولاه ابن ياسين أمر المرابطين سنة ٤٤٧ هـ وهو الذي خرج من الصحراء بجيوش المرابطين لفتح المغرب ، وقبل ان يتم فتجه عاد الى الصحراء واستعمل عليه يوسف بن تاشفين

أهل الحق ، فقتل بعد أن صلى ركعتين وأظهر السرور بالقتل طلباً لبقاء الله تعالى . وأجمعت القبائل على طاعتهم ، ومن خالفهم قاتلوه ، وبقوا على ذلك الى سنة خمس [وأربعين ^(١)] وأربعمائة فمحطت بلادهم فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج الى السوس وأخذ الزكاة ، فخرج منهم تسعمائة رجل وقدموا ساجدة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئاً قدره الله وعادوا

ثم ان الصحراء ضاقت بهم وأرادوا اظهار كلمة الحق والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار ، فخرجوا الى السوس الأقصى [سنة ٤٤٥هـ ^(١)] فاجتمع لهم أهل السوس وقاتلهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه [سنة ٤٥٠هـ ^(١)] وعاد أبو بكر بن عمر وجمع جيشاً وخرج الى السوس في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس وزنائة اثنا عشر ألف فارس فأرسل اليهم وقال : افتحوا لنا الطريق لنجوز الى الاندلس ونجاهد اعداء الاسلام فأبوا ذلك ، فصلى أبو بكر ودعا الله تعالى ، وقال : اللهم ان كنا على الحق [فانصرنا] وإلا فأرحنا من هذه الدنيا ، ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم أهل السوس ومن معهم ، وأكثر القتل فيهم وغنم المرابطون أسلابهم وأموالهم ، وقويت نفسه ونفس أصحابه وساروا الى سلجاسة فنزلوا عليها وطلبوا من أهلها الزكاة فامتنعوا عليهم ، وسار اليهم صاحب سلجاسة ، فاستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة واستعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمه الاقربين ورجع الى الصحراء ، فأحسن يوسف السيرة في الرعية ولم يأخذ منهم سوى الزكاة فأقلم بالصحراء مدة

ثم عاد أبو بكر بن عمر الى سلجاسة فأقلم بها سنة واخلطبة والأمر له والنهي ، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن ابراهيم بن عمر وجهز مع يوسف بن تاشفين

جيشاً من المرابطين الى السوس ففتح على يديه
وكان يوسف ديناً حازماً داهية مجرباً^(١) . وبقوا كذلك الى سنة اثنتين وستين
وأربع مائة . وتوفي أبو بكر بن عمر بالصحراء [سنة ٤٨٠هـ^(٢)] فاجتمعت طوائف
المرابطين^(٣) على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه أمير المسلمين
وكانت الدولة في المغرب لزائنه الذين ثاروا في أيام الفتن وهي دولة رديئة
مذهومة السيرة لا سياسة لها ولا ديانة . وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السنة
واتباع الشريعة فاقبدي به أهل المغرب ، فسار اليها وافتتحها حصناً حصناً ، وبلداً
بلداً بأيسر سعى ، وأحبه الرعايا وصلحت احوالهم .

ثم انه قصد موضع مدينة مراکش و هو قاع صفصاف لاعمارة فيه وهو موضع
متوسط في بلاد المغرب - كالقيروان بافريقية - تحت بلاد المصامدة الذين هم
أشد أهل المغرب قوة وامنعهم مقللاً فاخط هناك مدينة مراکش [سنة ٤٦٥هـ^(٢)]
ليقوى على قمع أهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها مقراً ، فلم يتحرك أحد
بفتنة ، وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها . وكثرت
عساكره ، وخرجت جماعة لمتونة : قبيلة وغيرهم من الصحراء وضيقوا حينئذ
لثامهم ، وكانوا قبل أن يملكوا يتلمثون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل
العرب . والغالب على ألوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام
واختلف في سبب التزامهم اللثام ، فقيل ان طائفة من لمتونة خرجوا غازين

(١) قال ابن خلكان : وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي

(٢) الزيادة من ابن خلدون

(٣) كانت بالاصل الموحدية ، وهو خطأ لان يوسف بن تاشفين من المرابطين وهم المائثون اصحاب
أبي بكر بن عمر . وقد مات يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ والموحدون هم اصحاب المهدي والمهدي قام بدعوته
سنة ٥١٤ هـ في زمن علي بن يوسف بن تاشفين ، وهم الذين قضوا على دولة المرابطين في زمن اسحاق بن
علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٤٢ هـ

على عدوهم يخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن فيها الا المشايخ والصبيان والنساء ،
فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمنن ويضيقنه
حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهم
واستدارت النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأوا جمعاً عظيماً فظنوه رجالاً
وقالوا هؤلاء عند الحريم يقاتلون قتال الموت والرأي أن نسوق الظعن ونمضي
فان منعوه قاتلناهم خارجاً عن حريمهم ، فبينما هم في جمع النعم بالمرعى وقد أقبل
رجال الحي فبقى العدو بينهم وبين النساء فاقتتلوا وقتل من العدو جمع كثير ، وكان
من قتل من النساء أكثر . فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلزمونه فلا يعرف
الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً
ومما قيل فيه من الشعر :

قوم لهم درك العلا في حير واذا انتموا صنهاجة فهم همو

لما حووا احراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

ولم يزل ملك أرض المغرب والاندلس بيده الى تمام الخمسمائة فتوفي وتولى
بعده ابنه علي . وكان يوسف حسن السيرة خيراً عادلاً ، يميل لاهل الدين والعلم
ويكرمهم ويصدر عن رأيهم .

ولما ملك الاندلس جمع الفقهاء وأحسن اليهم ، فقالوا ينبغي أن تكون ولايتك
من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة ، فأرسل الى الخليفة المستنصر بالله العباسي
ببغداد رسولا^(١) معه هدية كثيرة وكتاب يذكر ما فتح من بلاد الافرنج وما اعتمده
من نصرة الاسلام ، ويطلب تقليداً بولاية البلاد . فكتب له تقليداً من ديوان
الخليفة بما أراد ، وسيرت اليه الخلع فسر بذلك ولقب أمير المسلمين ، ولقب
بعده علي ابنه بذلك ، وازداد بعد توليه في اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم .

(١) قال ابن خلدون : ومث اليه عبد الله بن محمد بن الغرب العامي الاشيلي ، وولده القاضي ابا بكر

وكان اذا وعظه أحدهم خشم عند استماع الموعدة ولان قلبه لما وظهر عليه أثرها
 وكان يوسف إلهياً كريماً ديناً يحب الصفح عن الامور العظام : فمن صفحه
 أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمني أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمنى الآخر عملاً
 يعمل فيه لأمر المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته النفزاوية^(١) وكانت من أجل النساء
 وأتمن عقلها ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر فاحضرهم فأعطى متمني المال ألف
 دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للمتمني الزوجة ما حملك على هذا يا جاهل . ثم
 أرسله إليها فتر كته ثلاثة أيام في خيمة تحمل اليه كل يوم طعاماً واحداً ثم أحضرته
 وقالت : ما أكلت قال : طعاماً واحداً ؟ فقالت : كل النساء شيء واحد ، وأمرت
 له بمال وكسوة وأطلقته . فالنظر هذا الصفح . ولم تؤثر عنه رذيلة الا ما فعل
 بالمعتمد بن عباد وبنيه لما أفتك بلادهم وأخذهم أسارى

وكان يوسف قد سير العسكر مع سير بن أبي بكر^(٢) وحاصر المعتمد بأشبيلية
 واخذها سنة أربع وثمانين وأربعمائة وقاتله أهلها قتالاً شديداً وظهر من شجاعة
 المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلاده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه ، فكان
 يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجي خلاصه منها ، فسلم بشجاعته وشدة بأسه ولكن
 « إذا نفدت المدة لم تكن العدة »

ولم يزل الحصار دائماً والقتال مستمراً الى [يوم الأحد] عشرين من رجب
 من هذه السنة فعظمت الحرب ذلك اليوم ، واشتد الامر على أهل البلاد ، ودخله
 المرابطون ونهب جميع ما فيه وسلب الناس ثيابهم ، فخرجوا من مساكنهم

(١) اسمها زيف بنت اسحاق ، تزوجها يوسف بن علي بن عبد الرحمن ، ثم تزوجها بعده لقوط بن
 يوسف ابن علي المقرأوى ، ثم تزوجها بعده ابو بكر بن عمر . ولما رجم الى الصحراء واناب عنه يوسف بن
 تاشفين عن المغرب تنازل له عنها . (ابن خلدون)

(٢) زاد ابن خلدون : ابن محمد وركوت

يمسكون عوراتهم بأيديهم ، وأخذ المعتمد أسيراً^(١) وأولاده الذكور والاناث بعد أن استأصلوا جميع ما لهم فلم يصحبهم من ملكهم بلقة زادر وسير المعتمد وأهله الى « مدينة أغات » فحبس فيها وفعل معهم أمير المسلمين يوسف أفعالا لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده الا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم ولم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأجرة ينقنها على أنفسهن . فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم طبع

وأغات هذه مدينة في سفح جبل بالمغرب بمقربة من مدينة مرا كس بينهما

(١) هو المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن المعتض بالله ابني عمرو عباد بن الطافر المؤيد بالله ابني القاسم محمد قاضي اشبيلية ، ابن ابني الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن اسلم بن عمرو بن عطف بن نعيم اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة . وكان المعتمد المذكور صاحب قرطبة واشبيلية وما والاها من جزيرة الاندلس . وفيه وفي ابيه يقول بعض الشعراء :

من بنى المنذرين وهو انتساب زاد في غرهم بنو عباد
فتية لم تلد سواها المصالي والمعالى قليلة الاولاد

واسلمهم من العريش - قرية تفصل بين الشام ومصر - واول من ذهب منهم الى الاندلس نعيم وابنه عطف واستوطنا اشبيلية . واول من تولى الملك منهم الطافر محمد بن اسماعيل قاضي اشبيلية ، وملك قرطبة وغيرها سنة ٤١٤ هـ وكان من اهل العلم والادب وتوفي ليلة الاحد ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٤٣٣ هـ ، وقام بالامر بعده ولده المعتض بالله ابو عمرو عباد وتسمى اولا بفخر الدولة . وكان جواداً اديباً حيارا انسح ملكه وكثر لسله . وتوفي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ٤٦١ هـ ودفن بمدينة اشبيلية وتولى الملك بعده ولده المعتمد على الله ابو القاسم محمد وكان اندى ملوك الاندلس راحة وارحهم ساحة ، ولذلك كانت حضرته ملقى الرحال وموسم الشعراء ، ولم يجتمع بباب احد من ملوك عصره من فحول الشعراء والادباء كان يجتمع ببابه وكان له شهر كما اشقى الكمام عن الزهر

ولما استعبد ملوك الاندلس ييوسف بن تاشفين على الافرنج الذين كانوا يهددون الاندلس وانجدم وتم النصر للمسلمين دعا المعتمد ييوسف ابن تاشفين لينزل ضيقاً عنده فاجابه ، فرأى من قصور ابن عباد وضخامة ملكه ورفاة عيشه ما لم يكن عنده بمرا كس ، فوقع في نفسه منه ، واغراه بعض اذنا به باخذ الاندلس فأخذها وفعل بابن عباد ما سيجازيه الله عنه ، وقد ذكر المؤلف بعضه ، وكانت ولادة ابن عباد في شهر ربيع الاول سنة ٤٣١ هـ بمدينة باجة ، وتولى الملك في جمادى الآخرة سنة ٤٦١ هـ . وخلع يوم الاحد لمسلمين من رجب سنة ٤٨٤ هـ ، وتوفي في السجن بأغمار لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وقيل في ذى الحجة ٤٨٨ هـ ، ونودى في جنازته الصلاة على الفريسي^{هـ} مختصراً من ابن خلكان

نحو اثني عشر ميلا . كذا ذكره صاحب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »
 قال : وأغات وريكة أسفل جبل درن^(١) من شماليه في فحص أفيح طيب
 التراب كثير النبات والاعشاب والمياه تخرقه يمينا وشمالا ، وتطرد بساحتها
 ليلا ونهارا وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة ومكانها أحسن مكان
 من الارض منفرجة الارعاء ، طيبة الثواء ، عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، وبها
 نهريس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبها فيمر الى أن يخرج من شماليها
 وعليه أرهاؤم - آلات يطحنون بها الحنطة - وهذا النهر ، يدخل المدينة يوم
 الخميس ويوم الجمعة والسبت والاحد ، وباقي الجمعة يأخذونه لسقي جناتهم
 وأرضهم ويقطعونه عن البلد فلا يجري منه اليها شيء ، يكتنفها جبل درن فاذا كان
 زمن الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درن فيسيل ذوبانها الى مدينة أغات ،
 وربما جمد به النهر في وسط المدينة حتى يجتاز الاطفال عليه وهو جامد فلا ينكسر
 لشدة جوده

وأهلها هواره من قبائل البربر المتبر برين بالمجاورة ، وهم أملياء تجار مياسير
 يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الاموال من النحاس
 الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من
 الزجاج والاصداق والاحجار ، وضروب من الاقاوية والعطرو آلات الحديد
 المصنوع . وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله الا وله في قوافلهم المائة جل
 والسبعون جملا كلها موقورة .

ولم يكن في دولة الملتمين أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا ،

(١) ودرن هذه موضع بالغرب في مراکش ، ولما مر بها المتمد وهو اسير الشد لنفسه :

هذه جبال درن محدوة بالدرن
 ياليتي لم ارها وليتها لم ترني

وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم . وذلك أن الرجل منهم اذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته أقلم على يمين بابه وعن يساره عمودين من الارض الى أعلا السقف وبنيتهم بالأجر والطوب والطين ، فاذا مر الناظر بدار ونظر الى تلك العمدة مع الأبواب قائمة وعددها علم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار ، لانه قد يكون من هذه العمدة خلف الباب أربع وست مع كل عضادة اثنتان أو ثلاثة الى آخر ما ذكره

ولم يزل المعتمد بها مسجوناً الى أن توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وكان المعتمد من محاسن الدنيا كريماً وعلماً وشجاعة ورئاسة تامة ، وأخباره مدونة وآثاره مشهورة ، وله أشعار حسنة ، فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس :

سلت على يد الخطوب سيوفها فخذن من جسدي الخصب الأمتنا
ضربت بها أيدي الخطوب وإنما ضربت رقاب الآملين بها المنى
أؤمؤموا العادات من نفحاتنا كفوا فان الدهر كف أكفنا
وله من قصيدة يصف القيد في رجله :

تعطف في ساقى تعطف أرقم يساورها عضاً بأنياب ضيغم
وإني لمن كان الرجالُ بسبيه ومن سيفه في جنة وجهم^(١)

وله في يوم عيد اذ جاءته بناته حافيات عليهن ثياب مهنة إذ كن لضيق العيش يغزلن للناس بأجرة حتى أن إحداهن كانت تغزل لبنت صاحب شرطة أبيها اذ كان في سلطانه :

[فيها مضى كنت بالاعياء مسرورا فساءك العيد في أغث مأسورا]

(١) وتلّم المعتمد يوماً من ضيق قيده وثقله فقال :

تبدلت من ظل عز البنود	بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليلاً	وعضياً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذادها	بنض بساقى عض الاسود

تري بناتك في الأطهار جائعةً يغزلن للناس لا يملكن قطعيرا
 برزن نحوك للتسليم خاشعةً أبصارهن حسيرات مكاسيرا
 يطأن في الطين والأقدام حافيةً كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
 لا خد إلا تشكي الجذب ظاهره وليس الامع الأنفاس مطورا^(١)
 قد كان دهرُك إن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا
 من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالأحلام مفورا
 وله لما وفد عليه بأغمت شاعره أبو بكر بن اللبانة حين أنشده القصيدة الغائية
 التي أنشأها فيه الآتي ذكرها وعزم على الانفصال عنه بعث اليه بعشرين ديناراً
 وشقة بغدادية :

اليك النزر من كف الأسير فان تقبل تكن عين الشكور
 تقبل ما يذوب له حياء وان عذرت حالات الفقير
 وكانت الشعراء يكتبونه وهو في السجن بالنظم والنثر يتوجعون له
 ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب
 قال شاعره أبو بكر بن اللبانة زرتك بعد أمره بأغمت وقلت أيبانا عند
 دخولي اليه منها :

لم أقل في الثفاف كان ثقافاً كنت قلباً به وكان شفافاً
 يمكث الزهر في الكمام ولكن بعد مكث الكمام يبدو قطافاً
 وإذا ما الهلال غاب مغيباً لم يكن ذلك المغيب انكشافاً
 أنما أنت درة للمعالي ركب الدهر فوقها أصدافاً
 حجب البيت منك شخصاً كريماً مثل ما يججب الدنان سلافاً
 أنت للفضل كعبة ولو اني كنت أسطيع لالتزمت الطوافاً

(١) روى ابن خلكان هذا البيت مكذ : لاجد الا ويشكو الجذب ظاهره . وليس الامع الانفاس مطورا

وممن كاتبه عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي
الشاعر المشهور بأبيات يذكر فيها مسيره عن أشبيلية الى أغات تعريضاً وهي
جواب عن قول المعتمد : « تعطف في ساقى » البيتين المتقدمين وهي هذه :

جرى لك جدٌ بالكرام عثور وجار زمان كنت منه مجير
لقد أصبحت بيض الطلافي غمودها إننا لما ترك الضرب وهي ذكور
أتأس من يوم يناقض أمسه وشهب الدراري في البروج تدور
ولما رحلتم بالندى في أكفكم وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت ألا فانظروا كيف الجبال تسير
ورثاء أبو بكر بن اللبانة عند حادثته بمدة قصائد منها قوله :

تبكي السماء بمزن رائج غاد على البهاليل من أبناء عباد
عريسة دخلتها النائبات على أسود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها فالיום لا عاكف فيها ولا باد
ياضيف أقفريت المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل وادبهم ليسكنه خف القطين وجف الزرع بالوادي
الى أن قال :

حط القناع فلم تُسترُ حُخرةٌ ومزقت أوجهٌ تمزيق ابراد
حان الوداع فضجت كل صارخة وصارخ من مُفداة ومن فاد^(١)
ولما قتل ولدا المعتمد بين يديه حين أخذ أسيراً صبراً ، وهما : أبو الفتح
الرشيد ، ويزيد أنشد :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
[هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه يزيد فهل بعد الكواكب من صبر]
أفتح لقد فتحت لي كل رحمة كما يزيد الله قد زاد في أجري

(١) هذه الايات من قصيدة عدة ابياتها ١٩ بيتا في وصف ال عباد وكيف سيقوا الى المنى بعد ان
مالت دولتهم وهي مذكورة في ثلاثة المقايان

هوى بكما المقدار عني ولم أمت فادعى وفيّاً قد نكصت إلى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى إذا أنما أبصرتما في الأسر
أبا خالد أورتني البثُ خالداً أبا النصر مذودعت ودعني نصري^(١)
وكان ابنه الرشيد جرت له حادثة قبل أخذ المرابطين اشبيلية شبيهة بحادثة
الأمين بن هارون الرشيد . قال أبو بكر بن عيسى بن اللبابة الداني : كنت يوماً
هند الرشيد بن المعتمد في مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، فجري ذكر
غرناطة وملك أمير المسلمين بن تاشفين لها . قال فلما ذكرناها تفجّع وتلهف
واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ، ولملكه بتراخي الأعوام ، فأمر
هند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى :

يادار مئة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالفُ الامد
قال فاستحالت مسرته ، وتجهمت أسرته ، ثم أمر بالغناء من وراء
ستارة فغنى :

إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر فانظر إلى أي حال أصبح الطلل
فتأكّد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره ، وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت :
يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلّين من أهل المروآت
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ماليس عندي من إحدى المصيبات
قال ابن اللبابة فتلافت الحال بأن قت فقلت :

محل مكرمه لا هدم مبناه وشمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفاً أن الرشيد مع المعتمد ركناه
ثاو على أنجم الجوزاء مقعده وراحل في سبيل الله مثواه

(١) هذه الايات من قصيدة عدة اياتها ١٦ يتناذكرت في فلاة العيان ايضاً وطها تثير الاحزان
وتهيج الشجون

حتم على الملك أن يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب يمناه ويسراه
 فلمعري لقد بسطت من نفسه وأعدت عليه بعض أنسه ، على أي وقعت
 فيها وتم فيه الجميع بقولي : البيت كالبيت الخ وأمر إثر ذلك بالقضاء ففنى :
 ولما قضينا من مفي كل حاجة ولم يبق إلّا أن نزم الر كائب
 قال : فأيقنا أن هذه الطيرة تعقبها الغيرة ، فلم يعض إلا قليل من الدهر حتى
 حاصر اشبيلية عسكر أمير المسلمين وضيق عليها فقاتل أهلها قتالاً شديداً وظهر
 من المعتمد ما ذكرنا ، وانقضت أيامه فسمبحان من لا يحول ملكه ولا يزول
 ولنرجع لذكر ابتداء دولة الموحدين لدخول طرابلس تحت بيعتهم فنقول :

ظهور دولة الموحدين

كان ابتداء دولتهم سنة أربع عشرة وخمسة ، وأول من أقامها المهدي أبو
 عبد الله محمد بن عبد الله تومرت^(١) العلوي الحسني المصمودي المرغي نسبة الى
 هرغة^(٢) نخذ من المصادمة^(٣) كانوا يسكنون جبل السوس من بلاد المغرب نزله
 لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير وكان قد رحل في شببته الى بلاد المشرق
 لطلب العلم فتمقه ، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً حافظاً للحديث عارفاً بأصول الدين والفقه
 متحفظاً بعلم العربية ، وكان ورعاً ناسكاً ، ووصل في رحلته الى العراق فاجتمع بالغزالي

(١) كانت بالاصل محمد بن عبد الله ابن تومرت . وقد قال ابن خلدون : محمد بن تومرت - وابوه يسمى
 عبد الله وتومرت . قال ابن خلدون وتومرت يضم التاء المثناة من فوقها وسكون الواو وفتح اليم وسكون
 الراء بعدها تاء مثناة من فوقها وهو اسم بربري

(٢) كانت بالاصل : المرعي نسبة الى هرغة والتصحيح من ابن خلدون وابن خلدون وقال ابن خلدون :
 وهرغة بفتح الهاء وسكون الراء وبعدها غين معجمة قبيلة من المصادمة

(٣) للمصادمة من ولد مصمود بن يونس ، وم أكثر قبائل البربر واو فرم

والسكيا وأبي بكر الطرطوشي بالاسكندرية . وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بأرض المغرب من التملك ، فقال له الغزالي إن هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأنثالنا ، هكذا قال بعض مؤرخي المغرب ، والصحيح أنه لم يجتمع به فحجج من هناك وعاد الى المغرب ، ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر في المركب وألزم من به بإقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهديّة سنة خمس وخمسة وبعين فيها حيثئذ يحيى بن تميم فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس معه سوى ركوة وعصا وتسامع به الناس فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثرت ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المهديّة وأقام بالنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقية بها عبد المؤمن بن علي ^(١) فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالأمر ، فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره أنه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي ﷺ حين قال : « ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقييل من أي قيس فقال من سليم » فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن بمدينة تاجرة من عمل تلمسان ^(٢) وهو من بنى عامر قبيلة من كومة نزولوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى أن وصل الى مرا كش دار أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فرأى

(١) زاد ابن خلكان : القيسي السكومي ، وقال : السكومي بضم الكاف وسكون الواو نسبة الى كومة وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان اه . وقد لقيه في طريقه الى الحج فاعجب بعلمه وانتهى عزمه عن وجهه فلك واختص به وتضمن للاخذ عنه
(٢) قال ابن خلكان : قيل ان ولادته كانت سنة ٥٠٠ . وقيل سنة ٤٩٠

فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثير أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الأيام في طريقه إذ رأى أخت أمير المسلمين ^(١) في موكبها ومعهما من الجواري الحسان كثير وهن سافرات وكانت هذه عادة الملتزمين تسفرنساؤهم عن وجوههن وحزب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره إلى أمير المسلمين فأحضره وأحضر الفقهاء لينظروا فيه فأخذ يعظه وينذره ويخوفه فبكى أمير المسلمين وأمر أن ينظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله . وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال والله يا أمير المسلمين هذا لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما يريد إثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال ان لم تقتله فأحبسه وخلده في السجن والأثمار شرأ لا يمكن تلافيه فأراد حبسه ففعله رجل من أكابر الملتزمين يسمى بيان بن عمر ان قامر باخراجه من مرا كش فسار إلى أعصمات ولحق بجبل درن وسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة وكان ذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة . فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا إليه وحضر أعيانهم بين يديه فجعل يعظهم وينذركم بأوامر الله وينذركم شرائع الإسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وأنه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لا تبعاعهم للباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه وأقام على ذلك نحو سنة وتبعه على ذلك هرغة وسمى أتباعه الموحدين وأعلمهم أن النبي ﷺ بشر بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى فقام إليه عشرة رجال منهم عبد المؤمن

ابن علي فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك وانتهى خيره الى أمير المسلمين فجهز جيشاً من أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لأصحابه إن هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم والرأي أن أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف من السماء شيئاً ؟ فقال لا بل من السماء فنصرون فقال له ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض وواقفته قبيلتهم جميعاً فقال المهدي أبشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم وديارهم ، فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزمهم وأخذوا أسلحتهم وقوى ظنهم في صدق المهدي حيث ظفروا كما ذكرهم ، وأقبلت اليه حينئذ أفواج القبائل من الجبال التي حوله شرقاً وغرباً وبايعوه ، وأطاعته قبيلة هنتانة وهي من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن لهم ، وأتته رسل أهل تينمل بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينمل ^(١) وبني له مسجداً خارج المدينة واستوطنه وألف لهم كتاباً في التوحيد ^(٢) وكتاباً في العقيدة ، ونهجه لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض ، وأمرهم بالاعتصام على القصير من الثياب القليل الثمن وحرصهم على قتال عدوهم وإخراج الأشرار من بينهم . ولما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم أمر أصحابه

(١) بعد بيعة ثلاث سنين وتينمل بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الباء المثناة من تحتها وبمدا نون

ثم ميم مفتوحة ولام مشددة

(٢) من مؤلفاته الرشيد في التوحيد وكان على رأي الامامية في القول بالامام المعصوم وألف في ذلك كتابه اعز ما يطلب وهذه الجملة افترج بها كتابه هنا فسمى بها . وكان يسمى أصحابه القراء وسمى أتباعه الموحدون وكان على مذهب الأشعريين في القول بالتأويل فلذلك سمي أصحابه الموحدون تعريضاً للملتهين في أخذهم بالمداول عن التأويل وميلهم الى التجسيم وكان حصوا لا يأتي النساء وله قدم في التشفيع والمباة ولم تحفظ عنه فلة في البدع الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم وكان يسمى الامام وبعد بيعة سمي للمهدي - ابن خلدون ٦ : ٢٢٩

بقتلهم ففعلوا وهم غارون فقتلوا في ذلك المسجد ، ثم دخل المدينة فقتل وأكثروا ونهب الأموال وسبى الحريم ، فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفاً وقسم الأرض والمساكن بين أصحابه

ولما خاف أهل تِينَمَل على نفسه لما فعل أراد أن يوقع بينهم وبين المرابطين فتنة فنظر في أولادهم فإذا الغالب عليهم الشقرة والزرقة ، وعليهم السمرة . فقال مالى أراكم ممرأً وأولادكم شقرة زرقاً ، فقالوا كان لأمر المسلمين عدة عامليك من الأفرنج والروم ، وكانوا يصعدون الجبل في كل عام يأخذون الأموال المقررة لأمر المسلمين عليهم ، وكانوا يسكنون بيوتنا مع الحريم ويخرجوننا منها . فلما أخبروه بذلك قبح لهم الصبر عليه وأزرى عليهم ، وعظم الأمر عندهم ، فقالوا له كيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة . فقال إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم إلى نزيله فليقتله ، واحفظوا جبلكم فإنه لا يرام ولا يقدر عليه . فلما حضر عندهم العبيد قتلواهم ، ونفأفأوا على أنفسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طرق تسلك إليهم ، فقويت نفس ابن تومرت بذلك وأرسل إليهم أمير المسلمين جيشاً قوياً فحاصروا الجبل وضيقوا على أهله ، وقلت عندهم الميرة حتى عدم الخبز رأساً وكان يطبخ لهم ابن تومرت كل يوم من الحساء ما يكفيهم ، وكان قوت كل واحد منهم أن يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها بما علق فيها ويقع بذلك في يومه . فلما اشتدت بهم الأمر أراد أهل تِينَمَل إصلاح حالهم مع أمير المسلمين ، وبلغ ذلك ابن تومرت وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الوئشريسي ملازماً لقراءة القرآن وطلب العلم سرّاً بحيث لم يعلم به أحد

فلما كانت سنة تسع عشرة وخمسمائة خاف المهدي خروج أهل الجبل عليه فأمر الوئشريسي بأمور دلت على زندقته ليخدع بها العوام . وذلك

أنه أمر الوثنشريسي بالحضور بازائه عند المحراب ، وأن يتطيب وأن يظهر أنه لم يعرفه وهو لا يعرف قراءة القرآن ففعل ، فلما صلى والناس حوله سأله من أنت ؟ فقال : أبو عبد الله الوثنشريسي ، فقال المهدي : إن أمرك لعجب ، وفادى في الناس فحضروا فقال : هذا الرجل يزعم أنه الوثنشريسي فانظروه وحققوا أمره . فلما أضاء النهار عرفوه . فسأله المهدي ما قصتك ؟ فقال اني أتاني الليلة ملك من السماء ففصل قلبي وعلمي القرآن والموطأ وغيرهما من العلوم ، فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ بقراءة القرآن فقرأ بقراءة حسنة من أى موضع سئل . ثم قال ان الله قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنة من أهل النار ، وأمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة ، وقد أنزل الله ملائكة الى بئر بموضع كذا يشهدون بصدق . وكانوا وضعوا فيها رجالا . فسار اليها المهدي والناس ، وصلى المهدي عندها وقال : يا ملائكة الله إن أبا عبد الله الوثنشريسي قد زعم كيت وكيت ، فقال من بها : صدق . وكان أمرهم بالشهادة له . فلما قيل ذلك من البئر قال : إن هذه البئر مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة أن تلطم اثلا تقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز ، وألقوا فيها من الحجارة والتراب ما لطمها بمن فيها ، وفعل بأهل الجبل من حضورهم بغير سلاح وقتلهم بعد ذلك ما دل على تزندقه . ووقائمه مع أمير المسلمين كثيرة

ولما بعث جيشه وكسر سأل هل مات عبد المؤمن ؟ فقيل : لا . فقال : إن الأمر باق . وهو الذي فتح البلاد ووهى أصحابه باتباعه ، وكان إذ ذاك مريضاً وحرصهم على اتباعه وتسليم الامر اليه . وتوفى سنة أربع وعشرين وخمسمائة

ولاية عبد المؤمن بن علي

واستقرّ الامر لعبد المؤمن ورجع بعد اللقاء لتينمّل وأقام بها يتألف القلوب
ويحسن الى الناس . وكان جواداً ، مقداماً في الحروب ، ثابتاً في المهازير ، الى
سنة ثمان وعشرين وخمسة فتنجهز وسار في جمع كثير الى أن وصل الى تادلة
فهانمه أهلها وقتلوه ، فقتلهم وقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ، وسار في
الجبال يفتح ما امتنع عليه ، وأطاعته صنهاجة ، ووقعت بينه وبين أمير المسلمين
حروب فتارة له وتارة عليه ، الى أن نزل مراکش سنة احدى وأربعين وخمسة
وبها يومئذ اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي ، فضرب خيامه في
غربها على جبل صغير وبني عليه مدينة صغيرة له ولعسكره ، وبني فيها جامعاً ،
وبني له بناءً عالياً يشرف منه على مدينة مراکش ويرى أحوال أهلها وأحوال
المقاتلين من أصحابه . وقتلها قتالاً شديداً وأقام عليها أحد عشر شهراً وافتتحها
[في أوائل (١)] اثنتين وأربعين وخمسة (٢) وقتل أعيان دولة المرابطين .

ولما استولى على اسحق بن علي أخذ يرقع ويسأل العفو رغبة في البقاء ،
ويدعو لعبد المؤمن ، فقام اليه سير بن الحاج الأمير . وكان الى جانبه مكتوقاً -
فبصق في وجهه وقال : تبكي على أبيك وأمك ، اصبر صبر الرجال ، فهذا رجل
لا يخاف الله تعالى ولا يدينه بدين . فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى
قتلوه . وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة ، وقدم اسحق على صغر سنه
وضربت عنقه . وقيل إن اسقيلا عبد المؤمن عليها سنة ثلاث وأربعين من
التاريخ المذكور

(١) الزيادة من ابن خلكان

(٢) قال ابن خلدون : افتتحها في اخرى شوال سنة ٤١٠هـ

وبموت اسحق انقرضت دولة الملثمين . وكانت مدة ملكهم سبعين سنة ،
 وولي منهم أربعة : يوسف ، وعلي ، وتاشفين ، واسحق .
 ولما فتحها عبد المؤمن أقام بها واستوطنها واستقر بها ، وأمر بهدم الجامع
 الذي بناه يوسف بن تاشفين . وبنى بالقصر جامعاً كبيراً وزخرفته فأحسن عمله .
 ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارثك سجنه على الحالة
 التي ذكرنا أقيح ارتكاب ، فلا جرم أن سلط الله سبحانه وتعالى على أعقابهم من
 أرنب عليه وزاد ، فتبارك الحي الدائم الملك الحق الذي لا يزول ملكه ، وهذه
 سنة الدنيا فاف لها ثم أف ، نسأل الله تعالى أن يختم أعمالنا بالحسنى ، ويجعل خير
 أيامنا يوم لقائه بحاجه محمد ﷺ وآله

ولما استقر وأخذ بلاد بني حماد اجتمع العرب : بنو هلال ، والانبج ،
 وعدي ، ورياح ، وزعب ، وغيرهم من العرب من أرض طرابلس والمغرب ،
 وقالوا : ان جاوزنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب ، وليس الرأي إلا لقاء الجدة معه
 واخراجه من البلاد قبل أن يتمكن ، وتحالفوا على التعاون والتضافر وألا يخون
 بعضهم بعضاً ، وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوا قتال الحریم ،
 واتصل الخبر برجار الافرنجي صاحب صقلية ، فأرسل الى أمراء العرب وهم :
 محرز بن زياد ، وجبارة بن كامل ، وحسن بن ثعلب ، وعيسى بن حسن ، وغيرهم
 يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أن يرسل اليهم خمسة آلاف فارس
 من الافرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا اليه الرهائن ، فشكروه وقالوا :
 ما بنا من حاجة الى نجاته ولا نستعين بغير المسلمين . وساروا في عدد لا يحصى

وكان عبد المؤمن قد أرسل من بجاية الى بلاد المغرب ، فلما بلغه خبرهم جهز
 جيشاً من الموحدين يزبدهم ألف فارس ، واستعمل عليهم عبد الله بن
 عمر الهنتاني ، وسعد الله بن يحيى ، وكان العرب أضاعفهم ، فاستخرجهم الموحدون

وتبعهم العرب الى أن وصلوا الى أرض سطيف بين جبال . فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن فجاءه والعرب على غير أهبة ، فالتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال وأعظمه ، فانجلبت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين . وترك العرب جميع ما لهم من أهل وأثاث ومال . وأخذ الموحدون جميع ذلك ، وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ، ووكل بهم من الخدم والخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وأمر صبيانهم . فلما وصلوا معه الى مراکش أنزلهم في الاماكن الفسيحة ، وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمداً أن يكاتب أمراء العرب وأن يعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة ، وأمرهم أن يحضروا ليسلم اليهم أبوه ذلك جميعه ، وأنه قد بذل له الأمان والكرامة . فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى مراکش ، فلما وصلوا اليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم وأحسن اليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة ، فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفياء ، واستعان بهم على ولاية ابنه محمد ، وكانت بيعة محمد سنة احدى وخمسين وخمسمائة

وفعل لذلك عبد المؤمن حيلة عظيمة ، وذلك أن الامر كان بيد عبد المؤمن وعمر الهنتائي يلي الأمر من بعده ، فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر أولاده أحب أن يقتل الملك اليهم ، فلما حضر أمراء العرب من هلال ، وزعب ، وعدي وغيرهم اليه ، ووصلهم وأحسن اليهم ، ووضع عليهم من يقول لهم : أطلبوا من عبد المؤمن وقولوا له : نريد أن نجعل لنسأولي عهد من ولدك ترجع اليه الناس بعدك ، ففعلوا ذلك ، فلم يجبههم اكراما لعمر الهنتائي لعلو منزلته في الموحدين ، وقال لهم : ان الأمر لابي حفص عمر ، فلما علم عمر بذلك خاف على نفسه ، فحضر الى عند عبد المؤمن وأجاب الى خلع نفسه ، فحيثئذ بوزيع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلادده بذلك ، وخطب له في جميعها ، وأخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم

من الاموال شيئاً كثيراً

وفي هذه السنة استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد ، وشيوخ الموحدين المشهورون من أصحاب المهدي بن تومرت [موجودون في مناصبهم] فكان يتعذر عليه عزلهم ، فأخذ أولادهم وتركهم عنده يشغلون بالعلوم ، فلما مهرّوا فيها وصاروا مقتدى بهم قال لأبائهم : اني أريد أن تكونوا عندي أستمعين بكم على ما أنا بصده ويكون أولادكم في الاعمال لانهم فقهاء عقلاء ، فأجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون ، فولى أولادهم ثم وضع عليهم من يعتمد عليه ، فقال لهم : اني أرى أمراً عظيماً فعلتموه قد فارقم فيه الحزم والأدب ، فقالوا ماهو ؟ فقال : أولادكم في الاعمال وأولاد أمير المؤمنين ليس لهم منها شيء ، مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة ، واني أخاف أن ينظر من هذا فتسقط منزلتكم عنده . فعلموا صدق القائل ، فحضرّوا عند عبد المؤمن وقالوا : نحب أن تستعمل على البلاد السادة أولادك ، فقال : لا أفعل ذلك . فلم يزالوا به حتى فعل ذلك بسؤالهم ، فاستعمل ابنه أبا محمد عبد الله ^(١) على بحاية وأعمالها ، واستعمل ابنه أبا حفص على مدينة تلمسان ، واستعمل ابنه أبا الحسن علياً على مدينة قابس وأعمالها ، وولى ابنه سعيداً على سبتة ، والجزيرة الخضراء ومالقة ، وكذلك غيرهم . واستولى على أرض افريقية ، وطرابلس والمغرب ، والاندلس ، وأزال منها دولة الملتمين . وتوفي [في العشرة الاخيرة من جمادى الآخرة ^(٢)] سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكانت وفاته بسلا لانه سار من مراکش الى سلا فرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم : قد جربت

(١) قال ابن خلكان وقد عهد له ابوه بالامر بعده ، ولم يتم له الامر لما كان عليه من الطيش وادمان شرب الخمر وجبن النفس ، وخلع في شعبان سنة ٥٥٨ ، وكانت مدة ولايته خمسة واربعين يوماً ، وتولى بعده الامر اخو يوسف وهذا خلاف ما سيذكره المؤلف

(٢) الزيادة من ابن خلكان

ابني محمداً فلم أره يصلح لهذا الأمر وانما يصلح له ابني يوسف فهو أولى به ، فقد موم لله ووصاهم به وبأيعوه ودعي بأمير المؤمنين . وكنتموا موت عبد المؤمن ، وحمل بصورة أنه مريض الى أن وصل الى مراكش ، وكان ابنه أبو حفص في تلك المدة حاجباً لآبيه ، فبقي مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس أمر أمير المؤمنين بكذا ، ويوسف يقعد مقعد أبيه ، الى أن كملت له المبايعة في جميع البلاد واستقرت قواعد الأمر له ثم أظهر موت أبيه

وكانت ولاية عبد المؤمن ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً ، وكان عاقلاً ، حازماً شديد الرأي ، حسن السياسة للأمر ، كثير البذل للاموال ، سفاكاً للدماء على صغير الذنب ، وكان يعظم أمر الدين ويقويه ، ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلوات ، ومن رأي في وقت الصلاة غير مصل قتل ، وجمع الناس بالمغرب على مذهب الامام مالك في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الاشعري في الاعتقاد وأصول الدين . وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين ، والمرجع اليهم والكلام معهم ولهم ، واستقر الملك بيد يوسف ، ووقع له من الاتراك ماحكيناً في شأن قراقش ، وكذا من علي بن اسحاق^(١) ثم توفي يوسف سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهوراً ، وكانت وفاته بمدينة شنترين^(٢) بعد أن حاصر أهلها الا فرنج شهراً ثم مرض فمات في ربيع الاول وحمل في تابوت الى اشبيلية^(٣)

(١) انظر صفحة ٥٩ - ٦٤

(٢) شنترين بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح الهمزة المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبداها نون اه من ابن خلكان . قال الخوى : وهي تقع في غربي الاندلس بينها وبين باجة أربعة ايام ، وهي مدينة حصينة ملكها الا فرنج سنة ٥٤٣ هـ

(٣) قال ابن خلكان : فلما وصلوا به الى اشبيلية صبروه ونقلوه الى تينمل ودفن هناك عند أبيه والمهدي ابن تومرت . وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ٥٨٠ هـ وذكر في محل آخر انه مات في ربيع الاول من هذه السنة ، وهو مخالف لما ذكره المؤلف في تاريخ وفاته

(١)

ولاية المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف

وتولى ابنه المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في الوقت الذي مات فيه أبوه ، فقام بالأمر أحسن قيام وأقام راية الجهاد ، وأحسن السيرة في الناس وكان ديناً مقيماً للحدود في الخصاص والعلم . فاستقامت له الدولة ، وانتادت اليه بأسرها مع سعة أقطارها ، وكان أبو يوسف حسن السيرة ، وكانت طريقه ألين من طريق أبيه مع الناس ، يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم ، وهم أهل خدمته وخاصته ، وأحبه الناس ومالوا اليه وأطاعه من البلاد ما امتنع على أبيه ، وسلك في جباية الاموال ما كان أبوه يأخذه ولم يتعداه الى غيره

وقام على يعقوب محمد بن عبد الكريم بالمهدية وهو رجراجي الاصل ، وقبض على واليها من قبله وهو الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص بن عبد المؤمن ، وكان ذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وأخذ يحيى بن اسحاق الميورقي طرابلس ، وقابس ، وتونس ، فانفق أن قتل بعضهم نفسه لما فعل بهم ابن اسحاق من تفريم المال والتعذيب عليه ، ورأى ذلك أرواح له ، وقد ذكرنا تاريخ ذلك ولما بلغ الناصر بن يعقوب مادهم أهل افريقية من الميورقي ، وابن عبد الكريم امتنع لذلك وأخذ في الحركة اليها ، وكان يبلغ الميورقي ذلك فيدفع خبرها ، الي أن وصل الناصر الى بجاية ووصله رجاله وأخبروه معاينة ، فوجه ذخائره وأمواله الى المهدية لتكون تحت يد ابن عمه علي ابن الغازي ، وخرج من تونس وتوجه الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع بالعربان وأخذ رهائهم وأخذ مواثيقهم معه على الخدمة ، ثم الى بلاد نفزاوة . وأطلق فيهم أيدي الجنند فقتلوا كثيراً من

(١) ولد ليلة الاربعاء رابع شهر ربيع الاول سنة ٥٥٤ وتوفي سنة ٥٩٠ برا كش وقيل بمدينة سلا واتسع ملكه حتى لم يبق بجميع اقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل فيه ولايته وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح على هيئة الاسكندرية

أهلها ونهبوا أموالهم وأطلقوا النار في بعض دورها . وذلك لما كان بلغه عنهم من المخالفة

ثم انتقل الى مطاطة ، وبلغه أن الناصر نكّب عن طريق تونس وأخذ عن طريق قنصة في اتباعه ، فانتقل الى جبل دمر متحصناً به . ووصل الناصر الى قنصة مستنفها عن أخبار يحيى ، فعرف انتقاله الى جبل دمر ، ورجع الى تونس . وولى على البلدان حفاظاً من الموحدين . وقدم في رجوعه على قتال يحيى الشيخ المقدس أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص ، ووجه جيشاً عظيماً ضخمًا . فأحب يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء . فشجمه أصحابه وحرضوه على الثبات فالتقيا فكانت الواقعة المعروفة بتاجرا للشيخ أبي محمد عليه^(١) . فاستأصل فيها كثيراً من أصحاب يحيى . وفريحي في شردمة قليلة وكان قدم ولده وأهله أمامه بنحو خمسة فراسخ . فلما فرّ أخذهم ولولا ذلك لسبوا . واستنقذ الشيخ أبو محمد من يدو السيد أبا زيد حياً بعد أن ضربه الموكل به ضربات بسيف قصد بها قتله ، فاعجل عن الاجاز عليه . واستنقذ جماعة من الموحدين كانوا في يده ، وأخذ رايته السوداء وأحاط الموحدون بجميع مافي عسكري يحيى من الأموال والابل فانهبوها . ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى الناصر وهو محاصر للمهدية وبها على بن الغازي^(٢) الميورقي . وأركب الأمين الموكل بالشيخ أبي زيد على جمل شهره له وبيده الراية السوداء فطيف به على المهدية وكانت الهزيمة في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وستائة . وكتب حماد الملقى المشهور بالابداع في قطعة ورق هذين البيتين مقطعين في الورق يهجو بهما يحيى ويذكر الهزيمة وهما :

رأى يحيى امام الخلق يأتي ففرّ أمام من وافي إليه

(١) قال ابن خلدون : وكانت الغنائم من عسكريه يومئذ ١٨ الفا من احوال المال والمتاع والالة

(٢) قال ابن خلدون : وهو المعروف بالحاج الكافر

فشبهت اللقي باللام يغرى ولام الأمر داخله عليه^(١)
وعرضت الغنائم على الناصر على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك
مكذبون بهزيمة يحيى مفتحشون بالسب . وألحّ الناصر في قتالهم ، ونصب عليهم
المجانيق على جهة واحدة في السور حتى كثرت الموتى والجراحات . وتحقق انهزام
يحيى فسقط في أيديهم وطلبوا الأمان فأسمعوا به . ونزل على بن الغازي
وأتباعه وشيعته على أن يخلوا سبيلهم ، ويسلموا البلد ويكونوا في أمان الموحدين
إلى أن يصلوا إلى يحيى بن غانية . وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى
الأولى فكان بين هزيمة تاجراً وفتح المهدية أربعة وسبعون يوماً : وخرج على
ابن الغازي عن المهدية وجملته وحاشيته فضرب أخبيته بقصر قراضة فبات هنالك
تلك الليلة . ثم دعتة نفسه إلى الدخول في طاعة الموحدين وقال : أطعت بعد أن
كنت في حكم نفسي . فاستحسن ذلك منه الناصر واستدعاه وأحسن إليه .
ووافق ذلك وصول ملوك الناصر ناصح صاحب ديوان سبته بالمهدية العظيمة التي
جمعها في المدة الطويلة . وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيهما
أعلام من اليواقيت والحجارة النفيسة . فأمر الناصر بحمل جميع الهدايا إلى على بن
الغازي . فبات ناصح من أثر ذلك كذا

ثم انتقل الناصر عن المهدية في عشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين
وسمائة . وأراد النقلة لأرض المغرب . فحينئذ أخذ يتحدث مع أشياخه ومدبري
أمر دولته فيمن يترك بأفريقية فأجمع رأيهم على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص ولم
يختلف في ذلك اثنان ، وكانهم رأوا بذلك بعده عن الخلافة . فأمر الناصر بعض
خدمه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته به فامتنع ولم تسمح نفسه
بمفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه فاعتذر له ببعده الشقة عن خلفه

(١) هكذا بالأصل ، ومنها غير واضح

بمرا كش من أهل وولد وبما استلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعث عنه ، ونظر
السلطان فلم يجد عوضاً عنه ولم يرد إكراهه عن المقام ، وعظم عليه أمر شرقى
البلاد وما ناب أهلها من بعده عنهم ، فأرسل إليه ولده ومعه ولد الشيخ أبي محمد
من ابنة المنصور ، وهو المعروف بالسيد أبي الحسن ، وكان الناصر خاله قد رياه
مع ولده يوسف المنتصر ولّى عهده . واختصه كولده ، فوجهه مع ولده في طرف
من حاشيته ليلاً فدخلوا عليه . فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال
ما حاجتك أيها الطالب . ولو كان عندي غير نعمتكم لقابلتكم به ، فأجابه الحاشية :
كرامته قضاء مصلحته ، فقال نعم تقضى . فقال الولد : ان مولانا وسيدنا يخصمكم
بالسلام ، ويقول لكم هذه البلاد من أول هذا الأمر العزيز وهي مع هؤلاء النوار
في أمر عظيم ، وتحت ليل بهم . وقد وصل إليها سيدنا عبد المؤمن ، وسيدنا أبو
يعقوب ، وسيدنا الناصر ، وما منهم إلا من أنفق أموالاً ، وأفنى في الحركة إليها
رجالاً . والشقة شديدة ، والشقة بعيدة ، وما عاد واحد منهم إلا وعاد الويل وأظلم
ذلك الليل . وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها ، كذلك يجب
عليكم ، وقد طلبنا في جميع اخوانكم السادة وأعيان أهل الجماعة من ينوب عنا في
هذه البلاد فلم نجد عنك ممدلاً . فأنحصر الامر إلينا وإليكم ، فإما أن تطلع إلى
حضرة مرا كش فنقيم هنالك مقامنا ونقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن إلى
حضرتنا . فقال الشيخ : يا بني أما القسم الأول فما لا يمكن ، وأما القسم الثاني
فأجبت إليه على شروط . فسرّ الولد بذلك . وقبل يد الشيخ ، وقبل الشيخ
رأسه . وانفصلوا كما تمّ عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرور الذي عنهم ، والطمأنينة
بما كان أهمهم . ثم خلا الناصر به مستغفها عن شروطه . فاشترط ألا يتولى إفريقية
إلا بقدر ما تصلح أحوالها ، وينقطع طمع الميورقي منها ، ويتخير الناصر في رجاله
من يوجهه عوضاً عنه ، وجعل الغاية في ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش

فيبقى معه من يقيم اختياره عليه ، وانه ان فعل فعلا كائناً ما كان لا يسأل عنه ، ولا يعاتب فيه . الى آخر الشروط ، ومن رامها فليراجع محالها . وكل ذلك والناصر مقبل عليه قابل للشروط .

وخرج الناصر متوجهاً لأرض المغرب . وكان لسبع خلت من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة أيام ثم رجع ، واستقر ملكها وملك طرابلس في يده وفي يد بنيه من بعده الى أن اختلفوا واستعان بعضهم بالافرنج

استيلاء صاحب جنوة على طرابلس

وأخذ صاحب جنوة طرابلس سنة ست عشرة وتسعمائة وأخذ خلق الوادي صاحب صقلية ، ومكثت طرابلس تحت يد النصارى ثلاثة وأربعين عاماً وقيل خمساً وأربعين سنة (١)

وسبب أخذهم لها أن أهلها بعد دخولهم في طاعة الموحدين كثرت أموالهم وتجاراتهم واطمانوا ولم يشتغلوا بالحرب حتى لم تكن لهم به خبرة ، فقدمت عدة سفن للعدو موسوقة بأنواع البضاعة وفيها من كل نوع كثير فتقدم اليهم تاجر من تجار المدينة فاشترى جميع ما فيها من سلع ونقد لهم ثمنها . واستضافهم رجل آخر وصنع لهم طعاماً فاخراً وأخرج ياقوتة ثمينة فدقها دقاً ناعماً برأى منهم وذرها على طعامهم فبهتوا من ذلك فلما فرغوا قدم اليهم دلاء « بطيخا » فطلبوا سكيناً لقطعه فلم يوجد في داره سكين وكذا دار جاره الى أن خرجوا الى السوق فأقوا منه بسكين . فلما رجعوا الى جنوة سألم ملكهم عن حالها فقالوا : ما رأينا أكثر من

(١) ذكر بالأصل بعد قوله خمساً وأربعين سنة : « فيكون اخذهم لها سنة واحد وسبعين وثمانمائة او ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وهذا الكلام غير ظاهر لان النصارى اخذوا البلد في التاريخ المذكور ، وسيذكر المؤلف ان طورغود باشا اخذهم مائة ٥٨ فتكون مدة اقامتهم فيها ٤٢ سنة وانما يصح كلام المؤلف لو كان تاريخ دخولهم التي ذكره هو تاريخ خروجهم ، لذلك حذفناه من الاصل ونبهنا عليه

أهلها مالا وأقل سلاحاً ، وأعجز أهلها عن دفاع عدرّ . وحكوا له الحكايتين . فتأثت نفسه لأخذها وجهازها أسطولا فأخذها في ليلة واحدة بلا كثير مشقة واستولى عليها . ولم ينج من أهلها إلا من تسوّ ليلاً . وانحاز المسلمون إلى تاجوراء وجبال غريان ومسلاطة . وصارت المدينة للنصارى

وقيل ان دخولهم لها كان بموافقة البعض من أهلها . والله أعلم أي ذلك كان ولما انحاز المسلمون انتدب جماعة من أهل تاجوراء ركبوا شينياً وتوجهوا لصاحب القسطنطينية^(١) يطلبون منه إعانة ، وكانوا لا خبرة لهم بلغة الترك ، فلما حضروا الى القسطنطينية استغرب أهلها زيجهم وسألوهم من أي البلاد أنتم ؟ فأخبروا أنهم من طرابلس الغرب قدموا لحضرة السلطان مستغِيثين به ، فأحضروا بين يديه وكان مراد علجاً خصباً للسلطان ربي بأرض المشرق وتعلم العربية فكان يعرب للسلطان عنهم . فأخبروه عن حال بلادهم وأخذ النصارى لها وتضييع ملوكهم دولهم ، وأنهم يريدون منه إعانة على افتسكك بلادهم واليّا يلي أمرهم

(٢)

ولاية مراد أغا

فاستعمل عليهم مراداً وقدموا به لبلدهم ودافعوا له وبايعه أهل غريان سنة ثلثتين وخمسين وتسعمائة . وبايعه أهل ريفها كلهم . قيل وراسلته خودة بنت شرومة بن محمد الفاسي صاحب فزان فأرسل اليها طائفة من جنده سنة ست وخمسين وتسعمائة فملكوا أرض فزان . والصحيح أن أخذ فزان إنما كان سنة خمس وثمانين وتسعمائة بعد فتح طرابلس وموت طورغود باشا بأيام ، إذ كان أمر الجند شوري بينهم وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر ذلك ولم يزل يوالى الغزو على

(١) وكان ذلك سنة ٩٢٦ ، وكان صاحب القسطنطينية اذ ذاك السلطان سليمان الاول

(٢) وهو اول وال تركي في طرابلس الغرب

طرابلس ويضيق على من بها من الروم ومن ظهر منهم اختطفه المسلمون ، وبني بعضهم قصراً بين البلدين لاختطافهم الى أن دخلت سنة ثمان وخسين وتسعمائة فرّ أسطول السلطان سليمان بالمدينة المذكورة مدداً القلج على باشا إذ كان محاصراً لخلق الواد وبه طورغود باشا وهو قائده ففرج اليهم مراد ومعه أعيان بيعته من أهل تاجوراء^(١) في شيفي وطلبوا منه الاعانة فأبى عليهم وتعلّل بأنه لم يؤذن له فيها فهو نوا عليه أمرها وصغروها بين يديه فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يعطوه حجة على أن لا يكون عليه درك من السلطان لمخالفته أمره وأنهم المؤخذون بذلك فأعطوه بذلك حجة ، وحاصروها برآً وبحراً فأخذوها قتل عنوة وقيل طلب أهلها الأمان لأنفسهم فأجابوهم لذلك وخرجوا عنها

ولاية طورغود باشا

وتسلم طورغود باشا البلد وكاتبوا السلطان بذلك فسرّ به سروراً عظيماً . وكتب له بولاية البلد وبايعه أهل جربة وقابس وأهل عمالتها . وقيل كان فتحها زمن ولاية سليم بن بايزيد . والصحيح ما ذكرناه من أنها زمن السلطان سليمان [الاول بن السلطان سليم الاول^(٢)] بن السلطان بايزيد [الثاني بن السلطان محمد الفاتح^(٣)] بن السلطان مراد الثاني بن السلطان محمد [جلبي بن السلطان بايزيد الاول بن السلطان مراد الاول^(٤)] بن أوركخان بن عثمان بن ارطغرل بن سليمان . وكان سليمان ملكاً في المشرق في بلاد ماهان بمقربة من بلخ : واختلف في نسبه فقيل من التركمان الرحالة النزالة من نخذ التتر منهم ، ويتصل نسبهم بيافت بن نوح عليه الصلاة والسلام . كذا ذكره القطبي

(١) بلد شرقي مدينة طرابلس بنحو اثني عشر ميلاً بيني بها مراد اغا جامعا ومدرسة كبيرة لاتزال تعرف

باسمها الى اليوم

(٢) الزيادة من تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك

وقال صاحب درر الأثمان في منبع ملوك بني عثمان : إن أصلهم من عرب الحجاز وزاد جماعة من المؤرخين أنهم من أهل المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . وعلى أنه من التركمان كان سبب خروجه من بلاد بلخ الى بلاد الروم تخريب جنسكيز خان بلاد بلخ ، فتوجه سليمان شاه هذا وصحبه في خمسين ألف بيت الى أرض الروم فلما جاوز الفرات غرق سليمان فدخل ولده أرطغرل أرض الروم فأكرمه السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم . ومات بالروم وخلف عدة أولاد أنجاده أشدهم بأساً وأعلامهم همة عثمان ، نشأ مولعاً بالقتال وجهاد الكفار ، وأعجب ذلك السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم فأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر فلما وصلته تلك الآلة وضربت بين يديه قام تعظيماً لامر السلطان وفرحاً بإقباله فصار شعاراً لآل عثمان ومن يابعهم من المستحقين لذلك الوقوف عند ضرب ذلك إلى وقتنا . ثم مات عثمان وانتقل الملك لبنيه

وقيل ان أصل عثمان هذا من عرب الحجاز وهاجر منها لغلاء كان بها واستقر ببلاد قرمان واتصل بأتباع سلطانها . وكانت رحلته لأرض الروم سنة خمسين وستمائة وتزوج من قرينا فولد له سليمان وتسلطن وهو الذي فتح (بروسا) في حدود الثلاثين وسبعمائة . ثم ملك بعده ابنه عثمان جوأي الاصغر . وقيل هو الذي افتتح (بروسا) وهو الذي استقل بالأمر بخلاف آبائه فانهم كانوا من أتباع السلاجقة ، ولم يزل الملك يتداوله بنوه الى أن انتهى الى بايزيد وكان له عدة أولاد وكان يعدل بالملك لاكبر ولده أحمد ، والعسكر يعيل الى سليم ويدعو الى الخروج عن الطاعة وخلع البيعة لما رأى من فعل أبيه بالعهد لأخيه بمن مال اليه من العسكر فتحاربوا ووقعت بينهما مقتلة ثم آل الأمر بينهما الى أن كتب العهد لما رآه من ميل العسكر ، فتولى الملك واتسعت مملكته بملك مصر والشام وسائر ممالك

العرب . وتولى الملك سنة عشر وتسعمائة فأقام في الملك تسع سنين وثمانية أشهر وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة وتولى ابنه سليمان في السنة المذكورة وعمره حينئذ ست وعشرون سنة ولبت في الملك تسعاً وأربعين سنة وتوفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة وهو الذي أفنك ممالك بني حفص من أرض افريقية : طرابلس وتونس لابنه سليم خلافاً للشيخ مرعي مؤرخ ملوك بني عثمان وأبي سالم العياشي ، وذلك أنه اتفق على أن فتح طرابلس كان سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وفي ذلك كان الأمر لسليمان وقد ذكر غير واحد أن أخذها كان من المدد الآتي لحلق الوادي نصرة وهو يقتضي حصر الجيش له . وقد ذكر الشيخ مرعي أن المحاصر لذلك قلج علي باشا وسمنان ولم يل قلج علي الوزارة لسليم إنما وليها لأبيه سليمان وكانت ولاية سليم بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين وولاية قلج علي باشا الوزارة لسليمان سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦) وأقام بها أربع سنين وستة أشهر

وكان سليمان بن سليم سعيداً فاضلاً جواداً ممدوحاً مجاهداً في سبيل الله ناظراً الى الرعية بالعدل لم يل الأمر من بني عثمان قبله أو بعده مثله . وصلت سراياه الى أقصى المشرق والمغرب وغزا بنفسه ثلاث عشرة غزوة عظيمة وكان مفتوحاً على يديه أيان سلك ملك ، وأنى توجه فتح وقتك مؤيداً في حروبه مسدداً في رأيه ، مسعداً في وقائعه ، ولم يزل مذكراً قائماً بأمر الدين واطهار العدل وتأيد الشريعة وتجديد الأمة في القرن العاشر الى أن توفاه الله . وكانت أيامه من غرر الزمان

وقتل أول أمره أولاده خوف العنن والخروج عليه ، خفق ولده مصطفى بعد توجهه الى تبريز لأخذ المعجم ، وتحيل في تحصيل ولده بايزيد فلم يمكن بعد ذلك إلا بعد قتل فيها نحو الحسين ألفاً وحصل بقية أولاده محموداً وعبد الله

وعثمان وبذل مالا كثيراً حتى ظفروهم نخنقهم وخنق أولادهم . ولما مات رثاه الشعراء بكل لسان ومنهم أبو السعود المفتي صاحب التفسير رثاه بقصيدة قال رحمه الله تعالى :

أصوتُ صاعقة أم نفخة الصبور
أصاب منها الوري دهي وداهية
تهدمت بقعة الدنيا لوقعها
فن كغيب وملهوف ومن دنف
فياله من حديث موحش فكر
تاهمت عقول الوري من هول وحشته
تقطعت قطعاً منه القلوب فلا
أجفانهم سفر مشحونة بدم
أتى بوجه نهار لاضياء له
أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن
وقى ومن ملأ الدنيا مهابته
له وقائع في الاكشاف شائعة
وراية رفعت للمجد خافقة
يا نفس مالك في الدنيا مخلقة
وكيف تمشين فوق الارض غافلة
فللنبايا مواقيت متدرة
وليس في شأنها للناس من نظر
يا نفس فأتئدي لا تهلكي أسفاً
إذ لست مأمورة بالمستحيل ولا

فالارض قد ملئت من نقر ناقور
وذاق منها البرايا صعة الطور
وانهد ماكان من دور ومن سور
عان بسلسلة الاحزان ماسور
يعافيه السمع مكروه ومنفور
فاصبحوا مثل مجنون ومسحور
يكاد يوجد قلب غير مكسور
تجري ببحر من العبرات مسجور
كأن غاراته شنت بد يبور
قضت أوامره في كل مأمور
وسخرت كل جبار وتيمور
أخباره وجدت في كل طامور
تجري على علم بالنصر منشور
من بعد رحلته من هذه الدور
أليس جناته فيها بمقبور
تأتي على قدر في اللوح مسطور
ومدخل ما بتقديم وتأخير
فأنت منظومة في سلك مقدور
بما سوى بذل مجهود وميسور

إن المنايا وإن عمت محرمة على شهيد جميل الحال مبرور
 مرابط في سبيل الله مقتحم معارك الخلف بالرضوان مأجور
 ما مات ، بل نال عيشاً باقياً أبداً عن عيش فان بكل السر مغفور
 ولم يزل طرغود باشا والياً بها ومراد آغا بتاجوراء محبوساً مكفوف اليد عن
 التصرف الى سنة سبع وستين وتسعمائة فتوفي مراد ، وفي مدة طرغود اشتغل
 بغزو أرض الروم وعمارة السواني^(١) وجلب الناس من أطراف البلاد لهارة
 المدينة فعمرت

وقصده أسطول النصارى سنة ست وستين ليفتكّ البلد فرجع خائباً ، ولم
 يزل منصوراً مؤيداً في حروبه فاضطراً للرعية بالعدل لم يفرض عليهم خراجاً ولم
 يطالبهم بشيء الى أن دخلت سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة . فوجه السلطان سليمان
 أسطولاً كبيراً لأخذ جزيرة مالطة لأنه بعد أخذه جزيرة رودس استأنسه أهلها ،
 فأمنهم ، وخرجوا منها وعمرؤا جزيرة مالطة ولحق المسلمين منهم أذى كثير الى
 وقتنا هذا ملكها الله للإسلام آمين

فلما بلغه ذلك ندم على تركهم وأمانهم ووجه اليهم الاسطول سنة اثنتين وسبعين
 وتسعمائة فلما حاصروها أرسلوا الى طرغود يطلبون مدداً ففرج اليهم في اثني
 عشر شينياً^(٢) فلما حاصروا بعض قلاعها أصابته رحمة الله كورة^(٣) قيل لم يصبه
 جسمها وإنما أصابه حرها - فنزل من حلقه دم كثير حتى استفرغ فمات ، وقيل
 أصاب جسمها جوفه فقطعت أمعاءه فدفنت هنالك ، وصبر علي قائد الاسطول
 باقيه وأرسله الى طرابلس ، فدفن بها ، وقبره الآن مشهور بمقربة من البحر بازاء
 مسجده الذي ابتناه بها بنكباء شرقها والشمال . ولما أرسلوه وقع بين أهل الاسطول

(١) البسانين (٢) الشينى اسم لنوع من السفن البحرية (٣) قنبلة

خلف أدى الى انكسارهم فأقلعوا عنها ولم ينالوا المراد منها
ولما بلغ الخليفة سليمان ابن سليم الخبر اغتم لذلك ، وعزم على تجهيز جيش
هرمرم لها ليردح المسلمين منها فعاجله داعي الموت

ولاية يحيى باشا

ولما مات طرغود أرسل الى طرابلس الخليفة سليمان والياً من قبله يقال له
يحيى يلي أسطول شوانبها وتدير أمرها وأمر الجند الذين بها ، فأقام بها الى سنة
ثلاث وسبعين وتسعمائة فمات ودفن خارجها بقصر قراقش الارمني ^(١) وهو
[فريجي طرابلس] على نحو ستة أميال أو أقل من ذلك
وتغلب الجند على أمر البلد فلم يكن لوالها من قبل السلطان تصرف ^(٢) ، واضطرب
أمرها وفسد نظام الملك وكثر الهرج في الرعية فتغلب على غريان رجل يقال له حجاج
سنة ائمتين وثمانين وتسعمائة ومنعها الطاعة. فلما كانت سنة خمس وثمانين وتسعمائة راسلت
خودة بنت شرومة بن محمد الفاسي زوج المنتصر صاحب فزان العسكر بمدينة
طرابلس أن يقدموا عليها لتملكهم البلد ، ووعدتهم بالعطاء الجزيل إن وصلوا اليها ^(٣)
وسبب ذلك أنها كانت تحت ابن عمها المنتصر بن الناصر بن محمد ، وكانت
له زوجة أخرى من أهل مرزك ولم يكن له منها سوى ابنة ، وكان له من الموزكية

(١) هذا القصر لا تزال اطلاله موجودة وهو مبنى بالحجر المنحوت وتحتة مغارات ، وكان اسمه قراقش لما
كان حاكماً على طرابلس ، والقرية التي بها القصر تسمى قرقارش ، وهي محرفة عن اسم قراقش
(٢) الذي يظهر بمقتضى ترتيب النائب في تاريخه ان هذا الوالى اسمه مصطفى ، فقد ذكر بين ولاية يحيى
باشا وولاية سليمان داي ثلاثة ولايه : مصطفى باشا ، ولم يذكر له من الاعمال الا ما كان من نخبته لعامل
القيروان لافتكاك تولس من يد الاسبانول ، وتوفي سنة ٩٨٢ ، ومحمد باشا وجعفر باشا ، وهما اللذان ذكرا تماماً بعد
(٣) وكان الوالى اذ ذاك « محمد باشا التركي » ولم يذكره المؤلف ، وكانت ولايته سنة ٩٨٢ ، وكان
سبي الخلق جائزاً في حكمه وهو الذي ولي مامى على فزان ، وتوفي سنة ٩٩٠

عدة أولاد ، وكان أكثر اقامته بمرزك ، وكانت تسكن القصر الاحمر بسببة ، وكان قصر آمنيماً ، فداخلها ما داخل النساء من الفيرة ففعلت ذلك ، فوجهوا اليها طائفة ، وافق أن قدم عليها المنتصر من مرزك ، فسدت أبواب القصر عنه وأحسن لحاشيتها وقاتلته ، فحاصرها ثلاثة أيام فمات كدّاً ودفن بجامع الحديد . فلما مات زال ما بها من الحقد وحدثتها نفسها بالملك فندمت على مراسلة الترك بالقدوم ندامة كسعية ، وفكرت في نفسها حيلة تستعد بها لهم إن قدموا عليها ، ففاجأها قدومهم بالقرب من موته ، فلما رأتهم قصدت الى حجارة على جبل بمقربة من القصر فألبستها أقبية الرجال وعمائمهم حتى ظنوا أنها رجال ، وانقطعت بهم الارض فراسلوها أن تفي بما وعدت بعد أن سدت القصر بفلق أبوابه وامتنعت قطن أن ذلك يقيها . فلما أيقنوا أن تلك الحيل حجارة هجموا على القصر فملكوه وأخذوها وعذبوها عذاباً شديداً ثم حرقوها . وتوجهوا الى مرزك بعد أن ملكوا سببة ، وكان بمرزك الناصر بن المنتصر بن محمد الفاني وكان أكبر أولاد المنتصر فلما بلغه الخبر وتيقن ألا طاقة له بمقاتلهم لعدم استعدادهم لهم فرّ بجرائته وإخوته ومن تبعه من أعوانه لأرض كاشنه من أرض السودان واستقر بمدينة كاشنة ، وملك للترك البلد وجعلوا عاملاً عليها منهم يقال له مامى وأقاموا معه طائفة من الجند ورجعوا قافلين . فلما قتلوا من أرض فزان وبلغوا البلد ودخلت سنة تسعين وتسعمائة قام أهل البلد على مامى ومن معه من الجند فقتلوه عن آخرهم^(١) ، ولم يفلت منهم الا طائفة من أولاد علوان كانوا عوناً للجند وأرسلوا الى الناصر بأرض السودان فقدم عليهم وبايعوه واستقر بهم الى سنة ثمان وألف فمات بها مريضاً واشتغل جند البلد^(٢) بما لا يعينهم وجاروا على الرعية فقدم رجل من أهل

(١) كان قتل مامى ومن معه في زمن ولاية « جعفر باشا » ولم يذكره المؤانف وكانت ولايته سنة ٩٩٠ هـ وفي زمنه كثرت البغي والفساد وقطعت السبل ، وكثر جور الجند والعمال ، وتار عليه الجند سنة ١٠١٢ هـ ظلموه
(٢) اى طرابلس

المغرب يقال له يحيى بن يحيى السويدي وأظهر العلم والورع . وفي نفوس الرعية من جور الجند ما الله به عليم

وحكى أن رجلاً من الجند كانوا نفوه لأرض الجزائر إذ كانت لجند طرابلس وهم الذين افتتحوها . فقدم مع رجل له قدم في الولاية والصدق مع الله فاستشارهم على أن يمشى بالبلد ويمشى صحبته للحج ، فامنوا عليه وأمروه بإدخاله فادخله ، فلما نزل الركب تاجوراء قتلوه فبلغه الخبر بذلك مع شكاية الرعية جورهم وفسادهم فدعا الله عليهم ، فانتدب لذلك يحيى بن يحيى السويدي فدعا الله أن يذيقهم على يديه الخنف

فقام يحيى عليهم سنة ست وتسعين^(١) وبايعه أهل تاجوراء سرّاً وخرج ونزل بمسلاته . وكان لسناً فصيحاً جواداً مقداماً فأكرمه أهلها وبايعوه ، وتسامع به الناس فأتاه حاضِر الوطن وبأديه ، فخرج الجند إليه وهو بها فالتقوا بمسلاته فكسر الجند وقتل منهم نحو الألف ، وأكثر من قتلهم أهل يزلتين ومن حولهم وقويت نفوس الناس معه ، ودها الجند ومن تابعهم بداهية لم يسمع بمثلا . ثم جند وقدم تاجوراء ، وانتقل منها وحاصر المدينة حصاراً شديداً حتى قارب الاستيلاء عليها فخذله شيخ العرب ابن نوير^(٢) ومن تابعه وقاموا عليه ومسكوه وأمكنوا الجند منه فقتلوه سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وأرسلوا إلى السلطان مراد وأخبروه بما فعل ابن نوير ، فكتب لهم في خراج البلد وجعل لهم منه سهماً وافرأ وأمر بتعظيمهم حين القدوم لدار الملك بطرابلس ، فلم يزالوا عليها وفيهم بقية من ذلك إلى وقتنا هذا . ولم نزل طرابلس لتولي جندها الأمر وطرحهم له شوري بينهم - في تضعضع وتعبر شديد والثورة قائمة في كل ناحية

(٢) كان قيامه في زمن ولاية جعفر باشا وحاصر المدينة ستين

(٣) أولاد نوير فخذ من قبيلة الحمديد يعرفون بهذا الاسم إلى اليوم

فقام بعد يحيى سنة اثنى عشرة بعد الالف في تاجوراء رجل يقال له نَيْال
وقام بعده عبد الصمد وخلع البيعة سنة تسع وألف

ولاية سليمان داي

تم بإيعام الجند رجلا منهم يقال له سليمان داي [سنة ١٠١٢] وتسميه العوام
صفرداي ليتولى أمر الخزانة والخراج فاحسن السيرة في ذلك وتقوم شوكته
وقتل بعض رؤساء الجند

وفي سنة خمس عشرة وألف خلع بيعته أهل تاجوراء وبايعوا رجلا
يقال له أويس وتبعهم على ذلك بنور ربيعة ونزلوا حوالى بلد تاجوراء بأهاليهم
وخرج لهم سليمان داي برأ وبجراً وقاتلهم فلم يقد فيهم شيئاً لقوة الاعراب
وشجاعتهم فاتفق - لارادة الله تعالى خراب تاجوراء - أن وقعت دابة لبعض
رؤساء بني ربيعة في زرع لبعض أهل تاجوراء فقتلها وأثار أهل تاجوراء - لمخلهم -
لبني ربيعة محاصرة أفضت الى ملاكمة ، فارتحل عنهم بنور ربيعة فدخل الجند
البلد وقتلوا كثيراً من أهلها ، وهتكوا الحريم ونهبوا الاموال ، وزادت بذلك
شوكة سليمان داي فتجاوز الحد في الجور على الرعية وأطلق يد الجند ، ولم يزل
على ذلك الى سنة عشرين وألف فتناقت نفسه لطلب المنصور بن الناصر بن
المنتصر بن محمد الفاسي صاحب فزان بالاثابة فراسله بذلك فامتنع عليه فوجه اليه
جنداً فلما بلغ المنصور ذلك جند قومه واستعد للقائهم ، فجمع عشرة آلاف
مقاتل ولقيه بمحل يقال له كنير^(١) بين أم العبيد^(١) والرملة^(١) خارجاً عن أرض
فزان من جهة الشمال على مسيرة يوم من قرية الزين^(١) فالتقوا هناك واقتتلوا

قتالا شديداً ظهرت فيه شهامة المنصور وشجاعته حتى هزم عسكر سليمان وأكثر فيهم أهل فزان القتل . ثم ردوا بعد الهزيمة وكسر المنصور وأنخن بالجراح ، ولما علم عدم سلامته بعث رسولا الى أخيه الطاهر ليفر بالحريم والخزانة ففر لارض السودان كما أمره ، ومات المنصور من جراحته وقتل أكثر عسكره واستولوا على أثاث العسكر وسلاحه وتوجهوا الى أرض فزان فملكوها وجعلوا عليها عاملاً تركياً يقال له حسين النعال ومكث بها الى سنة اثنتين وعشرين وألف ، وجعلوا معه طائفة من الجنود فقام أهل البلد عليهم فقتلواهم عن آخرهم واستأصلوهم وواسلوا الطاهر بأرض السودان فقدم عليهم وبايعوه

ولما رجع جنود سليمان من أرض فزان أمر بخراب قرية تاجوراء لما كان يبلغه عنهم . ثم رفع أهل تاجوراء به الشكاية بواسطة الجنود للسلطان أحمد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد ابن سليم بن سليمان وأخبروه بما فعل فأشكاهم منه ^(١) وأرسل أسطول شوانيه فدخلت طرابلس سنة ثلاث وعشرين وألف فاحتال قائدها في أخذ سليمان داي فأرسل اليه حتى أتاه داخل السفينة فخصمه في محل القلع من السفينة

واختلف فيمن تولى أمرها من جهة السلطان أيام سليمان داي : قيل الشريف باشا وقيل بصدرميج باشا واتفق على توليها أمر البلد من جهة السلطان وبصدرميج - بباه موحدة مفتوحة بعدها صاد ثم دال مهملتان ثم راء ثم ميم وجيم - لقب له وهو اسم القديس بلغة الترك ، غلب عليه اللقب حتى لا يعرف الا به . وسبب قلبه عليه كثرة مهاداته السلطان بقبيد الغزال

(١) في اساس البلاغة : وشكوت اليه فلانا فأشكاني منه اي اخذ لي دته ما ارضاني به

ولاية شريف باشا

ثم بعد موت سليمان داي بايع الجند رجلاً شريفاً كان من أهل القسطنطينية قدم طرابلس زمن سليمان داي حكماً يداوي المرضى ، ثم انتقل منها الى تونس وانتقل منها الى الجزائر وأقام بها مدة ، ثم أناب الى طرابلس فوجد سليمان داي قتل وكان معه لطافة وظرف فولاه العسكر أمر البلد وبايعوه على ذلك ولم يزل والياً لامرها وتفريق رزق الجند وضبط الخراج الى سنة خمس وثلاثين والالف وقيل الى سنة أربعين والالف فقام عليه الجند فلما أحسّ بذلك أخذني القلعة واستعد لقتالهم بمن معه فيها فكبر عليهم ذلك فاستنزوه منها بحيلة وذلك أنه كانت له عقيدة بالغة في الشيخ العارف بالله سيدي محمد الصيد اليحيائي نسبة ليحيى بن محمد من بني ربيعة القبيل المشهور بالبلد : وقد كان فاضلاً متفكراً منقطعاً لله تعالى طرفاً به دالاً عليه ، له كرامات ظاهرة ، كان في ابتداء أمره في ديوان الجند فبعثوه في بعض الخدم الى جهة الشرق ، فلما مرّ بقرية الفواتير وجد بها رجلاً مهدوياً منجذباً فلحظه فانتقل عن حالته وتوجه بكليته الى الله تعالى ، توفي رحمه الله تعالى لست بقين من رمضان سنة خمسين والالف . فألبس الجند بعضهم شبه الشيخ واستنزوه عن إذن الشيخ فامتنع الا أن يرى الشيخ فلما رأى من ألبس شبهه لم يشك في أنه هو ، فألقى السلم ونزل اليه فقطعوه قبل أن يصل الارض . فسبحان من لا يحول ملكه ولا يزول

ولاية رمضان داي

ثم بعد موته بايع الجند رجلاً منهم يقال له رمضان داي يدبر أمرهم ، وكان ضعيف النكاية وبذلك تقوت شوكة الاغراب حتى أرادوا أهل البلد على الاتاوة

وكانوا يأخذون اللحم من المجزرة اذ كانت خارج باب هواره من جهة الغرب ، وفي أيامه قدم محمد باشا الساقلى - نسبة لساقس وهي جزيرة مشهورة من جزر الروم ومنها تجلب المستكى البلدى وهي على دين النصرانية - نوتياً في بعض سفن النصارى فحضر مجلس أخذ الغال بالحصباء خارج باب هواره فأخبره الاخذ أن ملك البلاد يصير اليه فأعادها فأخبره بذلك فعجب في نفسه من ذلك وهو على دين النصرانية وهي قضية اتفاقية كقضية عمرو بن العاص رضى الله عنه حين قدم الاسكندرية في جاهليته مع بعض أساقفة النصارى بسبب معروف كان صنعه فيه عمرو لما قدم الشام تاجراً ، وكان عليه رعي الابل ، وكان الاسقف من العباد فأصابه العطش واشتد به ، فرّ بعمره فاستسقاء فسقاه ، ثم نام بازائه فجاءته حية لتنهشه فقتلها عمرو دونه ، فلما أفاق وشاهدها سأل عمرّاً عن ذلك فأخبره الخبر ، فقال كم دية الرجل عندكم معشر العرب ؟ فقال مائة بعير ، فقال كم يساوي البعير عندكم ؟ فقال عشرة دنائير ، فقال هل لك أن تقدم معي الاسكندرية فأعطيك ديتين لأحيائك لى مرتين ؟ فأجابه عمرو إلى ذلك ، وقدم على أصحابه فأخبرهم بذلك ووعدهم إن انتظروه إلى قدمه أعطاهم إحدى الديتين ، فأجابوه إلى ذلك وانتقل معه حتى وصل الاسكندرية . فبينما هو بها اذ وافى مجلساً يلعب فيه أولاد الملوك بكرة يترامونها بينهم فمن خرجت من كمه تولى أمر مصر فرموها بمحضر عمرو فأصابته كمه فخرجت منه فتعجبوا من ذلك ، فأعادوها فأصابته ، فكان أن تولاها عمرو في خلافة عمر رضى الله عنها ففتحها وكتب له العهد عليها ثم انتقل محمد باشا الى الجزائر وهو على دين النصرانية فأقام بها ثم أسلم ، وعمر شينيا واشتغل بنزو أرض العدو ، ثم قدم بشينيه على طرابلس وأحب الدخول في جندها فأتى رمضان المذكور وأعلمه أنه يجب الدخول في جنده فرتبه في ديوان رؤساء السفن فنزا أرض العدو وأصاب غنائم ، ثم تاقّت نفسه لمصاهرة

رمضان فعمد له على ابنته منّا ودخل بها
وكان الغالب على دولة رمضان امرأة يقال لها مريم بنت فوز الشبلية لفوذ
كلتها عند الاعراب الغالبين على أمر البلد ، وهي التي تتوسط بينهم وبين الجند
بالخير ، فلذلك عزت كلمتها وارتفع كعبها في البلد حتى كان الديوان يأتيها لبيتها
وكانت تحت بعض رؤساء الجند

فلما رأى محمد ساقسلى ذلك وضعف رمضان وخوره راوده على تسليم الامر
اليه فأجابه إلى ذلك ، ودبر حيلة في ذلك خشية ألا يرضى الجند ، فأمره أن
يخرج غازيا وأن يعلم طائفته بذلك ويدخل ليلا ويستأذن في دخول القلعة ، ففعل
ودخل البلد ليلا واستأذن في الدخول فأبى عليه الجند المرتب بها للحراسة حتى
يستأذنوا له ، فاستأذنوا رمضان فأذن في دخوله فدخل بمن معه ، فلما استتموا
بالدخول بطش بمن بالقلعة من الجند ، واستولى على الخزانة وأصبح يبيعه الناس

ولاية محمد باشا الساقسلى

فلما تمت له البيعة وظف على دور البلد في كل شهر شيئاً لضعف الخزانة ، وأجرى
بالباب مكساً على الخارج من المدينة والداخل اليها ، وكان عدة ما يأخذ من استلزام
البابين في كل سنة ألفين وخمسمائة ريال وقدّر على الشجر من النخل والزيتون
وظيفاً قليلاً يعطونه في كل سنة

حكى من يوثق بخبره قال حدثت ممن أدرك ذلك أنه كان يأخذ على النخلة
الواحدة بيضة ، وكانت جباية ذلك عند تمام السنة

وكان عثمان الساقسلى علجاً لبعض الجند وقيل للشريف داي الذي تقدم ذكره
فاستعمله قائداً بساحل آل حامد لاخذ العشروما فرضه على الشجر ، وكان

اكتسب من أخلاق العرب وشجاعتهم فظهرت منه نجابة ، وكان محمد المذكور أراد أن يبطش بعريم بنت فوز ، ففرض زوجها فأتاه يعودده واستصحب معه دواء مسموماً ودفعه له ، فلما تناوله خرج محمد من عنده فما بقي الا يسيراً حتى قضى نحبته ، ولما خرجت مريم من العدة خطبها قيل لنفسه وهي رواية الاكثر ، وقيل لبعض علوجه وأمر بدخولها للقلعة فهى لما بيت ، ورفعت ما كان بيدها له ، فلما استقرت بها أمر بها فقتلت واستولى على ما بيدها

ثم دبر مع أحمد بن ربيعة حيلة في قمع محاربي الاعراب فأشار عليه بترتيب جند بري وأن يركبهم الخيل ، فرتب جنداً وأركبهم الخيل وولى قيادة جيشهم عثمان الساكلى لما ظهر منه من نجابة وشجاعة وصار يفز وأهاليهم فيأخذهم ، ويحتال على رؤسائهم فيأخذهم بالامان فيقتلهم ، حتى كسر شوكتهم وضرب الخراج على من استضعفه ودان له منهم

ولم يزل هذا دأبه معهم ^(١) الى أن دخلت سنة تسع وخسين وألف ، فمات في ذي القعدة ليلة الجمعة لليلتين خلتا منه وقيل سنة ستين وألف والاول أصبح . وكانت ولايته سنة أربعين وألف وقيل سنة اثنتين وأربعين وهي رواية الاكثر وكان موته يسمى سحق له ووضع في تفاعاة وأعطاه إياها طبيب أفرنجي كان أسيراً عنده - كما تدين تدان - ولما أكل التفاعاة اشتد به الألم وصاح بخازن داره رمضان حتى أحضره بين يديه فلم يسمع منه كلمة سوى لفظة « أولم أولم » ومات ، ومعنى هذه اللفظة التركية يا ولدي مت

ولما مات أغلق رمضان المذكور دونه باب الدار ولم يدع أحداً من الغلمان الحاضرين يخرج إلا غلاماً له يقال له محمد أرنورت ، وأوصاهم بعدم الصياح ولا يخبروا أحداً من الخارج ، ونزل فأرسل خلف محمود كيخية

(١) أى دأب محمد باشا الساكلى مع الثائرين عليه

فخضر فأخبره بموت الباشا واستفهمه عن وجه الرأي في ذلك ، فأجاب محمود :
 الرأي عندي أن تلي الأمر أنت وأبايعك على ذلك وأنا بمحلى ، وعلى ضبط البلاد
 أحسن مما كانت في مدته ، ولا أدع مشوشاً عليك بشيء . فقال لا طاقة لى بهذا
 ولا أتحمل هذا الخطب العظيم ، والرأي أن تتولى أنت مكانه إذ كذلك القانون ،
 فقال محمود لا أفعل . وكل هذا وليس معهم إلا غلامان أو ثلاثة لهما ، فلما تطارحا
 الأمر بينهما وأباه كل منهما قال رمضان : كان الباشا يقول في حياته : سئمت من
 هذا الأمر وكبر سني ومات ابني وأريد أن أسلم لعثمان باي وأستريح ، وكان
 ابنه مات ليلة السابع والعشرين من رمضان من سنة موته ، فلم يكن بينهما إلا
 نحو خمسة والأربعين يوماً ، هكذا سمعت منه ، فلما سمع ذلك محمود كيخية نهض لنداء
 عثمان باي لذلك الأمر ، واستصحب معه محمد أر نورت تابع رمضان خازن دار ،
 فلما أتيا داره وصاحا به أشرف عليهما وسأل ما الخبر ؟ فأخبروه فامتنع قليلا ،
 فأقسما له ، فلما تحقق نزل وسار معها إلى القلعة ، ففتح لهم رمضان خوذة الباب
 وأدخله وحده ، ومنعوا الأربعة نفر الذين أتوا معه من الدخول وأغلقوا الباب
 دونهم ، فلما استقر بهم المجلس قال لرمضان : تول الأمر وأنا خادمك كما كنت
 مع سيدنا لأنني أعرف محبة أهل البلد لكم ، وكذا رعيتهما وحاضرها وبآديها ،
 وأعلم ثناءهم الخير عليكم ، فامتنع وقال لا طاقة لى بهذا الخطب ، فرغبه عثمان
 ومحمود في هذا الأمر كثيرا وتكفلوا له بتמיד البلد وضبط خراجها وجندوها
 وحالفاه على ذلك ، فأبى عليهم وقال : سمعت من الباشا في حياته يريد تسليم
 الأمر إليك

ولاية عثمان بايا

فأخذ محمود كيخية وأجلسه على الكرسي وبايعه ، وتبعه على ذلك رمضان .

الخازن ، ثم أرسلوا خلف مصطفى شلبي وأحضروه وأخبروه الخبر فرضي وبائع وأرسلوا الى محمد باي فأحضروه فرضي وبائع ، وجعلوا يصيحون بأهل الحصار فرداً فرداً وكل من أتى أخذوا بيعته حتى بايع أهل القلعة كلهم ، واشتغل بعد ذلك بالسكتب للعمال وأهل الطاعة يخبرهم بموت محمد وتولييه ويمنهم . فلما أصبح فتح القلعة والمدينة وأمر المنادي بالنداء للأول بالرحمة ، وللثاني بالنصر . فلما سمع أهل البلد ذلك دخلوا فبايعوا كلهم ولم يختلف عليه أحد من أهل البلد والعسكر فأقبلت الرعية للبيعة أفواجا ، وفرق في العسكر لكل عشرة ريالاً ثم أخرج محمد باشا ودفنه بازاء تربة رمضان داي على السكة النافذة للبحر من شرق المدينة ، وبنى عليه بناية عظيمة ووقف عليه أوقافاً ، وغرس في التربة غرساً كرم ألبست المحل أنساً وبهاءً ، وأسقط عن دور البلد الوظيف الذي كان وضعه عليها محمد باشا تؤديه كل سنة للحراسة . وأسقط عنها وظيف القضاة الذين كانوا يأخذونه من الميت

كان القضاة إذا مات الميت أرسلوا لوارثه وطالبوه بدفع سدس ماله ، وسموا ذلك فريضة ، وهو ظلم وجور لم يقل به مسلم ولا ملة من الملل إلا ما حكى بعض الاخباريين عن فرعون في ابتداء أمره من أخذه مكساً على الميت ، فإن عنوا بالفريضة فريضة فرعون فالاسلام نسخ ما قبله ، على أن ذلك لم يكن شريعة وإنما هو ظلم ، وإن عنوا أنها فريضة اسلامية واعتقدوا حلها فهم كفار ملحدون ، إذ الاجماع والسكتاب والسنة على حرمة مال المسلم ودمه بغير حق شرعي ، أما السكتاب فقد قال تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » عطفاً على ما قبله من تبين حدود الله فهو منها والآية محكمة ، وأما السنة فحديث الصحيح : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » والاجماع على ذلك . وكانوا من حرصهم على هذا السحت يتوهمون على وارثه جميع ما خلفه من عقار وغيره

باغلى تمن ويأخذون سدسه ، وزيادة فوق ذلك ، فحمداه أهل البلد على ذلك وأنفوا عليه الجليل

ثم را مل السلطان محمداً الرابع في طلب الإمارة فكتب إليه السلطان بذلك وولاه أمر طرابلس وعملها وعمارة السفن والغزو في البحر ففتح من السكفار سفناً كثيرة وأموالا غزيرة ، وكان جماعاً للاموال بكل وجه أمكن واستمر على ذلك ، وفي كل سنتين يجدد له السلطان تشريفاً وكلما جاءه رسول من قبل السلطان أحسن إليه الاحسان الكلي

فلما تمكن اشتد ظلمه ومنع التجار المسافرين لارض فزان من التجارة في النحاس والخرز والكافد ، ونادى ألا يتمجر بذلك أحد غيره ، وحجج على الناس شراء السلع المهمة القادمة من البحر ، وأقام رجلاً لشرائها ، ودفع لرجل مالا يشتري كل سلعة تأتي من بلاد النصارى أو غيرها ، ولا يستطيع أحد أن يشتري سلعة من أربابها غيره وهو يبيع لأهل السوق ، فبذلك ضعف تجار أهل البلد والمسافرون لارض فزان ، وضعف الجالبون حيث لم يصادفوا ربحاً بسبب الحجر عليهم

قال حسين بن أحمد البهلول فيما كتب ومن خطه نقلت : كان ذا حزم وعزم وشجاعة ، طالت دولته واشتهر خبره في مشارق الارض ومغاربها ، وكان قبل ولايته وهو قائد الجيش عند محمد باشا له فتكات في مغازيه وأحواله قل أن توجد في الاكثر من أمثاله ، وكان شديد العزم في غزوه على الاعراب ، وربما بقي للسته الايام والسبعة لم يترجل عن فرسه إلا لضرورة ليلاً ولا نهارة ، وربما علق على الفرس العلف وركب فرساً آخر غيره

وكان في أيام محمد باشا خلع بيعته جبر بن موسى التاورغي ولم يدخل يداً في الطاعة واجتمعت عليه قلوب أهل تاورغاه لكرم كان فيه لم يسمع بمثله الاحكام وأحبه الأعراب

يحكى أنه نحر في عيـد أربعين جزوراً وثلاثمائة شاة ، ومدحه الشعراء .
فوجه محمد باشا اليه عثمان بك في جند فحصره بتاورغاه بلدة ، وهو بلد وخيم له
حتى شديدة الحر على مسافة ست ساعات من مصراته أو أزيد بقليل ، وبه عين
ماء عذب يشبه النيل ماؤها في الغزارة ومنه تنفجر الأنهار والجداول الجارية في
البلد لسقي النخل ، وبها من شجر النخل وضروب أنواعه ما لا يحصى كثرة ،
وأرضها سبخة ينقلب بها طعم الماء الى الملوحة فاذا ركبت تمر . صعبة المسالك لا يكاد
يهتدي لمنازلها الخبير من صعوبة ذلك ، فحاصره بها ودخلها وقطع نخيل بعض
جبهاتها ، فالتقى الفريقان فوقعت الهزيمة في جند عثمان ، فلما رأى ذلك ترجل عن
فرسه وأسند ظهره الى تحلة واختلط سيفه وأقسم لا يزول من محله الا أن تكون
الكرة عليهم أو يموت ، وصاح بالجند وهو يحرضهم على الثبات ويقلل القوم في
أعينهم ويقول : اثبتوا وأنا أكنيكم حتى رد عليه الجند ، فوقعت الهزيمة على جبروانهم
من معه وخرج من البلد واستولى عثمان على حريمه وبعض أولاده ، فاستصحب
الأولاد والحريم حتى نزل مصراته فترك الحريم بها وقتل أولاده بمحل السوق
القديم بالبلد بقرية أولاد شوشان ، وهي قرية صغيرة غربي مدفن الشيخ زروق .
دفنوا بموضع يقال له مسيد بن دخان . بيم وسين مهلة بعدها مشناه تحتية ودال
مهلة آخر الحروف . خارج البلد بنحو ميل عنها الجهة الشمال ، ولم يتركهم
يدفنون بمقابر المسلمين .

قال وكان مؤيداً بالنصر والظفر ، ما توجه لناحية إلا ظفر بها ، وكان في
عداد جند محمد باشا وصهره رمضان

وكان أهل فزان قتلوا حسيناً النعال كما ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وألف
وبايعوا الطاهر ولم يزل بها معتدل الحال الى سنة اثنتين وثلاثين وألف فطفي
الطاهر وتيجير وزاد في الخراج على الخرمان أهل وادي الآجال^(١) وهو وادي متسع

(١) قال الشيخ فالح في حواشيه على تاريخه الثائب : وم اسم من البربر يعرفون بالخرمان

كثير النخل وبه من شجر العذباء كثير، وعرضه نحو الثمانية عشر ميلاً، تكتنفه من جهة الغرب رمال، ومن القبلة والشرق جبال شواحق، وفيه مراتع الابل قل أن توجد، وأهله يشرّبون من الآبار، وماؤه عذب فرات، وهو واد مخصب في الزرع والثمر وكل الغواكه، وأهله من الشمال الحرمان، ومن الجنوب طائفة من العرب يسمون الحجاج واليه يأوى التوارق، وأكثر أهله بيض، وبالرملة التي غربيه قطع ماء يكتنفها الرمل من كل جهة وهو ملح أجاج أشد ملوحة من البحر ونقته يشبهه، ولا يعلم له عمق، وقد عرف والرمال تنهال فيه ولم يظهر لها فيه أثر وأعظم تلك القطع القطعة المسماة بقبرعون^(١) يسكن حولها قوم من أهل الوادي يسميهم أهل تلك البلاد الدوادة لاصطيادهم من ذلك البحر ديداناً طوالاً حمرأ تشبه الدود الكبير وأكثر ما يمكن اصطياده زمن الربيع والخريف ويقل في الصيف، ولا يمكن اصطياده في الشتاء لصعوبة البحر، وهو مسهل نافع جداً مخرج للصفر، وهي من أطيب البلاد هواء وأهلها لا أرض عندهم تزرع لاستيلاء الرمل عليها ولهم غرس نخل بجانب البحر، وبازائه أحساء ماء عذب لا نظير له، ويأتي لذلك البحر من به علة فيمتسل به فيهربأ بحول الله وقوته كائنه ما كانت علته، وماؤه ساخن، وأهل تلك النواحي يستشفون به، وهو على مسيرة نصف يوم من الوادي

والقطعة الأخرى تسمى مندرة وهي مثل الأولى في التثونة والملوحة، وليس بها من الديدان شيء، ويكتنفها من كل جهة النخل، وبها أنواع صعبة وثمرتها تتبأطاً بالطيب، الباكور قمته تكون بأخر الخريف وباقيه يكون في الشتاء،

وبه رجل صالح يسمى زائد بن رزق يقصده أهل تلك النواحي بالزيارة وحوله
ناس ، وبينها وبين قبر عون نحو الستة الاميال

والقطعة الأخرى تسمى الاطرون لاستخراجه منها زمن الصيف

فاقتلوا فارين الى طرابلس ، فأحس الطاهر بخبرهم فراسل مرابطي سبهة بالتعرض
لهم وارضاهم فعرضوا لهم واسترضوهم فلم يرضوا ، وراسل عامله على سوكنة أبا نوح
المصري بالتعرض لهم فلم يقدر ، فقدموا على رمضان داي وصهره محمد الجزائري
وهو الغالب على أمره ، فأكرمهم ووجه معهم جيشاً لارض فزان ، فلما سمع الطاهر
بذلك فرّ الى أبي نوح وكان ملكه إذ ذاك الأمير عمر المقدسي^(١) وكان في نفسه من
الطاهر شيء بسبب تمّله عينيّ ابني أخيه محمد المنصور : المنتصر ومحمد
وإرسالهما لدار ملكه ، وكان ذلك سبب تغير المقدسي عليه . فتغير تغيراً شديداً
حتى عزم على التوجه إليه ، فأخبره بعض منجميه بأن سيّقدم عليك للطاهر
أرضك ، فلما فرّ هو وأعوانه وبلغوا قرية يقال لها بلد المرأة - ومنها افتراق
طريقي السودان وابن نوح^(٢) - ولم يكن لارض السودان طريق الا من
هنالك ، والطريق المارة عليه على قرية غات^(٣) حديثة عهد . فلما بلغوا تلك
القرية أراد أعوانه التوجه لارض السودان ، وأراد هو ابن
نوح ، فافترقوا من هنالك بعد أن كابد أعوانه معه شدة في عدم التوجه اليها
فأبى عليهم إلا التوجه ، فتوجه وكان معه اثنا عشر حملاً ذهباً . فلما بلغ الأمير
عمر خايط عليه وعلى من معه من أولاده ومن توجه معه من أعوانه شكراً^(٤)
وأغرقهم في البحر^(٥) وتولى العسكر البلد وجعلوا أحمد بن هويدي الخرماني عاملاً

(١) هذه العبارة غير واضحة ، وهي في الاصل كما ترى

(٢) هكذا بالاصل ولعله يريد « والطريق الموصلة الى بلد ابن نوح

(٣) غات ، ويقال لها : رات : مدينة بربرية قديمة بالصحراء على نحو ٣٩٥ كيلو مترا الى الجنوب
والغرب من مرزوق ، وحولها سور ، وطرقها مقبوة لا يدخلها الضو . الا من فتحات صغيرة . وحولها
قرى ونخل كثير . والماء فيها كثير . وإهاها التوارك ، ويتكلمون البربرية ويتلثمون . دخلتها الحكومة العثمانية
سنة ١٨٧٤ م ، وأخرجها التوارك منها سنة ١٨٨٦ واستردتها بعد ذلك بسنة

(٤) غرائر (٥) يعني مستقماً

عليه ، وأبقوا معه طائفة من الجند لحراسة البلد وضبط خراجها ، فلم يزالوا بها الى سنة ست وثلاثين وألف ، فتوجه اليهم الامير محمد بن جهيم ابن أخى الطاهر وكان قد فرّ معه ، فلما توجه عمه لارض ابن نوح كره ذلك وتوجه لارض كاشنة ومات ولده جهيم بها ، فراسل ولده محمد أهل فزان خفية فتوجه اليهم بمن معه

فلما سمع بذلك الخرمانى جند من معه ومن وافقه وخرج للقائه فالتقيهما بجميرة^(١) - بلد بين زويلة و تراغن - وأوقع محمد بهم فغروا الى مرزك^(٢) ، فقفا أثرهم وحاصروهم بها حصاراً شديداً حتى قضي طعامهم وأكلوا ما معهم من الدواب حتى أكلوا الحمر ، وراسلوا - وهم محصورون - محمد باشا يطلبون المدد فوجه اليهم مدداً ، ولم يكن للامير محمد بن جهيم علم بالمراسلة

وكان سلطان بن مرعي الغنياني - نسبة الى قبيل الغنيان فخذ من بني مقرح - محصوراً معهم وكانت له صداقة مع عبد الله دباش الحسناوي ، وكان عبد الله المذكور مع الامير محمد بن جهيم وكان مواصلاً لصديقه سلطان المذكور وهو محاصر وكان يضع له الطعام بمخللة ويأتى به قبالة القصر فما يستطيع أحد أن ينزل اليها غير سلطان ، فاذا جن عليه الليل نزل اليها وأفرغ ما فيها ووضعها محلها ورجع ، فكان هذا دأب عبد الله معه ، فلما جاءهم الخبر أن المدد قرب منهم أراد سلطان ابن مرعي مكافأة صديقه باعلامه به خوفاً أن يستولى عليه إذ لا علم للامير محمد ومن معه بهم ، فأعلمه تلويحاً بأن خاطبه : بأن العودة ولدت مهرراً ، فكفى عن

(١) بئر الحاء المهمة وتشديد الميم

(٢) مرزك ، ويقال لمارزوق : قاعدة بلاد فزان وهي على نحو ٧٧٥ كيلو مترا الى الجنوب والشرق من مدينة طرابلس ، وحولها سور من الطين ، وعليه أبراج ، واشتلت أزقتها ضيق متعرج ، وهي مقر موطنى الحكومة العثمانية ، وسكانها خليط من كل ادم افريقية وغيرهم ويتكلمون اللغة العربية ويعرفون البربرية والتركية والسودانية ، وتكثر بها حمى الملاييا في الصيف لوقوعها بين مستنقعات ، وتبلغ درجة الحرارة فيها في الصيف الى ٥٠ درجة في الظل ، والى ٦٠ درجة في الشمس ، وفيها عيون هذبة . وبواحة مرزوق اكثر من ثلاثين نوعاً من النمر . والتخل فيها كثير جدا ، يزيد ما تأخذه عليه الحكومة العثمانية من الضريبة على المليون له مختصراً من التنبان لراثة بك

أنفسهم بالعودة وهي المسنة من إناث الخيل لأنها لا تقدر على الكر والفر ، كما أن الحصور كذلك ، وعن المدد بالمدد وهو الصغير من ذكور الخيل لقوته على الكر والفر ، فهم عبد الله أنه أتاها مدد فأخبر محمد بن جهيم بذلك فأفرج عليهم الحصار وانتقل عنهم ، وفر أمامهم متقلباً في أرض فزان إذا دخل أرضاً دخلوا عليه فيقاتلهم حتى سئم الجميع من ذلك

فحضر مرابطو فزان من كل قطر^(١) وعقدوا بينهم صلحاً على أن يكفوا عن بعضهم ويقفوا عن القتال إلى أن يراجعوا محمد باشا ، فراجعهم سيدي علي الحضيري المعداني الفقيه الشهير وأخوه كلالة سيدي حامد الحضيري وجعلوا صلحاً بينهم على أن يخرج الترك من أرض فزان ويدعوها بيد صاحبها ، ويؤدي اتاة كل سنة أربعة آلاف مثقال ذهباً : ألفين منها تبرأ وألفين يعطون قيمتها عبيداً وإماء ، وجعلوا ثمن كل عبد ذكراً خمسة وعشرين مثقالاً ، وثمان الأمة ثلاثين مثقالاً ، وثمان الخصي ثمانين ، وتحموا بنفقة الرقيق ، وإن من مات منهم عليهم إلى أن يبلغوا سوكنة ، ومنها إلى المدينة على السلطان ، وكرام رواحل الرقيق على السلطان صاحب طرابلس وكل ما ذكرنا للخزانة . واشترطوا لأغمة العسكر ثلاثة عشر مثقالاً وثلاثاً ذهباً ، واكتبة دار الملك سبعة مثاقيل الاثلاثاً ، ولسعي النوبة وألي أمرها^(٢) ثلاثاً وثلاثين مثقالاً وثلاثاً وخصياً ، واتعد الأمر بينهم على ذلك ، وبعث محمد باشا جنده بالانتقال إن التزم محمد بن جهيم بذلك . فلما بلغ محمداً ما فعل الشيخان التزم بذلك وسلم له الجند في بلده . وإنما ذكرنا القصة هنا مع ما فيها وإن كان محلها عند ذكر محمد باشا لما اشتهر من أمر كبير جنده البرقي عثمان المذكور فلعله يظن أنها كانت على يديه ، ولم أقف على من ذكر أنها كانت على يديه ، ولم يزل محمد بن جهيم متولياً أرض فزان إلى أن دخلت سنة تسع وستين فتوفي

(١) المرابطون بالغة الدرجة عندما م الأشراف وطلق على أبواب الطرق (٢) كذا بالأصل

و تولى ابنه جهم موضعه بعهد منه

قال حسين بن أحمد فيما كتب في شأنه : كان عثمان هذا داهية حازماً له من الرأي والتدبير وكتمان السر ما لم يكن لغيره ، كان اذا ورد عليه كتاب قرأه بنفسه ثم وضعه في جيبه ، واذا أمر بكتاب كتب ثم عرض عليه فقرأه بحيث لا يستطيع أحد الزيادة عليه ، وكان ذا مكر وخداع لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ولما عقدت له البيعة رآه بعض الاعراب مشرفاً من أعلى برج القلعة فقال : الآن استراحت الاعراب واطمأنت وحق لها السرور حيث سجن هذا الرجل نفسه ، فقال من معه : الرجال كثير غيره يقومون مقامه . فقال : ما أظن أحداً يقوم مقامه ، هيهات هيهات أن يكون أحد مثله

ولما كان في خدمة محمد باشا كان أحمد بن عبد الهادي صاحب أوجلة ^(١) له نحو العشرين رامياً بالبندق أتى بهم من مصر ملك بهم الجبل الأخضر كله ودان له بذلك أهله ، فأتى عبد الله بن سيمى أحمد بن حموده عثمان وكانت بينهما صداقة وأخبره بذلك وهون عليه أمر أوجلة والجبل ، فعرض ذلك على محمد باشا وطلب منه الاذن فأذن له في ذلك ، فخرج بطائفة من الجند معه في البر وأمدّه محمد باشا بطائفة أخرى من البحر . فلما بلغ عثمان باي أوجلة خرج اليه أحمد بن عبد الهادي وجنده وأهل البلاد في قوة عظيمة لا يقدر عليها ، فلما رأى ذلك

(١) أوجلة : واحة على نحو ستين ساعة الى الجنوب والشرق من بنغازي وطولها من الشرق الى الغرب يوم تقريباً وحوطها سور من الدّين - لم يبق منه الآن الا آثاره - وأوجلة اسم البلاد ، واسم المدينة ارضاقية . وسكانها بربر ولغتهم البربرية . اه مختصراً من التّيان لرافة بك وفيها قبر عبد الله بن سعد من ابي سرح أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم أرضعت امه سيدنا عثمان فهو اخوه لأمه ، وولاه مصر سنة ٢٥ ففتح الله على يديه أفريقية وكان فتحا عظيماً كان سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف منقال ذهباً ، وسهم الراجل ألف منقال ، قال في اسد الغابة : توفي بعسقلان وقيل بأفريقية سنة ٣٦ وقيل سنة ٣٧ اه

والناس عندنا لا يشكون في وجود قبره بأوجلة لانهم نوارثوا هذه الرواية صغيرهم عن كبيرهم منذ احيال

ذهب الى الخديعة على عادته ، فظهر لهم الاسف والندم على تبعه اليها ، وقال لو علمت أن أوجه هكذا بليدة في صحراء ليس لها ضياع تقوم بساكنها ولا كثرة نخل ولا مياه ولا غيرها لما كنت قدمت اليها ، ولا جبرت هؤلاء المساكين ، والله ما بي الا ذلك ، وأما أنا فلا يهمني التعب لان خادم السلطان معد لذلك ، وجعل يتأسف ويتأوه ويظهر الندم على ما فعله مع هؤلاء الفقراء المساكين المنقطعين في هذه الصحراء ، حتى لم يشك أحد منهم في ندمه

وأخذ يقول لهم : ضعوا سلاحكم أبها الفقراء^(١) وأريحوا أنفسكم وواجعلونا في حل مما نالكم بقدمونا عليكم ، وانا ان شاء الله أستريح يومين هنا وأرتحل عنكم ولن تراؤوا بعد اليوم إن شاء الله ، فرجعوا الى بلادهم ووضعوا سلاحهم وأطمانوا ، ولم يبق في قلب أحد منهم شك أنه نادى على صنيعة . فلما كان الغداة أتاه كبراؤهم وسألوه أن يأخذ له من البلد شيئاً يعوض عنه ما صرف على جنده ، فقال : الامير غني عنكم لا يطعم فيكم ، وانا ان شاء الله أمضي اليه واخبره بحالكم خير أتى أطلب منكم أن تجعلوه في حل من فزعكم وروعكم بسبب قدومنا عليكم ثم التفت الى الشيخ وقال : يا أحمد يا مسكين استوص بهؤلاء المساكين خيرا وأما أنا فلا أطعم فيكم ، ثم سألهم أن يتركوه يدخل البلد يصلى الجمعة ، وعلل لهم ذلك بأن قال أراها وأخبر الامير بحالها داخلا وخارجا ، واقطاعها في الصحراء وقلة نخيلها وعمارتها وحالها ، لانه سمع بها وربما ظن أنها من امهات الضياع ، وليس الخبر كالعيان ، فاجابوه : حبا وكرامة ادخل ، فدخل وصلى بها الجمعة وادخل معه بعض أصحابه ، وأمر الباقين بالاحداق بها فأحدقوا . ولما استتم أصحابه بالدخول وجلس شكى اليه أهل البلد حالهم مع شيعتهم وظلمه لهم وأخذهم أموالهم ، فقبض عليه وسمجنه وجعل يقتبص تجار البلد ويسلب أموالهم ويسجنهم ويسجن (١) تعلق قلبه ، الفقراء ، عندنا على ارباب الطرق ، وتطلق على الذين لا شوكه لهم وليسوا اهل عصبية

من النساء كل من لها مال حتى تؤديه، وبالف في نهب أموالهم حتى نهب أقراط الصبيان من آذانهم وهي لا يزيد وزن الواحد منها على مثقال ، ولم يترك فيها ذهباً ولا فضة إلا أخذته ، وجمع ما فيها من رقيق ، وقيد الشيخ أحمد وأتى به وبفسائه وحريره وبقية واخوته ومن له به تبم الى حضرة محمد باشا . وكان ما جمعه منها من فضة شيئاً كثيراً فضرب ذلك محمد باشا سكة زنة كل قرميل نصف درهم وأجراه في الصرف بأربعة طرائش ، واستمرت تلك السكة بطرابلس الى أن ضرب خليل سكة ، وكانت لم تستمر في غير طرابلس وعملها من البلدان ، وكان له من الرأي وكتبان السر ما لم يكن لغيره ، وكان اذا أتاه كتاب لم يأمن عليه كاتباً

قل البهلول : ومن عظيم ظلمه الفاحش انه كان اذا باع أحد الشركاء عقارا ولو جزأ لا يتجزأ أغرم البائمين وغير البائع مكس العقار كله ولو يبيع قيراط واحد أخذ صاحب المكس مكسه كله ممن باع ومن لم يبيع ، وربما كان من لم يبيع يتما أو أرملة فظلمهم بأخذ المكس ، وهذا شيء لم يسمع به في ملّة من الملل ، فلذلك كان المكس أو لا ثلاثة من المائة فترقى الى أن بلغ مكس العبد عشرين منه وأكثر ، وجعل على مطلق العبد القادم من فزان ريالاً ونمناً ، وسمي ذلك غفراً وان كان الآتي به لم يسلم له إلا هو ، أو كان ضعيفاً ، ولم يزل يترقى المكس بسبب ذلك الى أن بلغ استلزام البائعين أربعة وعشرين ألفاً بعد أن كان ألفي ريال وخمسة

وكان جباراً على الرعية لا يرقب فيهم إلاّ ولا ذمة ، زاد في الخراج على للقانون القديم شيئاً كثيراً ، وسلط عليهم القواد ولم يقبل منهم شكوى ، فان كثر عليه اللوم قال : ان القواد استلزموا بكذا فهل لكم أن تتحملوا بذلك ولا أخرج لكم قائدا فيتحملون بذلك لضرر القواد ومناع قولهم في الاهالي وعدم سماع شكوي الاهالي فيهم . فبذلك لزم البلد الذي كان وظيفه أربعة آلاف عشرة

آلاف: أربعة في الخراج المهود ستة استلزام القوادى حتى أضر الرعية وأجلهم وشنت شملهم ، ومن فر منهم لم يتعرض له ولم يُرضه بشيء ، ومن بقي منهم يقرمه ما لزم البلد كله ، اذ عنده ما ذكر عليهم بدفته آية محكمة لا يجوز عليها النسخ ، حتى أنه يوجد بدفته تونس من الطرابلسيين المؤدين للخراج شيء كثير

وكان اذا أتاه شيخ كبير هرم لا يستطيع خدمة ولا مال له ولا ولد يطلب ازالة ما فرضه عليه الزمه ، ولم يقبل منه في ذلك . وكانت يأتيه أهل القرى ويتحملون باستلزام القوادى فاذا دفعوا ذلك أمهلهم عاماً ثم باعهم من قائد آخر وسلطه عليهم ، ولا يقبل منهم فيه قولاً ولا حجة ، وكان ما فرضه من قبله من العشور على أهل الفلاحة ومن أجرى عليهم الخراج مضبوطاً ، على كل بلد قدر معلوم يأخذون ذلك بمكيال مراد لا يزيدون شيئاً ولا ينقصون من ذلك . فجعل هو كل سنة يزيد في المكيال ويرسل لكل بلد كيلا يكيلون به الوظيف وكل سنة يزيد المكيال حتى بلغ كيله ثلاث كيلات بالمرادي ، واحتال في زيادة الخراج عليهم من جهة العشر اضعف أهل الاسلام وبهدم أركانه ، وفرض عليهم المطيرة ^(١) زيادة على العشر وعم بها كل أهل البلد من عليه ضريبة الخراج ومن لم تكن عليه من أجنبي وغيره . وجعل هذه المطيرة في القدر تعدل السكة ^(٢) القديمة ، وربما أعطى الرجل في المفروض الذي زعم أنه عشر جميع ما بيده ويبقى هو وعياله يسألون الناس ، حتى أضر بالخلق الضرر الشديد

(١) المطيرة عندنا هي ان حطب شيئاً من البذر لمن يذره له وينصده في وقت الحصاد وياتي له بما تحصل منه

(٢) السكة عندنا هي السهم في ثمرة الميراث الذي يتكون القسمة بنسبته . فاذا اشترك اثنان في الميراث

وحرقا على جملين فبئال عندهما سكتان اعدل واحد منهما سكة ، فاذا كان متهما ناك واخرج حصته من البذر واجرة الارض واقام بها ينوبه من العمل يقال عليهم : عندم ثلاث سكاك ولولم يكن لنا الثالث حيوان ، وعلى هذه النسبة وتطلق على قدر مخصوص من الارض

ولم يول من حاشيته متأصلاً في الاسلام منصباً ، وانما يُولى المناصب : مثل قيادة الجيش ومنصب الكاهية أحداث العهد بالاسلام : ولى قيادة الجيش ابن أخته رجب بك ، وولى الكاهية أولاً محمد بن أخته ، ثم مات بالطاعون فأقام بعده ابن بنت أخيه سليمان ، وكان قدم عليه أبناء ابن أخيه وهم على دين النصرانية فختنهم^(١) كرها وقيدهم على البلدان فظلموا ظلماً شديداً ولم يستطع أحد أن يشكوهم ، وتعدى ظلمهم الى أن أحيوا سنة عملاق بن طسم ، فكان أحدهم اذا زفت عروس الى بعلمها بدأ بها ظملاً واقتض بكارتها ثم يتركها لزوجها . واذا أخبر بامرأة جميلة في بلده الذي هو به قائد أرسل اليها وأتى بها كرهاً وفعل بها ما أراد ، ولا يستطيع زوجها ولا غيره دفعاً ولا منعاً ، ومن أراد الشكوى منع الدخول الى الأمير عثمان ، وهذا شيء لم نسمع بمثله الا عن عملاق الاكبر ابن طسم الحيدري فقد ذكر المؤرخون أن قبيلتي طسم وجديس - وكانا أخوين - لما كثرت عددهما أجمع رأيهم على أن يجعلوا ملكاً منهم يرجعون اليه في مهمة أمرهم فملكوا عليهم عملاقاً واتخذ قبيله أعواناً وحاشية ، ولم يزل يأخذ من جديس الاناوة ويقوي بها قومه ويزيد في الظلم الى أن وقع لهزيمة بقت مازن الجديسية واقعة ، وذلك أنها كانت تحت ابن عم لها ولها منه ابن طلقها قبل فطامه ، فلما تم فطامه أراد أخذه منها فأبى عليه ذلك فخاكمها الى الملك عملاق ، فلما حضرت بين يديه قالت أصلح الله الملك إن هذا الولد حملته تسعاً ووضعته دفعاً ، وأرضعته شفعا ، ولم أبل منه نفعاً . فلما اشتدت أوصاله وحان انفصاله أراد أخذه مني كرها ليركني برهاً - أي ذاهبة العقل - . وقال الرجل أيها الملك أخذت مني المهر كاملاً ، ولم تنلني طائلاً ، إلا ولداً جاهلاً ، فافعل ما أنت فاعل : فأمر بالرجل فبيع وأعطى المرأة عشر ثمنه وباع المرأة وأعطى للرجل خمس ثمنها واسترق الولد ووضعته في جملة غلمانته ،

فأنشدت هزيلة أبياتاً :

أتينا أخطاسم ليعحكم بيننا فأقصد حكماً في هزيلة ظلاماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا فهما عند الحكومة علماً
ندمت ولم أقدر على متزحزح وأصبح زوجي غار الرأي نادماً

فلما بلغت عملوقا الابيات أقسم ألا تدخل امرأة على رجل في جديس إلا أن يبدأ بها قبل زوجها ، فان كانت بكراً افترعها وفض بكارتها وبعث بها الى زوجها وإلا أمسكها ثلاثة أيام ، وصبيحة الدخول يعمل الولي الوليمة ويحضرها بين يدي السلطان ويقف على رأسه ليعلم من يحضرها أنه الولي زيادة في النكال لهم ، ولم يزل على هذه الحالة الى أن تزوجت سمدي بنت غفار أخت الأسود بن غفار ابن عمها وكانت يقال لها الشمس لغرط حسننها ، فلما سمع عملوق بذلك أرسل اليها قينات زيادة في التعظيم ، وكانت تظن أن فعله ذلك بعامة جديس لا بخصوصهم فأحضرها بين يديه فافترعها وكانت تزعم أنه زوجها فلما فض بكارتها أمرها بالالحاق بزوجها ، فقالت ألسنت زوجي فقال بلى أنا الملك عملوق ، فاطمته وشقت نياها وخرجت على أخيها وقومها وهم على باب الملك ينتظرون هل وجدها بكراً أولاً ، ويتشاورون في شأن الوليمة وما هو اللائق بها ، ففاجأهم أن خرجت عليهم نياها مشقوقة ودمها على فخذيهما وأنشدت :

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس
يرضي بهذا يا لقومي حو أهدي وقد أعطى وسبق المهر
لأخذة الموتة للعروس أجل مما حل بالعروس

فلم يأخذ فيهم ذلك ، فلما استقرت بالبيت أنشدت لهم قصيدة وهي هذه :

أيجمل أن يوتى على فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
ونمشي سعاد في الدماء غريقة سفاحا وقد زفت عروسا الى بعل

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه
ودونكم طيب العروس فانما
فلو أننا كنا رجالا وكنتم
فقبضناو شيكاً للذي ليس دافعاً
فوتوا كراماً راصبروا لمدوكم
والا فخلوا ظهرها وتحملوا
فلا بين خير من مقام على أذى
ولا نهج عواقومي من الحرب إياها
ويهلك فيها كل نكس موال كل

فأخذتهم الحال وشق أخوها الاسود ثيابه حنقاً وساعده قومه فيما أراد ،
فقدروا بطسم بعد أن حثتهم سعاد على ذلك ولم يغفلت منهم الا رباح بن زيد
الطسعي الحق بحسان بن تبع مستغيثاً فأغاثه وظفر بجديس ، قصتهم مشهورة
وزاد ذلك الأمر حتى اشتغل به أكثر قواده لما رأوا تعاميه على ذلك حتى
تعدوه الى الفاحشة الوطنية . فقد ذكر البهلول أن أحد قواده بساحل آل حامد
جمع الرعية لخدمة بستان له هنالك فاجتمع أهل البلد كاهم فرأى فيهم غلاماً أورد
جميل الصورة فقبض عليه برأى من الناس وفعل به على أعين الاشهاد الفاحشة
العظمى وكان أبوه من أعيان البلد فجعل يستغيث ، يصيح ، فأمر القائد المذكور
غلامه فقبضوا عليه وصرعوه وما زال يضر به بالسياط الى أن مات في موضعه
ذلك ، وحملوه ميتاً ودفنوه ، ولم يستطع أحد رفع شكايه لعلمهم المنع من الوصول
وعدم قبولها إن وصلوا

وكان الأمير حسان لم يدخل يداً في الصلح في أكثر الاوقات
مع أجناس النصارى ، وكان مفتوحاً على يديه وأبلى في جميع أجناس
النصارى بلاء لم يهدوه من مثله ، وأخذ أساطيل خز وهم الممدة له ، وسند كر

ذلك عند ما يناسبه من أبيات القصيدة ان شاء الله تعالى

وكان إذا غنم غنيمة وبها بضائع رعى تلك البضائع على التجار بأعلى ثمن بل ولحق التجار والفقراء وغيرهم من أهل الصنائع حتى أن ما قيمته أربعون باعه من أخذه بنمانية عشر ، وكل من أتته غنيمة بها بضائع فعل بها ذلك ، وعم حتى لحق ذلك الخطابين والبقالين والحجامين والنساجين وغيرهم ، ولحق بعض أئمة المساجد ، وكان بعد فعله بأهل البلد ذلك أراد نهب أملاكهم فصار اذا سمع بملك يبيع بعث إليه وأخذه ، حتى اذا دفع إليه وضع - بعد أن يشهد العدول بالقبض - عليه (١) من يأخذ منه الثمن

ولم تكن أملاك أهل تلك المدينة تؤدى خراجاً إلا زكاة ماعمر من السوانى (٢) فان عليه نصف العشر ، وأكثر أهل البلد لا يؤدى شيئاً ، وربما لم يأخذ محمد باشا ممن له نحو الففيرة عشرة

ولما رأى محمد باشا تكاسل أهل المدينة على تعمير أرضهم أحصى سوانهم وترك العشر وفرض على كل سانية أربعة ريالات وربما كانت كبيرة أو صغيرة فليم على ذلك فأجاب : فمات ذلك ليشتهل الناس بخدمة سوانهم فيحصل النفع لأن أكثرهم يترك سانيته من غير عمارة كسلا فيضر بنفسه ، واذا كان عليها شيء للمخزن لا يتركها دامرة بل يعمرها ويفتفع وتكثر العمارة والغلة

وقد أحصى محمد باشا النخيل وفرض على كل نخلة عشرين عثمانياً في العام وفرض على أجنة العنب شيئاً خفيفاً . فلما تولى عثمان أعاد الزمام في الجميع فزاد شيئاً كثيراً في النخيل والآبار والاجنة ، ولم يترك لاجنة شيئاً ، وكذلك أجنة العنب حتى ربح الجالية (٣) في سانية أو غيرها كتبه . وجعل الاجنة صنفين معي صنفاً مرصداً وهو القوي الشجر ، ومعى الضعيف غير مرصد ، ووظف على

(١) أى على البائس (٢) البساتين

(٣) المراد بالجالية هنا مقدار من الارض . كالقدان عند المصريين . والسانية البستان

كل جابية ريالين الاربعاء وعلى غيره نصف ذلك ، وربما كان المرصد في بعض السنين لا يفي بما عليه ، وربما أعطى صاحبه الوظيف ولا يمتي له شيء . واحترق العنب في بعض السنين بحيث استأصله الحر ولم يبق منه كثير ولا قليل ، وطعم الناس ألا يطالبهم بذلك فخرج لهم شاوشا لاخذ الوظيف قبل الا بان تأييساً لهم من الطعم فرفع اليه بعض الناس الشكاية فلم يقبل شكوى شاك ولا عذر معتذر وزاد على الزيتون النصف على ما كان موظفا عليه ، اذ كان وظيفه قبل ذلك في العام قرميلا فأنهاه الى قرميلين ، وألزمهم ذلك أنعت أولم تثمر ، وربما بقيت الخمس سنين والست سنين والسبع لم تثمر شيئاً . وكل سنة يغرمون خراجها بلا وجه ولا شبهة في كل ثلاثة أشهر ولم يضع عندهم شيئاً ، وأعاد احصاء النخيل الذي أحصاه من قبله وظهرت له الزيادة الكثيرة ، بحيث لم يترك حُبسا لمسجد ولا لغيره . فبذلك كثرت الزيادة ومن علم أنه نقص من شجره شيء أقره ولم يحصه عدا ولم يلتفت لمدعي النقص ولو نقص نصف شجره وأدى ما تناوله للزمام القديم رغما عن أنفه ، وكان نخيل تاجوراه لم يؤد خراجا لان أهلها كانوا يرون جعل ما طولبوا به من الخراج على الروس أولى منه على النخيل فسيكانوا يفعلون كذلك ، ويرون أن في ذلك صلاحهم . كذا قال البهللول

قلت : وهذه نزعة يهودية إذ لا تضرب على الرقاب الا الجزية ولا يرضى

بها اليهودي

وقال البهللول : وكان نظرم في ذلك أن الرجل منهم اذا مات وترك أولادا صغارا أكلوا ملكهم بلا خراج حتى يبلغوا مبلغ الحلم وليس عليهم حرج في ذلك فاذا بلغوا حسبت رقابهم وأدوا عليها ما كان مفروضا ، واذا أراد ال جل النقلة باع ملكه بأعلى قيمة لسلامته من الخراج ، فهذا نظرم الذي لم يره عاقل الا استتبعه لشبهه في الصورة بالجزية بل هو أخوها أو هو هي ، فلم يزل عثمان

يحتال عليهم الى أن أحصى نخلهم كله وفرض على كل نخلة في العام قرميلا ونصفا
نكالا لهم وأبقى رقابهم ملزمة بما كان مفروضا عليها ، ومنه وض النخلة في
غيرها قرميل سنويا لا غير فضعف بذلك أهلها وتفرقوا في الاوطان شفر بفر
وكانت له عدة سفن معدة للجهاد في غاية من الاتقان والقوة والسلاح ، ولم
يضع منها شيء مدة ولايته ، كانت أربعاً وعشرين عاماً سوى سفينة غلبها الريح
وهي بأرض العدو فانكسرت وأسروا من كان بها حياً . وكانت سفنه لأهلها
اليد الطولى في الغنائم بحيث لم تخرج سفينة إلا آتت بغنيمة أو غنائم وقل أن
رجعت بغير غنيمة ، وكلما أتته غنيمة حصلها في حواصل بيوت وأعطى للمجاهدين
ما أراد ولم يبسال بهم الى أن أوجر بفعله ذلك صدورهم ، وسعى بذلك على حفته
بظلمته وكل ذلك من عظيم ظلمه الذي لم يسمع بمثله إلا منه . قال ولو تتبعنا ذكر
ظلمه ونوادره لجمعنا من ذلك شيئاً كثيراً

فلما أراد الله سبحانه تعالى انقضاء دولته خرجت سفن الغزو للجهاد فغنمت
أربع سفن وفيها من الأموال والجواهر شيء كثير ، فأجرى ذلك على عادته السابقة
معه فلم ترض نفوسهم بذلك ، فأجمع رأيهم على خلع بيعته فخلعوا أول يوم من
شعبان سنة ثلاث وثمانين وألف

وكان سبب ذلك السفن الأربع المذكورة ، فإن الجنود الذين أخذوها اتفقوا
وهم بالبحر على أنه ان أعطاهم خمسة ريات لكل واحد منهم والا حاصروه وخلعوا
بيعته ، فلما دخلوا باوطلبوا ذلك أبي عليهم وأعطاهم رياتا لكل واحد في حصته ،
ولم حصص يختلفون فيها على ما اصطالحوا عليه في البلد في تقسيم الغنائم على خلاف
ما هو مقرر عند الفقهاء في قسم الغنائم ، وكان قبل خروجهم لهذه الغزوة وهم في
الاهبة لما أعطاهم رياتين لكل واحد للاستعانة ، فلما أتوا وأراد محاسبتهم على
ما فرض لهم مما ذكرنا أمر السكاكيب أن يقاصمهم بما دفعه لهم قبل الغزو وهم يختلفون
في السهام ، فنهى من له عشرة ومنهم من له اثنا عشر ومنهم من له ثمانية وغير

ذلك ، فصار لصاحب العشرة ثمانية بعد المقاصة في الريالين وجعله السهم ريالاً فأخذ البعض وأبى البعض ، فأخبر بذلك فبعث للكاتب من أخذ فداك ومن أبى فأتني بسهمه وليمدد بسبب الى السماء ، وما عساه أن يفعل ؟ فلامه بعض الحاشية على صنيعه ذلك وعلى ذلك بأنك أوغرت صدور الجند عليك فأبى ، وراجعته رجب بك فأبى ، فكان من جوابه لهم : وما عساهم يفعلون

فلما كانت العشي من ذلك اليوم وهو يوم السبت التاسع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وألف ملأ أحدهم بندقيته وأطلقها بفم القهوة بسوق الترك وهي ملائي بالخلق ، فراجعته عثمان وكيل خرجه وأخبره بما شاهد ، وأنه تفرس فيهم أنهم خالعون ببيعته وأنهم مثيرون فتنة بهذه الليلة وإن أثاروها عسر ردها ، فلما تحقق ذلك أمره بالمسير الى الفندق المعروف بسكنى عزاب الجند وأن يأتيه مائة منه يبيتون معه ، فأتاهم وكلمهم في ذلك فلم يجبه الا نحو الثمانية ، فرجع اليه وأخبره فأمره بالرجوع إليهم ووعدهم بالعطاء فلم يجبه أحد وكان ذلك قبل الزوال ، فغلق باب الحصار واختفى عثمان الوكيل في الفندق ، وبذلك كانت سلامته وسلامة عياله واخوته من المصائب النازلة بالامير عثمان

ولما مضى طرف من ليلة الثالث من الشهر المذكور خرج مصطفى بهلوان جلبي في سبعة نفر ولبسوا آلة حربهم وطافوا على محل سكنى عزاب الجند من الفنادق وتبعهم من أجابهم الى أن انتهى بهم الأمر الى الفندق المعروف بفندق الباشا ، فاجتمع به نحو الأربعين واتفقوا على خلع بيعته وخرجوا وأطلقوا بنادقهم تجاه الحصار ليظهروا له ما عزموا عليه ، وخرجوا من الفندق وأتوا دار على قبطان فأخرجوه ، وذهب جميعهم الى دار عثمان رئيس المرسى فأخرجوه ، وجعلوا يطوفون على بيوت الاكابر والرؤساء من الجند المتأهلين ، وأخرجوا القاضي وقرعوا باب سيدي أحمد بن مقيل لتولية الفتيا يومئذ فاخفى عنهم بحيلة ، فلما استتموا أمرهم أتوا الى السوق وأمروا بايقاد الشمع والقناديل وفتحوا الخانات

الذي بازاء فندق الباشا وأجلسوا القبطان ورئيس المرسى بها وجعل الجند وأهل البلاد كلهم يأتون لذلك الامر ، فلما أحسن عثمان بذلك وتحقق خلعهم له خرج الى الرحبة خارج باب القلعة ومعه كاهيته وجماعة ، وأمر الكاهية بالمضي الى رجب بك اذ هو بيته الذي هو برأس شارع البعلدية الكبير بازاء المدرسة العثمانية فذهبوا ، فلما حاذوا حوائيت الطباخين وسمعوا كلام القوم وكثرتهم رجعوا للامير ودخلوا الحصار وأغلقت الأبواب

ولما أصبح جعل يرمي على البلد الكور والرصاص من الابراج والحرائق ، فهذه غرفة عثمان رئيس المرسى ، واستعد القاتلون للرمي على القلعة فرتبوا بالبرج المعروف ببرج التراب مدافع ورئيساً ، وجعلوا من البارود ما يكفيهم ، وكذلك كل برج ، وجعلوا يرمونه ، فلما رأى ذلك أمسك عن الرمي ، ولما أمسك أرسلوا عثمان رئيس المرسى المذكور الى رجب يظلمون منه أن ينزل على الامان ووعده القبطان أن يلي الامر ، فلم يتركه على الجري ينزل اليهم وخاطبهم : لا ترفعوا أصواتكم فقد أرفعتم الباي بملوصوكم ، فرجعوا من عنده وأعدوه شراً ، فلما أصبح تعلقت العساكر بجدران بيته وصعدوا فوق أسطح الدور التي بقرب دار رجب وجعلوا يرمون دار رجب بالرصاص ، فمات من حاشيته نحو الخمسة ومات من الجند رجل ، ثم مضوا فرتبوا مدافع تجاه دار الباي من ناحية الكنديسة وضربوها فانفلق بعضها وقتل رجل بالقرب منها ، وانهد ركن كشك رجب ، ثم رتبوا مدافع أخرى من ناحية طرغود فلم يمكنهم ذلك ، فأتاهم بعض الاسارى من الافرنج وحفر لغنا حتى قرب من الدار فأحس به على الجري فحفر حتى لاقاه فهرب الافرنجي وبطل صنيعة ، ولما ضاق به الحال راسلهم بطلب الامان فأتاه بعض الفقهاء وغيرهم فأنزلهم على الامان ، وهم رجب وحرب الزباني و ابراهيم چايي وأحمد السعد وعلي الجري فقتلهم عن آخرهم ، وجعلوا كل اثنين بسلسلة وتركوا جثثهم تأكلها الكلاب ، وأخرجوا محلة للقساء محلته فحزمتها محلة الجند . فلما عين عثمان ذلك شرب سما فمات تاسع شعبان سنة ثلاث وثمانين وألف . قال البهلول : ولو استقصينا ظلمه لجمعنا من ذلك شيئاً كثيراً . انتهى باختصار

ولاية عثمان رئيس الشوھلى

ولما مات عثمان خرج من القلعة حسين رئيس وأخبر الجماعة بموته، فلما أصبح قاموا ذاهبين الى القلعة وقدموا عثمان رئيس أميراً، وجعلوا علي قبطان كاهية وأجلسوا عثمان رئيس على تخت الملك وبايعه الحاضرون . وكان ابراهيم بن المصري المسمى مصرلى اوغلى في المحلة يقاتل ، فلما دخل بمن معه من الجند لم يرض ببديعة عثمان وقال إنما قاتلنا لنزع الملك من أيدي الروم وتمكين الترك منه ، فتابعه على ذلك كور محمد وأجمعوا على بالى شاوش والياً وپهلوان مصطفى كاهية ، وكان ذلك لعشر مضت من شعبان سنة ثلاث وثمانين وألف ، فضى كور محمد ومعه طائفة من الترك وأخرج عثمان وقتله وأجلس بالى موضعه وعثمان هذا شوھلى نسبة لشوھلة جزيرة منقطعة في البحر تجاه خانية ، ثم قتلوا عثمان هذا ونفوا كاهيته على قبطان الملقب قريقوا في سفينة كانوا أعدوها لاستبدال من بدرنة^(١) من الجند عند الحاج محمد باي ، ثم بدا لهم فبعثوا له رسولا فقتله بالجزيرة التي بالمرسى

ولاية بالى شاوش

ولما استقر بالى على تخت الملك وقعت بينه وبين سيدي عبد الحفيظ بن سيدي محمد الصيد وحشة كان سببها كثرة توجه الشيخ اليه في الشفاعة فيمن يريد البطش بهم فاتهمه ، فخرج الشيخ من محله إلى جربة . ولما تم له الأمر جهز أسطولا نحو خمس سفن إلى الجهاد وكان قائده مصطفى الكبير الاستنكولى -نسبة الى

(١) درنه معربة عن « درنيس » مدينة بساحل برقة وتقع في الجنوب الشرقى من بنغازي على مسافة ٣٣٣ كيلو مترا يفصلها الجبل الاخضر وحولها سور ومنظرها جميل جدا وضواحيها غاية في الحصوية . وبها عين ماء غزير عذب تسقى بساتينها ، وفيها من الموز والبرتقال والعنب أجوده وقدم الاميرال الفرنسوي غنوم بان ينزل فيها جنوده وقت ان اغار الفرنسيون على مصر فلم ينجح . وقد احتلتها الممالك المتحدة بأمريكا في القرن الماضى ثم اضطرت لاختلاطها لردامة مناخها . ا هـ من التبيان

استنكوي- و ابراهيم مصري أوغلي وعمر قاز داغلي ، وأحمد رئيس درغثلي فأخذت سفنهم سفينة حرب لبعض أجناس النصارى على جزيرة كربة - وهي جزيرة بين رودس و^(١) ورجعوا قافلين ، و كان ذلك سنة ست وثمانين وألف فلما دخلوا مرسى قصر أحمد من مصراته^(٢) أخبروا أن بالي شاوش توفي مريضاً وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ست وثمانين وألف

ولاية مصطفى بهلوان

وتولى موضعه مصطفى بهلوان وجعل كاهيته سليمان توكتميلي - نسبة لتوكله بلد كبير من عمل قار دنقز تحت ولاية صاحب القسطنطينية به من أنواع الخيرات والشجر والحيوانات ما لا يحصى ، جمع من أنواع بني آدم أصنافاً مختلفه الأديان وشيئاً لا يحصى كثر من كل ، ومنه يجلب الساج والخيرات الى القسطنطينية . ومنها يتفرق الى سائر البلاد - فلما سمعوا بذلك أضمر الرؤساء عدم بيعته ، وكان قد مضى لبيعته قبل دخول السفن عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعة عشر يوماً ، فلما دخلوا أظهروا خلع بيعته في ليلتهم

ولاية ابراهيم مصري أوغلي

و بإيعاز ابراهيم مصري أوغلي على تولى أمر المسلمين والخزانة وتفريق رزق

(١) يياض بالاصل يسع كثنين

(٢) مصراته مدينة من مدن طرابلس الكبيرة ، وهي ذات أهمية في التجارة منذ عهد قديم ، واهلها مشهورون بالعمل والنشاط ، وقد أصبح لها عند الطرابلسيين من الأهمية ما يفنى عن التعريف بها ، وتقع شرق مدينة طرابلس على نحو ١٩٠ كيلو مترا . ولها ثلاثة مراس : « ابو شيفقة - او قصر احمد » . و « الجزيرة » بالنصير ، و « المونوية »

الجند ، وجعلوا كاهيته عبد الفتاح الرميلى . وكان بينه وبين بالي شاوش قرابة . وكان بالي في حياته نقض ما كان من صلح بين الانكليز والأمير عثمان . ولما تولى ابراهيم المذكور الامر استمر على ذلك الفساد ، وجهاز من أسطوله ست سفن وتوجهت نحو الاسكندرية فأصابوا ثلاث سفن للانكليز موسوقة ببضاعة ثمينة .. فدخلوا الاسكندرية وباعوا غنائمهم وأظهروا ما للسلطان على حدة ، وكان ابراهيم مصري أوغلي أزم العسكر أموراً شرعية ضيق بها عليهم ، منها عدم خلق ذقونهم تشبهاً بالمجوس ، ومنها عدم لبسهم الحرير والذهب ، ومنعهم من المجاهرة بالزنا والخمر ، فاضطغفوا ذلك عليه فظن بهم شراً ، فأرسل معهم طليعة يأتيه بخبرهم وهو أذن حسن شاوش الرميلى

ولما قفلوا من ذلك وأجمعوا على خلع بيعة ابراهيم مصري أوغلي وبايعوا مصطفى الكبير الاستنكويلى - نسبة لاستنكوي - جزيرة بها عدة قرى تجاه كارباغ لار ومعناه بالتركية البساتين السود - سميت بذلك لكثرة ما بها من العنب والاشجار ، وهي على ساحل الاناضول ، ومعناه بر الاسلام ، كما أن الروميلى أرض الروم ، وكتب الطليعة كتاباً لابراهيم المذكور يخبره بما فعل الجند من خلع بيعته وأرسل به رسولا في البر ، فقدم عليه في مدة قليلة فقرأه وعزم على الخروج من البلد ، وكان له ابن ولاء أمر المرعى فاستشار كاهيته في أمر الخروج فأشار به ، فدبر لذلك حيلة . فأظهر ابراهيم أن ابنه فسق وارثكب ما لا يليق من الزنا والظلم مما نهى عنه غيره وأظهر للجند أنه يريد نفيه ، فاجتمعوا بمحل الندوة - وهو بيت معد لسكنى الجند تجاه الداخل من باب هواره يعني قفاه (١) - ومفتحه تجاه القلعة للاحية الشرق بسوق الخضرة ، وقد بنى الآن جامعاً على يدي أحمد

(١) يريد خلف الباب ، ويقضى وصفه انه يقع على شمال الداخل

باشا قرملی ويسميه الجند : الاوض لار ، ومعناه بالتركية جمع الديار ، فراسلوه يشفعون عنده في عدم نفيه فأبى ، فأجابه الجند لذلك وأرسلوا من أخذه وبلغه لسفينة بالمرسى لعمر المرتشو المصرائى كانت بالمرسى متوجهة الى الاسكندرية . وأخذ في بحث أثاثه من داخل القلعة ، ويخرج الصناديق مملوءة مالا والقتال شبه العوين^(١) وهي مملوءة قداماً حتى أفرغ الخزانة وأوصل ذلك للسفينة والناس في غفلة من هذا ، وكان يومئذ مشتغلاً ببناء البرج الشرقى الذي بساحل البحر المعروف ببرج الشعاب اليوم وبناء المرسى ، فلما قضى وطره من الخزانة أظهر أنه يريد النظر في بناء البرج ، فأعد خيله وأسرجها وخرج برأ وأمر الكاهية ان يركب شينياً ويأتيه في البحر ففعل ، فلما اجتمعا بالبرج لأمه الحاشية على ما فعل بابنه فأبى عليهم ، ثم ركب الشينى ومعه خاصته ، فلما دخل السفينة أمرها بالاقلاع فأقلعت وأخبر فوتية الشينى بما فعل الجند من خلعهم بيعته بالاسكندرية ومبايعة مصطفى الاستنكوبلى وكان ذلك ضحوة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من المحرم سنة سبع وثمانين وألف ، فرجع الشينى وأخبر بذلك فغاظ ذلك أهل البلد والجند وتكدر عيشهم

ولاية ابراهيم شلي انبلى

ثم أجمع الجند على بيعه ابراهيم شلي أنبلى - نسبة لأنبل مدينة بأرض المورة كثيرة الخير واسعة الخصب - وجعل كاهيته أحمد باي أندرلى - نسبة لباي أندر قرية من عمل أزمير - فما مضت على بيعتهم الا خمسة أيام حتى قدمت السفن ، وكانت تلك السفن جمعت جلّ العسكر فراسلهم الجند الذين بها بأن ابراهيم مصرلى

(١) زاد المسافر ، كانه مأخوذ من المعونة ، لاستمانه للسافر به ، ومعناه انه يخرج القلال موثقان بها زاد السفر وهي مملوءة ذهباً وقضة

أوغلى هرب وفعل ما فعل فكذبهم أهل السفن وأرسلوا رسلا من جهتهم ليعاينوا الامر ، فلما عاينوا صدق الخبر نزل العسكر على عين الفضة^(١) ، فقال مصطفى البلديها وال غيري بايعه أهلها وأنا لا أريد شغل الناس ، فأجبره الجند الذين معه على ذلك ، فاشترط عليهم شروطاً إن التزموا بها أسعفهم وإلا فلا ، منها تنقيص رزق الجند الثلث وكان رزق الجندي في كل يوم نصف ريال فنقص له ثلث ذلك ونصف سدسه وهو قراميلان ونصف القرميل ، والتزموا بذلك ، فصار رزق أعلى الجند أربعة قراميل في اليوم لا يزداد عليها وإن علا ، وكل قرميل عشرون عثمانياً فلو ساً صفاراً من نحاس إلا رئيس كبيرة السفن المسمى قبطانا فان له ريالاً وربعاً في اليوم رزقا ولمن تحته المسمى بترونة ريالاً كاملاً ولمن تحته ريالاً الا ربعاً ، وهذا بشرط أن تكون سفنهم أسطولا لاشواني ، فوافقوه على ذلك ودخلوا البلد وأخرجوا الأنبيى والاندلى من التخت وأبقوهم في مناصبهم لكبر سنهم واستقر عليه مصطفى لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثمانين وألف

ولاية مصطفى الكبير الاستكولى

ولما استولى على البلد والخزانة ووفواله بما شرط وكان من شرطه عليهم أن يتصرف في مفسد الجند من غير ترؤ ولا مشورة في شأنه فتصرف في الكثير منهم بالقتل ، ولم تكن له عشيرة يأوى إليها ، وعظمت هيئته على الجند حتى إنه يبعث للعصابة من الجند رجلاً من طرفه وهم بأسلحتهم فيأخذهم وينفيهم حتى نفى منهم في يوم واحد ثلاثمائة . وكان مصطفى هذا رعوفاً بالرعية محباً لاهل البلد لا يحب من يسعى إليه بشر في الخلق . أسقط عن الرعية بعض الوظائف

الخنزني المرتب من عشور وغيرها

ولما عاد ابراهيم المصرلى أوغلى الى البلد من القسطنطينية صحبة محمد بن مراد الحفصي والياً على البلد من قبل السلطان محمد وصحبته ثلاثة مدافع نحاس ، خرج الرعية وأهل البلد لرسول السلطان وكادوا يمزقونه محبة فيه ، وأخذوا المدافع وتركوه رجع مع الحفصي لتونس . وكانت ولاية مصطفى عاماً كاملاً وثمانية أيام وكانت وفاته غرة صفر سنة ثمان وثمانين وألف مريضاً بالطاعون

ولاية عثمان وكيل الخرج

ولما مات بايع الجند رجلاً كبير السن يقال له عثمان علجاً لبعض الجنود الجزائري كان بيده تفريق عيش الجند المفروض لهم ، وبينه وبين الاسطى مصطفى العلج قرابة ، واستقر أمره بالبلد عاماً ثم مرض فمات في ربيع الاول سنة تسم وثمانين وألف

ولاية آق محمد الحداد الاناضولى

وبايع الجند آق محمد الحداد الاناضولى في الشهر المذكور . وآق لقب بالتركية معناه الابيض ، واستقر على تخت الملك سنة ستة أشهر ، وكان سيء الخلق رديئاً ، راكباً هواه جباراً ، وفي أيامه كان بالبلد باشا من قبل السلطان يقال له خليل أرئود نسبة للقبيل المشهور بأرض الروم ، وهم عرب في الاصل من غسان تروموا بالمجاورة و سبب نقتلهم من أرضهم على ما ذكر غير واحد أن ملكهم جبلة بن الاهيم وفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خمس مائة فارس من قومه بالخليل المسومة والعدد الثمينة والسلاح العظيم وأسلم بمن معه، وسر بهم عمر رضي الله عنه سروراً

كثيراً . وافق مع ذلك أن خرج أمير المؤمنين للحج فخرج معه جبلة بن معه .
وقدموا على مكة وتعلم المناسك فطاف فزاحه رجل فزارى فيه ، فوطئ* الفزارى
برده فلقطه جبلة بكف ، فرفع الفزارى به الشكاية الى أمير المؤمنين ، فأحضره
وأخبره بما قال الفزارى فأقرّ به وطلب أن يرضى بما أحب ، فأبى عليه الفزارى
إلا القصاص ، فقال : أنستوى يا عمر ؟ فقال الاسلام سوى بينكما فطلب الامهال
فأمهله عمر برضاء خصمه ففر بن معه من ليلته ولحق بقيصر وتنصر وأقطعه وقومه
أرضهم المعروفة بهم الآن بالروميلي ، وأقام قيصر جبلة بالقسطنطينية ، وأجرى
عليه جرايات واسعة وأتخذه بتمحف لم يُر مثلهما ، ولم يزل بها الى أن قدم رسول
عمر يدعوه قيصر الى الاسلام ، فأدخله قيصر عليه فرأى ملكا عظيما ، وسأله جبلة
عن عمر وحسان بن ثابت ومن له به معرفة من الصحابة ، فلامه الرسول على ما فعل
فأظهر له الندم عليه وأنشده لنفسه :

تنصرت الاشرافُ من عار لطمه	وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
يعنفني فيها لجاج ونخوة	وبعت بها العين الصحيحة بالور
فبايت أُمي لم تلدني ولينتي	رجعت الى القول الذي قاله عمر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة	أجالس قومي فاقد السمع والبصر
وياليتني أرعى الخصاص بقفرة	و كنت أسيراً في ربيعة أو مضر
أدين بما دانوا به من شريعة	وقد يصبر العود الكبير على الدبر

فقال له الرسول هلم ترجع ، فقال بشرط أن يزوجني عمر ابنته وأن يكتب
لي العهد من بعده ، فرجع الرسول وأخبر عمر بذلك فالتزم عمر بالشرط فلما عاد
مات يوم دخوله مدينة قيصر وبقي قومه بارضهم . ومنهم اليوم مؤمن وكافر
وقد طالت أيام خليس في البلد وليس له تصرف بسبب حجر ولادة العسكر
على واليها من قبل السلطان ، فتاقت نفسه الى القيام ليستقل بالتصرف ، وكانت بينه

وبين ازن احمد كاهية آق محمد الملقب الدباغ وعلى قبطان نيكشالى -نسبة لنيكشة
 بالتصغير قرية صغيرة على شاطئ البحر من أرض المورة قد أحاط البحر بها من
 ثلاث جهات ويدخل لها على قناطر ، وأهلها يشربون من ماء السماء ولا الآبار بها
 وانضم اليهما محمود خازن دار كان علجاً بلفسيان أسلم وحسن اسلامه ، دلت على
 ذلك آثاره ، بنى من المساجد نحو الخمسة بداخل المدينة وخارجها منها المسجد الذي
 بقصر أحمد بالشرق منها وهو مسجد حسن متقن الصنعة ، ومنها المسجد الذي غربي
 الزندانة الكبرى بمقربة منها بحومة أولاد نويز ، وسليمان داي المعروف
 بصفر داي ومصلى العيد الذي بازائه وغيرها ، ودبروا حيلة جمعوا بها الناس
 عليهم ، فجمع كل منهما من يأوى اليه من أولاد البلاد ، فاتفق معهم جماعة منهم
 ومعه ولد الفقيه الصالح سيدي احمد بن عيسى وتعاقدوا على ليلة يكون بها قيامهم
 ووافقهم الجند على ذلك ، فاتفق رأيهم على عقد مجلس بمحل ندوتهم الاوض لار
 وأن يعمشوا لآق محمد ليحضر عندهم ويعقبه خليل على القلعة ، فلما خرج ليحضر
 صاح به أحد الناس إن خليلاً سيمقبك على تختك ، فرجع بمن معه وضرب بعض
 الجند خليلاً بججر كاد أن يرميه من على فرسه ، فرجع خليل واتصل آق محمد
 بالقلعة واجتمع اليه أكثر الجند ، وفشى أمر قيامهم بالبلد ، ووشى بمن فيها من
 أولاد البلد لآق محمد فبعث في طلبهم ابنه في جماعة ، فأول ما بدأ به أن هجم على
 بيت الفقيه سيدي احمد بن عيسى يطلب ابنه وكان ذلك بعد أذان الفجر ،
 فوجدوا الفقيه أخذ الابريق يتوضأ ، فنزلوا من سطح البيت وبحثوا على الولد
 فلم يجدوه ، فأخذوا الفقيه حتى أحضروه بين يدي آق محمد فوبخه وأراد البطش
 به ثم حاه الله فأمر بربطه وربط .

وكان محمد سيء الخلق قبيح المنطق ، وظفر بنحو الثمانية من أبناء البلد
 ممن وشى بهم اليه فقطعهم من خلاف ، الا اثنين احمد الحامدي ومحمد المراتب

الفراس اليها فأخبر أهل مرزك بدخوله سببه فخرج النجيب بما تيسر له من الجند فالتقى الفريقان بدليم - قرية صغيرة بينها وبين مرزك نحو ست ساعات أو خمس - واقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الهزيمة لمراد عليهم وقتل النجيب واستأمن إخوته ، وقاتل ابن أخيه علي عند أبيه لما أئخنته الجراح وكسر حتى ماتا ، وجرح محمد الناصر وأئخنته الجراح . وكان مراد أو صاهم عند اللقاء ألا يضره ، وتوعد من يضره بالقتل ، فلما أئخن مسكوه ورققوا به ، وقدموا مرزكاً واستولى على خزانها فألقى فيها من المال كثيراً ، وطبيب الناصر وأظهر الأسف عليه ، وبعد سبع من دخوله ولاه البلد وأقام بها واحداً وعشرين يوماً ولم يغير على التجار والرعايا بشيء لا متلاء يده بالخزانة ، ثم ارتحل عنها ، وأسقط عن الناصر خراج ثلاث سنين الى أن يستقر حال البلد

ولما وفد على طرابلس من سفرته تلك وعظم أمره وكان في نفسه من حسن شيء تأقت نفسه بخلع بيعته وكان يسكن بالمدشية خارج المدينة ، فراسل العسكر الذين بداخلها بخلع بيعة حسن فأجابوه لذلك ، وراسلوا حسناً بذلك وهو بالقلعة فألقى السلاح ، وكان منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وألف ونفوه الى جربة

ولاية يريك محمود

وبايعوا رجلاً منهم يقال له يريك محمود يومين ، ويترك بالمشاة التمتع المضمومة بعدها لام مضمومة وكاف بالتركية مجرى الماء

ولاية علي الجزائرى

وبايعوا علياً الجزائري - نسبة لمدينة الجزائر بأرض المغرب لثريته بجندها وهو روميلي الأصل - لثلاث عشرة بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، فكث لتدبير الأمر سنة وثمانية عشر يوماً ، والغالب على الأمر مراد باي وأحكامه نافذة في البر والبحر ، وله أعوان من الجند ورؤساء وغيرهم ، فمن الرؤساء حسين قبطان الملقب كلايجى - نسبة لصنعتيه وهي تلبس النحاس القصدير - وكلاي بكاف مفتوحة بعدها لام بعدها ألف لينة وياه تحتية آخر الحروف بالتركية القصدير ، ومراد الفوشلي - نسبة لغوشة قرية بالأناضول ، بلاد فلاحه ، وبها أجنة كثيرة الخصب بينها وبين أزمير نحو العشرين ميلاً ، وبها بشر ماؤها يشبه الثلج في كل الفصول بخلاف غيره من آبارها ، ويسميه أهل البلد بماء الثلج فيقولون : كرتل سُي ، وكرتل بكاف مفتوحة بعدها راء ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة بعدها لام ، بالتركية الثلج ، وسُي بسين مضمومة وهزة مكسورة ، بالتركية الماء ، إلا أن لفهم تقدم المضاف اليه على المضاف ، وماؤها عذب مفرط العذوبة - فلما تم عامه أراد مراد وأعوانه خلع بيعته واجتمعوا ليلاً على خلعه ولم يكن له علم ، وأعلموا أهل الديوان بذلك ، فلما أصبح وجلس للحكومة جاء مراد وأصحابه والديوان ومعهم عبد الله الازميرلي - نسبة لازمير مدينة عظيمة بالأناضول كثيرة الخصب والتجارة برآ وبحراً ، ويجتمع فيها خير البرين الأناضولى والروميلي ، وتجلب اليها الخيرات من كل الاراضي والبضاعة الثمينة والجواهر ، ومنها تجلب الى القسطنطينية ومصر ، وافريقية ، وطرابلس وغير ذلك من بلاد الروم - فأخذوه وهو على كرسي الحكومة ونفوه الى بلاد الترك وكان ذلك يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة خمس وتسعين وألف

ولاية الحاج عبد الله الازميرلي

وأجلسوا الحاج عبد الله مكانه وبايعوه في ذلك اليوم وتولى الخزانة وتفريق رزق الجند ، وتصرف في الولاية والعزل بمشورة مراد عامين وتسعة أشهر الا إحدى عشر يوماً ، وفي أيامه سنة ست وتسعين وألف أو آخر جمادى الآخرة أتى الافرنج ^(١) بالبونية لأخذ البلد ورموها بالمدافع وكان عبد الله هذا ضعيف النكاية أصغر الفؤاد والغالب على تدبير أمر المدينة وعبد الله ومراد بنو فسلوم يزليتين : عمر ومحمود ، فحضر عندهم أعيان البلد : عبد الله الرجبي وبنو المكّي وغيرهم من الأعيان ، واتفق أمرهم على أن يعطوا مالا للافرنج ويكفوا عن الرمي فردوا الامر على عبد الله فوافقهم ، وكانوا أتوا البلد على حين غفلة من أهلها ، ثم ردوا الامر على مراد فأبى عليهم فراجعوه فدعاهم رأيا هو أنكم تتركون البلد وأنا أبقي لكم مدينة بالماني ^(٢) عظيمة القدر أحسن منها لا يلحقها أذى الافرنج ، وأستعمل لغزوم أسطولا ويكون بناؤها من مالهم ، وفعلتها ^(٣) ، فأبوا عليه وألحوا فوافقهم على ذلك وقدروا ما أعطوه على دور البلد

ولقد أخطأوا ، وملشأ خطاهم استبدلهم الحياة الدنيا بالآخرة فأهانوا البلد بتلك الفعلة ، فن يومئذ تقوى أمر الافرنج في البلد وعلا شأنهم ، واشترطوا في صلحهم ذلك أمورا لا يلتزمها مؤمن يوقن بقاء الله ووعدده ، منها دخول طاعيتهم كأننا ما كان بنعله على ملكها يطلأ بها بساط ملك خليفة الله ورسوله في الارض ومشى كبيرهم شاهر سلاحه بين يدي الملك ، وأن لا يحاكموا مسلماً في خصومة

(١) حكومة اسبانيا

(٢) موضع يبعد عن مدينة طرابلس الى الجنوب الغربي بنحو ساعة

(٣) هذه الكلمة غير مفهومة وبعدها يياض يقسم لكلمة

الى الشريعة المطهرة وإنما تكون الحكومة بدار كبيرهم . أيقظ الله لهم ملك الاسلام وأعانه حتى يردم الى الصغار . وكل هذا ومراد خارج المدينة وكان مراد يستقبح فعل الاثراك وتجهيرهم وأذيتهم ويكره محاربي الاعراب فلذلك كان لا يستقر بالمدينة الا قليلا ، أذهب شوكة بني محمود بن طوق بن بقية (١) ، واستعان عليهم بمنصور بن خليفة الترهوني وفرقهم في البلاد شغل بئر حتى راودوه على الاتاة فلم يرض واستعان على طغاة الاثراك بمراد الفوشلي صهره وحسين قبطان كلايجي حتى ردم لرجعاء أهمهم ، ثم أراد المكر بهما فاحتال على مراد الفوشلي وكان بترهونه ، واستعان على ذلك بحسين كلايجي وعبد الله داي وبني فشلوم وراسلهم ببعثه اليه فوجهوه اليه مع رسل منه ، فلما خرجوا به وأبعدوا قتالوه قبل وصوله اليه وكان اذ ذاك نازلا بعين تسمى عين الوزغة بأرض ترهونة ينزلها جابي عشورهم ، ماؤها عذب على مرحلة ونصف من المدينة ، ولما بلغه الرسل قتلهم مراد وراسل بني فشلوم وعبد الله في بعث حسين كلايجي ، فاحتالوا عليه حتى حضر عندهم فمكثوه من رساله بكرة وخرجوا به ، فلما مر بالمقبرة التي هي خارج باب المدينة تجاهة المروقة بالشيخ حموده وجد بعض الجنديها ، على عادة أهل البلد في خروجهم ضحوة لذلك المحل يستروحون ويشتررون ما يحتاجون اليه من حطب وقبن وغنم ، فصاح بهم الكلايجي مستغيثا فافتكوه من أيديهم بالحجارة وأدخلوه المدينة وغلقوا بابها وكان ذلك لخمس عشرة بقين من ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وألف ووافقه الجند وخلصوا بيعة عبد الله وقتل ابني فشلوم : عمر ومحمود ، وأمر بوضع رأسيهما على حربتين خارج باب المدينة ليراهن نصرائهم خارج السور فيكفوا عن نصرة مراد ، وحبس عبد الله داي وكان ذلك لست بقين من ربيع الاول من سنة ثمان وتسعين وألف

ولاية ابراهيم الترمزي

وفي ذلك اليوم بايع الترمزي ابراهيم وتبعه الناس على ذلك، وراسل المحاميد الموتورين من مراد فأصبحوا عنده يطلبون ثأرهم، وأخرج الجند لقتال مراد خارج المدينة وجعل قائد الخيل ورئيسهم محمد الملقب صكال دلسي - وصكال بصاد مهملة بعدها كان مفتوحة وألف لينة بعدها لام معناه بالتركية شعر اللحية ودلسي بدال مهملة مفتوحة ولام وسين مهملة مكسورتين معناه بالتركية قلة العقل - والتقى الفريقان برقوقب تاجوراء، وهوتل ينبت الديس والمرعى كثيراً به مزارع لاهل المدينة وتاجوراء . فكانت الوقعة على مراد لمحمد ظفدان من مع مراد من الاعراب له ، شبليتين وغيرهم ، واستولوا عليه وقتلوه وأكل بعض الجند من لحمه ، وبقي ابراهيم الترمزي متولياً أمر الخزانة - والغالب على الدولة حسين كلابجي - سبعة أشهر فلما تمت له تلك المدة خلع حسين بيعته وتابعه الجند وكان ذلك أواخر ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وألف

ولاية محمد باي الامام

وفي ذلك اليوم قدموا محمد الامام فبايعوه وهو قاز داغلي النسبة ، وتولى الخزانة وتفريق رزق الجند والغالب على الأمر حسين ، بحيث لا يُصدر قسراً ظاهراً أو باطناً إلا عن رأيه ، وأقام على ذلك سنتين ، فلما تمت سنة مائة وألف تجهز حسين للسفر مجاهداً في خمس سفن كبيرة يفضل بعضها بعضها وكان ذلك في عشرين من جمادى الآخرة سنة واحد ومائة وألف ، فما مضت لم مدة حتى اتقوا بسفينة العدو موسوقة ملحاً فأخذوها وقفوا راجعين ، فلما كشفوا بر

« يزليتين » أرسلوا طريدة (١) للبر ليأخذ لهم علم ما حدث بعدهم ، فأخبروا أن محمداً الامام استعمل كبير الخيل المسمى ببا احمد الفرطاس الاناضولي ، فوقم في نفس حسين شيء من اقدامه على ذلك من غير مشورة

وسبب اقدام محمد الامام على ذلك أنه عرضت له حاجة عند حسين قبل سفره فبعث اليه فيها فأبى عليه ، ثم راجعه فيها بنفسه فقضاها حسين حياءً ، وطلب منه محمد كتاباً بذلك فاستعجل عن أمر الكاتب به فدفن الختم لمحمد الامام وأمره ان يكتب بنفسه نختم الكاغذ ومضى ، وكان حسين قبل أن يسافر فرق رزق الجند عليهم وأعطاهم خمسة ريالاً لكل ، فطلبوا الاتمام فأبى عليهم ؛ وتعلم لهم بضيق ذات يده ، ووعدهم باعطاء ذلك ان قدم . فلما سافر كتب محمد الامام على لسان حسين فيما ختم من كاغد خطاباً لمحمد الامام أن يجعل رزق أعلى الجند اثني عشر ريالاً ، فأوغر بذلك صدور الجند عليه حتى وافقوه على قتله ان قدم ، وفعل ما فعل من التولية من غير اذنه ، فلما رثيت السفن بعث الى أهلها محمد الامام يطلب حسيناً كلا يجي ومن وافقه من الرؤساء الذين معه ، فان سلموا له ما أراد والا ذهبوا أين أحبوا وكان من طلب معه مصطفى شرك - بضاد مهملة مكسورة وراء مفتوحة وكاف - لقب لمصطفى معناه بالتركية شجر السرو لقب بذلك لطوله في استقامة ، وابراهيم صنفجكي - نسبة لصنفجك بضاد معجمة مكسورة وغين مفتوحة وجيم مكسورة وكاف ساكنة - قرية على ساحل البحر بمقربة من قارباغ لا . فانفق الجند الذين بالسفن على تسليمهم ، وأعلموا بذلك محمد باشا الامام ، فأرسل من تولى قتلهم فكنوهم من ذلك وقتلوا بالجزيرة التي بالمرسى (٢) وأخذوا رؤسهم ودخلوا بها المدينة ، وأمر محمد بوضعها بأزاء رأس ابن كنبانة ، وكان قد قتل يومئذ ، وكان وضعها على أعلى البرج المحاذي لباب هواردة على يسار الداخل من

(١) اي سفينة

(٢) وقد دخلت بعد الاحتلال الايطالي في مرفأ المدينة ولم يبق لها اثر

جهة الغرب ، فلما ظفروهم استقل محمد الامام بالملك ، وعزل احمد الفرطاس عن رئاسة جند الخليل وولاه الحاج عثمان الاناضولي مدة ، ثم عزله عنها وولاهها كنعان ، وكان كنعان هذا علجاً يجيد العربية لانه ربي بأرض المشرق وأقام بها مدة وبمقره من استقلال محمد الامام بالملك حركت مصطفى شرباني همة طامع بيعة الامام محمد ووافقه على ذلك بعض الجند ، فلما أحس بهم خليل قاز داخلي تسليح ودخل عليهم وقتل مصطفى وبعض من وافقه ، ولم يكن لمحمد الامام علم بذلك ، فلما أخبر بذلك سرّاً بذلك وقرب خليلاً ، وأركبه أسطولا للجهاد ، وأخذ يفزو فأصاب غنائم ، وعقد له محمد الامام على ابلته زينة ، وقبل دخوله بها حركت محمد الامام همة لنقض الصلح الذي كان فعله عبد الله وأصحابه بنو فشلوم مع الافرنج فنقضه ، فلما بلغ ذلك ملك الافرنج وجه الى البلد أسطولا نحو الخمس عشرة سفينة كبيرة ومعهم البونية ، فأتوا البلد ليلة بقيت من رمضان سنة اثلثين ومائة وألف واشتغلوا بالرمي على البلد ، واستعد الناس لهم ، وظهرت شجاعة محمد الامام وحزمه حتى كان يطوف على الابراج بنفسه ، ولم يعتمد على أحد ويعد الرماة بالعتاء الكثير فرمى بعضهم هوان البونية بكرة فتفرق الهوان فقتل ممن حواه من النصارى نحو الخمسة عشر وتأخروا فلم يفد رمية فيها شيئاً ورجعوا خائبين فلما رجعوا للملكهم وأخبروه بعدم إفادة رمية لها جهاز أسطولا كبيراً لأخذ سفن الجهاد بالمدينة المذكورة ، فاتفق أن التقى أسطوله بسفيلتين من سفن الجهاد بالمدينة المذكورة رئيس إحداها خليل المذكور فجاهدتا جهاداً كبيراً لم يعهد مثله حتى لم يبق لهما من الذخيرة شيء فأمروا من وجدوا بهما حياً ، وكان فيمن وجد حياً خليل مجروحاً شماله معدومة . وأقلعوا نحو بلدهم ، وراسلوا محمد الامام بالصلح فكان أخذ خليل سبب صلحهم ، فالتقى الصلح بينهم وبين محمد باشا على أن

جعلوا فداء كل من المسلمين والنصارى مائة وخمسين ريالاً ، ويقابل الرجل بالآخر
فمن زاد عنده أسير أعطي ذلك ولم ينقصوا من صلحهم الاوّل شيئاً . فكانوا
يدخلون عليه كما كانوا يفعلون من قبله ، غير أنه لقوة إيمانه لم يدخلهم محلا به
فراش يطلونه بأقدامهم المنحلة قط

وطالت أيامه وغلبه على أمره قواده والترك ، فكان القواد يغرونه بمنصور
ابن خليفة لما كان منه من إغاثة مراد ، فكان يغض من حقه ، فتوحش منصور
من ذلك وامتنع من المثل بين يدي محمد الامام ، وبلغته منه أشياء استغلظها
وكرها ، فجمع أمره واستشار أرباب دولته في تجهيز جند إليه فلبوا أمره ، فشرع
في تجهيز الجند ، فبعث إليه جيشاً كبيراً فيه عامة قواده ورؤساء أخبية عسكرة ،
وكان قائده يومئذ يوسف بك وانضم إليهم أكثر العربان لعلو نفس منصور
عليهم . فلما بلغ منصوراً الخبر فرأى أمامهم متوجهاً لأرض برقة فلقى بنجم سرت
واصراها بتاورغاه وتوجه معهم ، فلما نزل محلا يقال له أم اللجن^(١) بين تاورغاه
والهيشة على مسافة ساعات من كل لناعية الجنوب من تاورغاه ولناعية الغرب
من الهيشة . وهما بلدان لناعية الجنوب من مصراتة وبين تاورغاه ومصراتة أقل
من نصف مرحلة ، وهو بلد متسع الساحة ليس به نبات ولا شجر إلا النخل وبه
منه ما لا يحصى كثرة وهو أنواع مختلفة ، وبه عين ماء عذب لا نظير له في
القوة ومنه تنفجر أنهار تاورغاه . والهيشة بلد صغير بين القبلة والجنوب من
تاورغاه وكل منهما في أرض سبخة لا تلبث سوى النخل ، ويسقى نخلاهما من
العيون ، غير أن عيون الهيشة صغيرة قليلة النعم عكس تاورغاه
ولما التقى الفريقان بذلك المحل كانت الواقعة لمنصور عليهم وقتل من رؤساء

(١) وهي شعاب اذا جاء المطر يصب ما يجمع فيها من ماء في وادي زمزم بطرابلس

الجند والقواد كثير، وفي تلك الوقعة مات رجب قصبة، ولما وقع رجب عن فرسه أحضر بين يدي منصور ابن خليفة مكشوف العورة فاستغاث به فلم يفته وبأشر قتله بنفسه، وهذه الفعلة منه دلت عن صغر نفس. وكان إيتساعه بهم سنة ثمان ومائة وألف بأواخر رجب أو في شعبان

ولما بلغ محمد باشا الخبر اغتم لذلك غمًا شديدًا وعزل يوسف عن قيادة الجند وولاهها خليلًا يوم الجمعة لست بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة، وبني بزموبة، وطنى منصور وتجير، وأكل مواشي الرعايا وأفسد زروعهم وتوجه إلى أرض برقة، وأرسل الأمير محمد باشا إلى عامله على الجبل الأخضر محمد بن محمود ليأخذه، فجمع من جنده من أهل البلدين: درنه وبنغازي ممن ولد بهما من مصراة ويزليتين وبني الجند المسمون القول أو غليه، وأضاف إليهم أعرابا أطاعته من أهل الجبل الأخضر: جبارنه، وبراغيث، وأولاد برعوص، وأولاد على. فاجتمع عنده اثنتا عشرة مائة فارس وتوجه إليه، وبعث الأعراب المذكورين طليعة، فالتقي الفريقان ببرقة فهزمهم منصور حتى بلغت هزيمتهم أخبية محمد باي ومن معه من جند البلدين، فردوا عليه وهزموه هزيمة منكرة حتى أفاتوه أهله واستولوا على خريجه ولم ينج منه إلا ذود أبل، فرجع إلى وطنه واجتمع إليه من أخوانه وأصحابه ورجع لما كان عليه. وثار بينه وبين عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي حروب أدت إلى موته وذهاب شوكة أعوانه، ومات سنة تسع ومائة وألف على يد عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي ومن انضم إليه من أولاد عبد الرحمن الجبالي وأولاد زيان وأولاد سلطان التاورغيين، وبني معدان وأولاد الجند من أهل مصراة في أرض تسمى «قرارة ابن جدي» بالصغير محل حرث لأولاد على العائم بين يزليتين ومصراة، مساقها من كل نحو ثلاث ساعات، ومن مصراة بين الجنوب والغرب

وفي أيامه سنة احدى ومائة وألف امتنع الناصر صاحب فزان من اعطائه الخراج وأعجب بكثرة هاديه وحاضره ، فوجه إليه جنداً كبيره يوسف بيك ومشى على جهة تاورغاء حتى نزل على مركز ، فخرج له الناصر واقتتلوا قتالا شديداً خارج البلد ، وكانت الوقعة ليوسف على الناصر ، وكانت في اليوم الثاني للناصر على يوسف ، وفي الثالث تكافأ

وكان بالحلّة أولاد المكنى : على ومحمد الغزّيل وهم المغرون بالناصر محمد الامام والمحسّتون له الخروج إليه ، فلما فهم يوسف ذلك توقعدهم بالشر ، فراسلوا خفية اخوة الناصر وأبناء اخوته وأكابر جندهم ووعدوا كلا بالملك بحيث لم يدر كل بما روى به الآخر ، فأصبحوا بالحلّة من غير علم من أحد بالآخر . فسطط في يدي الناصر ، وعلم ان ملكه هدّت أركانها ، فراسلهم بطلب الأمان له ولوزيره المسعودي ولمن معه من حاشيته هادٍ وحاضر . فراسل يوسف قاضي الناصر حماد بن عمران وأعطاه الامان على يديه فخرج من قصره حتى أتاهم ، فلما أتاهم دخلوا البلد وتولى يوسف خزائنه ثم لم يوف للناصر وللناس بالعهد ، فعذب الناصر والقاضي وابنه والتجار ، ونهب أموال للناس وهتك حریمهم واستولى على كل من ظن به المال ليعذبه وكان من جماتهم تاجر من برنو

وكل بتعذيب الناس مصطفى البسكري الملقب بأبي خشيم ، وكان شديد العداوة للمسلمين ، فلما رأى ذلك التاجر ما حل بالناس من العذاب بالنار سأل رجلاً بازائه مكتوفاً من أقارب القاضي المذكور يلقب « البجباح » بباء موحدة وحاء مهملّة ثم باء موحدة بعدها ألف لينّة بعدها حاء مهملّة : هؤلاء الخلق نراهم يفعلون هذا أم من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ فزجره عن ذلك خشية أن يسمع منه ذلك من يفهم فيزيدون في العذاب . فلما معهم الموكل بالعذاب يتكلمون سأل البجباح عما قال فأبى أن يخبره فتوعده ان لم يخبره ، فأخبره انه

سأله عن القيامة ، وقال اني لم اسمع بهذا العذاب إلا في زبانية جهنم ، أهؤلاء الزبانية ونحن متنا ونشرنا ؟ ام الزبانية تأتي الخلق قبل موتهم ؟ فلما اخبره بذلك رفع عنهم العذاب وراجع يوسف برفعه وكانت تلك الكلمة سبب النجاة وهذه مثل كلمة بعض أصحاب ابن الاشعث لما ظفر بهم الحجاج بن يوسف الثقفي وجعل يقتلهم عامة النهار ، ولما كان العصر أخرج بعضهم للقتل فقال : ان أسأنا يا حجاج في الذنب فما أحسنت في العفو . فعفا عنهم الحجاج وقال : أف لهذه الجيف ، اما فيهم من قال كهذا ؟ ولكن اين المقام من المقام ١ ؟ ذلك رجل عربي فهم فذاق فعمل

ولما أراد يوسف النقلة عنها أراد أن يستخلف عليها محمد الملقب بالغزيل - بالتصغير - فأخرجاه له كتاب الأمير محمد الامام بتولية محمد الغزيل أرض فزان فانكف عما أراد ، ورحل عنها واستصحب معه الناصر ووزيره السعودي فلما بلغ المدينة سجنهما بها وأجرى عليهما من الرزق ما يكفيهما ، ومكثا بالسجن خمسة عشر شهرا ، منها خمسة [كان] محمد المسكني مقيا بفزان واليا ، فلما تمت الخمسة الشهور قام عليه أهل البلد بعد أن أخرج منها من سلم من أولاد جهيم وحاصروه بقلعتها ثلاثة أيام ثم جرح وهو بها وأنفذت مقاتله ، فلما علم أصحابه ذلك طلبوا الامان لانفسهم فامنوا وفتحوا القلعة ودخلها أهل للبلاد ووجدوا بمحمد رمق الحياة فربطوا برجله حبلا وجذبوه الى خارج القلعة ، وكان وقت ولايته قطع يد رجل من أهل البلد فأحضره وأمره بقطع يده فقطعها ومثلوا به وراسلوا تمام بن محمد ومحمد بن جهيم بأرض السودان فقدموا عليهم وبايعوا تماما وراسلوا محمد ياشا بأنهم التزموا بالخراج فحش أولاد المسكني على الأخذ بنأرهم ، ودبروا معه رأيا وهو ان يرسل النوبة ويجعل واليها عليا المسكني ، ويعين جماعة من الجند شبه تجار حتى يقدموها ويخضع من بها من أولاد محمد وأعوانهم

واستعان بأهل ابن وليد^(١) من اورفلة وأتباعهم ، فلما قربوا من البلد لم تحف حيلتهم على محمد بن جهيم ومن معه من كباراء جنده ، فخرجوا وراودوا تماما على الخروج معهم فأبى عليهم اعتماداً على مراسلة علي وأخيه المصري له بأنهم أتوه بالخلع والتجديد من حضرة الامير محمد باشا وبعثوا له بلقائهم بمن معه من كباراء جنده وأولاد الملوك ، وأمر أصحابه بالتأهب لهم ان قدموا ، فلما منه أن ما احتال به خاف عليهم فخرج لاقائهم تمام وحده ، فلما رأى ذلك سقط في يده فدخل على وأخوه البلد واقاموا بها تماما سنة ويده مرفوعة عن التصرف

ولما بلغ محمد بن جهيم وادي الخرمان بايعه من معه على قتالهم ، وكان على خرج في غازية في أثرهم وليس عنده خبر وصولهم الوادي . فلما نزل بازاء قلعة بالوادي هجم محمد وأصحابه عليهم وأخذوا أسلحتهم ومتاعهم وقتلوا بعضهم ولم يغلت علي الا في نفر قليل ، وخرجوا في أثرهم حتى أدخلوهم مرزكا ، فدخلها محمد بن جهيم وأصحابه ليلا ، وأخرجوا تماما وأحاطوا ببیت علي . فلما أصبح طلب الامان فأعطيه على شرط أن يرد ما أخذ من خزانة الناصر ، فرد ذلك وراسل أخاه يوسف بالقدوم عليه بعد أن أخرجه منها وأخوته الى القصر الاخر بسببه . وكان قتل محمد المصري من البوادي أيامه وولوا رئيساً عليهم جبرا القلغاط السليمانى فحاصروه بالقصر الى أن أدركهم يوسف في خمسمائة فارس من الجند صرف عليهم من نفسه

(١) ابن وليد بلد يقع في جنوبي مدينة طرابلس على مسافة ١٨٠ ميلا وهو بلد بيوتة مبنية بالحجر والطين وتقع على حافتي بحرى ماء يسمى وادي ابن وليد وتسكنه قبائل ارفلة ، ولكل قبيلة فيه قصر يتكون فيه ماثل حله حين اجتماعهم لطلب السكلا وهو قصر وماؤه قليل وأهله يشربون من آبار لا يقل عمق الواحد منها عن ٥٠ باعا ، ولم يكن به من العجرا الا الزيتون ، ويسقى ما يجرى في هذا الوادي من ماء المطر عند نزوله وتحيط به صحراء قاحلة من جهاته الاربع على مسافة يوم تقريبا وبه قتل رمضان بك السويحلى يوم عيد الاضحى سنة ١٣٣٨

فلما قدم بهم طرابلس استخرجوا الناصر من الحبس وكساه محمد الامام
 ووجه اليها واليا ، وولى محمد الامام قيادة جيشه خليلا قازداوغلى ، وكان ذلك
 يوم الجمعة لست بقين من ذى القعدة سنة ثمان ومائة وألف ، وعزل عنها يوسف
 وعقد له على ابنته زينوبة

ولما تولى ذلك كان عبد الله بن عبد النبي تقوت شوكتة وحارب بعد أن كان
 متورعا على طريقة آبائه ، وانتمى اليه أولاد سلطان التاورغيون وكل مفسد منهم
 من الاعراب ، وأغروه بخراب البلدان ونهب أموال الناس ، فحاصر تاورغاه
 ولم يكن من أهلها بها إلا أولاد محرز وبعض أولاد قاضى ققاتلوه قتالا شديداً
 نحو الستة الأيام ، وكان مع أولاد محرز بعض من بنى الجند من أهل مصراته ،
 وكثر عليهم الناس من أعانوا عبد الله بن عبد النبي على الفساد وأحدقوا بهم ،
 فقاتلوا قتالا شديداً وقتل منهم كثير ، وكانت الوقعة لعبد الله عليهم ، فاخرب
 تاورغاه ونهب حريمها ، وتوجه منها الى مصراته فخادعه صاحب أمرها يومئذ
 احمد بن ضيف الله وأظهر له الصداقة وهاداه [وكان] في خلال ذلك يرأس
 خليلا ، وكان عبد الله قبل ذلك نهب بعض بيوت يزيطن وأخرب بلد الفواتير
 ولم ينج الا القليل

ولما نزل بمصراته ورحل عنها خرج له خليل فى شرذمة من الجند حتى
 نزل عليه بوادى حستان - وهو محل حرث أهل تاورغاه على مرحلة منها الى
 جهة الغرب والشمال - فالتقى فكانت الوقعة لخليل على عبد الله ، واستولى على
 أكثر نعمة وحريمه ، وخرج فاراً بنفسه ومن سلم من خيله . وكان ذلك سنة إحدى
 عشرة ومائة والف

ولما استولى عليه عظمت شوكته وهابه أهل النواجم^(١) من سكان البوادي وازدادت هيئته في أعين الجند ، ولما دخلت سنة اثنى عشرة ومائة وألف توجه خليل في محلة جمعت راكب الجند وراجلهم الا قليلا لحراسة الجهة الغربية لما أحس من أهلها من القشوف للغلاف ، وسار حتى بلغ شكشوكاً - قرية صغيرة بسفح جبل نفوسة^(٢) بها قوم مرابطون وأولاد محمود و [أولاد] جارية^(٣) قليلة الشجر بها من النخل قليل ثم رجع حتى نزل بمحل يقال له « غدير عائشة » فأحس من العسكر القيام عليه فظفر بهم في ذلك المحل وقتل أكثر رؤسائهم ، وقفل منه حتى نزل - جبالة - على مسيرة ساعة ونصف من زانزور فبات هنالك ووجه أكثر الجند للمدينة فلما دخلوها قاموا من ليالهم تلك بخلع بيعة محمد الامام وراسلوا من بالقلعة من الجند بمسك محمد باشا ان لم يجهزهم الى الطاعة . فلما علم بذلك أجابهم وفتح لهم باب القلعة ، وكان ذلك ليلة الاربعاء لاحدى عشرة خلون من ذي الحجة سنة اثنى عشرة ومائة وألف

ولاية عثمان القهوجي الدرغوثي

وفي تلك الليلة بايعوا عثمان القهوجي الدرغوثي - كان يطبخ القهوة بسوق

(١) النواجم بلغة الطرابلسيين جمع نجم ، والتجمع طائفة من بيوت الشعر متجاورة في مكان . وفي اساس البلاغة « النواجم : القوم المنتجعون »

(٢) نفوسة بفتح النون وضم الفاء اسم ل قبيلة بربرية كانت تسكن هذا الجبل فسمى بها . وهو يقع جنوبي طرابلس على مسافة ثلاثة ايام ويمتد من الشرق الى الغرب على مسافة ستة ايام وعرضه نحو ثلاثة اميال ، وكان فيه مدينتان عظيمتان : احدهما « شروس » وهي تقع غرب فساو ، وهي غير موجودة اليوم ، والثانية جادو ، وتسمى اليوم « فساو » وهي من اكبر قرى الجبل واحسنها عمرا ، وقد اخبرتها قبيلة الزنتان في حروبهم مع الاباضية سنة ١٣٣٩ . قال في معجم البلدان : وجميع اهل هذا الجبل شرارة وهيبة واباضية . وقد افتتح عمرو بن العاص نفوسة ورجع عمرو بن العاص بكتتاب ورد عليه من عمرو بن الخطاب رضى الله عنه . اهـ . انظر الكلام على شروس صفحة ١٥ ما ش ٣

(٣) انظر الكلام على اولاد جارية واولاد محمود في صفحة ٦٢ و ٦٤

الترك ، فنفى محمد الامام وأهله وأولاده لبلاد الترك ، وتولى هُمان الخزانة وتفريق رزق الجند ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً . وكان فظاً غليظاً ، وفر خليل لتونس ولحق بصاحبها يومئذ مراد بن محمد بن مراد الجبار ، واقام بها مدة ثم انتقل منها الى بلاد الترك واجتمع فيها بصهره محمد باشا ، وتقر شينيا من نفسه وممن فرمعه ، وكان من له به صداقة من الالهراب يكاتبونه وهو بتونس ، وكان ممن كاتبه عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن حموده الجبالى الملقب بأبى طرطور ، فخرج بشينيه عليه

ولاية الحاج مصطفى غليبولى

وقد بايع الناس بعد أربعة أشهر من بيعة هُمان الحاج مصطفى غليبولى أول يوم من ربيع الاول سنة ثلاث عشرة ومائة ألف نسبه لغليبول مدينة على ساحل البحر الأسود من أرض الرميلى ، بلد فلاحه وبها أودية ماء يستقون منها زرعهم ان احتاج ، وبذلك انحصبت جوانبها . واستقر على تخت الملك أول يوم من ربيع الاول من سنة ثلاث عشرة ومائة وألف . وأقام في تدبير أمر الناس وتفريق رزق الجند أحد عشر شهراً ، وفي مدته مع أشهر هُمان اتصل خليل بتونس وبلاد الترك كما ذكرنا وكان نادى بمجمل الريال عشرين قرميلا ليرضى الجند بذلك ، فحصل للرعية ضرر كبير وزاد عليهم في الخراج الثلث وزيادة . اذ قد كان الريال ثلاثة عشر قرميلا ، واشتد على الناس الامر . فلما بلغهم أن خليلا نزل بالزعفران وراسل أباً طرطور وبايعه تشوف الناس للخلاف . وهذا المحل الذى نزل به ، به أحساء ماء عذب لا نظير لها في العذوبة يقوم للحيو ان مقام للملف . واذا خرجت الديدان بأذنان الابل [من] لسم الذهب لها أوردوه

مائه ، فاذا شربته تساقط ما بها من دود ، وهو مشهور بذلك . [وهو] على مسافة أربعة أيام من مصراته يقصده آتية منها بين الجنوب والشرق ولما استقر خليل عند عبد الله راسل الرعية وأخمدانه من العرب والجنند فلم يختلف عليه اثنان الا ما كان من الجنند الذين كانوا مع مصطفى وسعيد بن المنتصر المرموري في شردمة قليلة كان استعان بهم غلبولي على غريان لما خرجت عن بيعته . وكانت خرجت عن بيعته بعد خمسة أشهر منها . فلما أحس سعيد ببيلة الناس خليلا واقبال الرعية عليه واعراضهم عن مصطفى اتخذ يدآ مع خليل وأظهر لصاحبه الاغاثة ، فلما سمع مصطفى بزحف خليل اليه جند الجنند وفرق فيهم عشرة ريالات لكل ، وأبقى في البلد خليفة كاهيته مصطفى شنار ، وكانت عنده مودة لخليل يخفيها ، وظهر ليلقاء بنفسه وراسل خدنه سعيد المذكور ، وخرج الى ناحية غريان يظن أنه يأتيها لما بينه وبينهم حتى نزل « وادي الصمارة » (١) فلما نزل الوادي المذكور بلغه أن خليلا سابقه على البلد من جهة الساحل ، وكان قد وضع بعض الجنند من أعوانه بتاجوراه ، فسبقه خليل عليهم فقتل منهم من استحق القتل ودخل المدينة بواسطة كاهية البلد وأهلها ، وكان خليل قد وعد الجنند باعطاء كل عشرين ريالا جنوبيا وزيادة « تركة » ، ولاتركه عندهم زيادة ربع قرميل كل يوم في الجنند فخذلوا مصطفى ومسكوه وأعلموا خليلا بذلك فبعث به الى تاورغاء فقتل بها بعد الاغاثة على يد محمد بن علاق التاورغي

ولاية خليل باشا

واستقر خليل على الملك يوم الجمعة في ربيع الثاني سنة أربع عشرة ومائة وألف.

(١) يياض بالاصل يسع سطرا ونصفا

ولما تمت له الامور بعث لصوره ودياله سفينة أتت بهم من بلاد الترك فوافق
 دخولهم عليه صبيحة أول ليلة من المحرم سنة خمس عشرة ومائة وألف
 وكان صوره محمد باشا حلياً لين الجانب حسن السيرة لم يتخذ أهواناً لخاصته
 غير عبد زنجي كان له قبل أن يلي الملك ، لم ير مستعملاً لحريرو ولا ذهب ولا
 مرتكباً لمحرّم في غير القانون الخزني ، وأما هو فقد غلبه فيه المال والجند حتى
 أنهم يغلبونه في أحداث الخوارق وهو لا يريد لها ، وربما صرح بذلك وتظلم ،
 وكان ملازماً للخمس في الجماعة يؤم الناس ان غاب من عينه للإمامة بالقلمة كثير
 التوقير للعلماء يقف لأدنام منزلة ويتنحى لكبرائهم عن سرير ملكه ، سهل
 التناول ، يطرق بيته جليل الناس وحقيهم ، ويخرج اليهم بنفسه ويسمع الشكاية
 من الكل ، فإذا أناه الشاكي وقت أكله أخرجه اليه وأكل معه جبراً لظلمه ،
 لم يتأنق في مأكل ولا فرش ولا بناء سوى مسجده الذي بناء بسوق الترك
 المعروف به ، فإنه بذل فيه وسعه ، وبناء من مفروضه في الخنائم ، وكان بناؤه على
 يد فقهه مصطفى قاربلاق التونسي سنة عشرة ومائة وألف . وقد أشار اليه ابن
 سيدي أحمد الفقيه في أبيات فقال :

جامع أنس قد بنا ذوالعطا وحبسا
 محمد الباشا كفا الله شر من أسا
 وكان للناظم صو نا ولمن قد هندسا
 ان قيل ما تاريخه قلت : بتقوى أسسا

وهو كما أشار ، انتفع الناس به انتفاعاً كبيراً جعله الله له جنة من النار
 وفي سنة احدى عشرة ومائة وألف جدد بناء السوقين المحدثين بمسجده من
 جهتي الغرب والشمال بناء لم ير مثله في سعة الساحة وحسن الشكل . وكان في مدة
 ولايته وقم بينه وبين محمد باي صاحب تونس وحشة أدت الى أن محمداً الامام

راسل صاحب الجزائر شعبان خوجة ليساعده على تونس
وسببها أن محمد بك بن مراد جند نحو من أربعين الفأمر تزقة من الترك ومن
أبناء الترك سوى مرتزقة العرب ، فبعث الى محمد الامام يطلب منه من بطاعته
من أهل الجزائر من هو من أهالي تونس : كأهل جربة وصفاقس وسوسة وقابس
وغيرهم ولو رفضوا سكنى تونس ، فأجابه لذلك مسألة الى أن يستعد ، وراسل
شعبان صاحب الجزائر يطلب منه الاعانة فأمره بالتأهب اليه واتفق معه على
اللقاء بعنابة - بلد من عمل الجزائر به من أنواع الخيبرات كثير - فارسل محمد
الامام أسطوله ، وجهاز فيه من جنده مرتزقة ألفاً ومائتين وخمسين غير النوتية .
وكان ذلك في ربيع الاول سنة ست ومائة وألف .

ولما بلغوا عنابة والتقى الجنددان وانضم لبعضهما كانت الوقعة للجنددين :
الطرابلسي والجزائري عليه وفر أمامهم ودخل تونس ، وقفوا أثره حتى نزلوا به
وحاصروه حصاراً شديداً . وفي مدة حصارهم له أرسلوا طائفة من الجند لمدينة
غار الملح فحاصروها وأخذوها وهم خليل المذكور ومن معه يحصار البلد حصاراً
عظيماً ووقعت بينهم أمور كثيرة يطول شرحها ، وقاتلهم قتالاً شديداً لم يعهد مثله
لأمتالهم ، وظهر من شجاعة خليل باي المذكور وقوته مالا يوصف الى أن
افتتحها قهراً

ثم أن أهل الجزائر دخلوا مدينة تونس وجعلوا بها أموراً شنيعة من القتل
والنهب والفسق وغيره . ثم أن خليل المذكور قدم تونس بمن معه وأتى بما كان من
مراكب بنار الملح كالقبطانة وغيرها فأعطاه شعبان خوجة تلك السفن فشتمه لكونه لم
يسهم مما أخذ من تونس . فاحتال شعبان في قتله وأرسل يطلبه ، فعلم به خليل
واقلم من حينه فرمى بالمدافع من حلق الوادي فلم يند وقدم الى طرابلس مسروراً
ولما استقر خليل في الملك وقدم عليه صهره وعياله من بلاد الترك وسلم لمحمد

في الأمر ولزم شأنه تشوف أهل غريان للخلاف وخلصوا بيعته فخرج اليهم ، وحشر الأعراب ، وبني الجند الساكنين خارج المدينة في سائر المملكة وحاصر غريان وقطع شجرها ، وكان ذلك سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخلها من وادي الأربع ونهب أكثر بلادها وقتل منهم كثيراً

ولما دخلت سنة ست عشرة ومائة وألف قدم عليه الشريف صاحب تونس ليفتك البلد من يده واستصحب معه عثمان القهوجي وشعبان بن قاريوسف آفة الكرسي كانا نفيا عنده ظنا منه أن أهل طرابلس يوافقونه إذا رأواهما معه ، وقدم في جند كبير نحو الثمانية عشر ألفاً ونزل برملة المنشية من جهة طرّة وخرج خليل للقائه . فلما التقيا أخبر خليل بخلاف الجند الذين بالمدينة عليه ، وأن بعضهم أدخل يدا مع الشريف ، فكر راجعاً إلى المدينة وترك أثاث الحلة ودخلها وغلق الأبواب ، ودخل الشريف المنشية وأفسد جنده بها وحاصر البلد . وكان نزوله بالرملة لخمس عشرة بقين من شعبان سنة الثاربخ وقطع نخيل الأجنة والسواني^(١) التي بالقرب من المدينة وجعله أبراجاً ليحاصر المدينة بذلك ويرمي عليها الكور وكان من السواني المشهورة التي أخربت اذ ذاك سانية الققيه العالم الصالح سيدي عبد الله بن أحمد بن زليبون التي كانت تسمى « ارم ذات العماد » لحسنها وما حولها من الأجنة . وراسل أهل الطاعة وأقام على الفساد ومحاصرة البلد فحوا من أربعين يوماً . وقرب من المدينة بأبراجه ، واشتغل بحفر سرب^(٢) من تحت الأرض ليضع فيه باروداً كي يخرب المدينة . فلما أحس به أهل البلد فتحو باب البحر وخرجوا اليهم بكرة وحلوا عليهم حملة منكرة فلم يفلت من جنده المحتمي بأبراجه الا قليل ، وصاحوا بهم فوقعت الهزيمة عليهم وقتل منهم كثير فتم الأمر لخليل وعظم في أعين الرعية والجند ، وازدادت هيئته فكان اذا أرسل السرية القليلة

(١) السانية في اللغة اسم للبر الذي يستقى عليه ، والماربليون يطلقونها على البستان

(٢) السرب بفتح السين الثقف

من جنده واتباعه فرت الأهراب أمامها .

وهو أول من اتخذ الحجاب من ملوك طرابلس ، وأول من لبس الحرير والذهب أو أكثر المالك من الروم ، وتأتق في المأكل والملبس ، ولم يكن لملوك طرابلس الذين قبله اعتناء بمثل هذا ، ونحنا في ذلك نحو ملوك تونس

وسبب الوحشة بينه وبين إبراهيم الشريف أن خليلاً كان بينه وبين مراد صاحب تونس صداقة ولما حل بجواره فاراً من طرابلس أحسن إليه ، وكان إبراهيم غرر به فبقي في نفس خليل من ذلك شيء فرت به خيل لإبراهيم في الركب فأخذها ممن هي بيده بصورة بيع أكرمه عليه ، فبلغ ذلك إبراهيم فبعث إليه يهدده أن لم يردها فأغظ له خليل في الجواب . وكان خليل جباراً ذا نخوة لم يؤثر عنه شرب مسكر مذوّلي وفي المهد لم تغلت عنه فلتة بخيانة قط ، قوي المزم محبا للحق من أهل العلم ، يكرمهم ويعظمهم ، كثير التعلق بالأسئلة فإذا آت ينتسب إلى العلم ألقى عليه مسألة يعسر فهمها على مثله فإن أجاب زاد في تعظيمه واحترامه والا غض عنه : وإذا كتب توقيماً في شيء لا يمكن الرجوع فيه ، يتحاشى قواده حامل كتابه ويخشون سلطوته . كان أول أمره أرسل كتاباً لعامله أحمد بن أحمد وعمل بخلافه ، فبعث بصلبه بقم داره وجعل الكتاب على جبهته فصلب كذلك . وكان وفي المهد لا ينقض ما أبرم ولو عليه فيه مضرة . وكان يقول : ألقى الله بكل ذنب ولا القاه منشوراً لي لواء القدر . يتعامل على أهل البدع حتى قلت للبدع في أيامه ، وأذل رئيسها علي الفرجاني وسامه خسفاً ، ولم يدخل أرض طرابلس إلا بعد موته : بنى مسجداً حسناً بالظهرة ، غير أنه كان مروانياً في إرخاء عنان عبيده وظلم حاشيته : ولم ينزل كذلك إلى أن دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة وألف فخرج كبير أسطول السفن الجهادية على قبطان غازيا وخرج معه البرنجي^(١)

(١) أنشبه في الأصل أن تكون « البرنجي » أو البندجي .

في سفينة صغيرة ، فأعلم الافرنج الذين بالبلد صاحب مالطة عنهما ، وأخبروه بما فيها من العدة والعدد ، فجهز اليهما شوانيه وأسعطوله فطاردهم عليّ وقتلهم قتلاً شديداً وكل ذلك من البعد : فإذا هم بأن يحمله على إحدى السفن ليربطه بها هربت (١) منه حتى اعدموا السفينة من بعد ؟ فلما علم أنه لا نجاة له منهم أحرق السفينة ونزل من كان حياً في البحر فأخذوه وكان ذلك في ربيع الثاني من السنة المذكورة وفيها خلع عبد الله بن عبد النبي بيعته وأظهر ذلك وأخذ الركب الفزاني الآتي بالخراج منها

ولما بلغ خليلاً ذلك أواسط شعبان من السنة المذكورة خرج له في طرف من حاشيته وعبيده من غير اهبة : فلما نزل مزدة - وهي قصران حصينان من بناء الاول ، الشرقي منهما يسمى الشارف يسكنه أولاد مرعي الغيبان ، والغربي لقوم يسمون قنطرار لكنهم الآن يسكنون القصرين وهم كالخدم لأولاد مرعي الغيبان . وحواليها من جهة الجنوب أجنة قليلة بالقرب من القصرين بحيث تصيب الرمية من القصرين من أتى تلك الأجنة . وأهلها مشهورون بالرمي وحسن الصناعة في البارود بحيث يضرب المثل به . يقصدها الآتي من وادي ابن وليد بين الجنوب والشرق (٢) وهي منه على مسير ثلاث [مراحل] أو أقل بيسير ، وبأجنحتها نخل قليل (٣) - لحقه الخبر أن ابراهيم أليل خلع بيعته وواقفه الجند وأهل البلد على ذلك . و ابراهيم هذا أليل النسبة ، وأليل على ساحل البحر بالاناضول ، وهي بهيمة مفتوحة ولام كذلك ومثناة تحتية بعد هالام مكسورة ، وحاصر حسيناً المشهور بمخبطوزه نائب خليل بالقلمة خمسة عشر يوماً ،

(١) هذه البارة غير مستقيمة وهي في الاصل هكذا

(٢) كانت الاصل بين الجنوب والغرب وهو خطأ

(٣) بها زاوية للسوسية اشتهرت بزواية

الذي لان الشيخ عبد الله السني هو الذي يتولى النظر عليها ثبت سنة ١٢٦١

ورجع خليل حتى نزل بطرة المنشية بمن معه وخرج لقتاله أهل البلد والجند وفتح باب زناته ولم يفتحه أحد ثم أغلق بعد انقضاء القتال

وأقام خليل سبعة أيام ثم توجه لعبد الله بن عبد النبي الجبالي وانضم اليه بمن معه فجعل ابراهيم قار محمد قائد جيش الخليل وأخرجه للقاءه فالتقوا بمحل يقال له الشرعب فكانت الوقعة لمحمد على خليل ، وفر خليل بمن معه لارض مسرت ، وسار محمد في أثره الى أن نزل بعين تاورغاء ، فراسل عبد الله بن عبد النبي فوفد عليه فأغراه بقتله قريوي الجبالي فقتله ومن معه الا ابنه عليا مسكه ليأتي بما أخذ من خراج فزان ورجع محمد ، وأقام خليل بسرت قليلا ثم توجه منها لودان ولحق بالناصر صاحب فزان وتفرق عبيده واتباعه شفر بفر ولم يبق معه الا قليل فاخذته رحومة ابن جويلى السراتي كبير ركب تجارة مصر لارض فزان معه حتى أدخله مصر فآكرمه ابراهيم ليبيك وأهلها اكراما زائدا ، وخرج منها الى القسطنطينية شاكيا لحضرة السلطان ، وما دري أن الله يهل للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته

ولاية ابراهيم الاركلي

واستقل ابراهيم بالملك عاما كاملا ، وفي خلال العام شرد بشيعة خليل قتلانوفيا وكانت شيعته أكثر جند البلد فضعف بذلك أمر الترك ووهت شوكتهم ووقع في نفسه من محمد قار الأنصلي شيء كرهه فازاله عن موضعه وجعل قائد خيله تركيا يقال له محمد حسين شاوش . وكان ذلك في ربيع الاول لحس خلون منه ، فبقي على ذلك أربعة أشهر وتسعة عشر يوما ، ثم عزله عنها لست بقين من رجب سنة اثنتين وعشرين ومائة والالف . وكانت ولاية قار محمد آغا الخليل ستة أشهر وثمانية عشر يوما ، وقلدها محمد باي الملقب ابن الجن الكول أغلي كان رئيس شوتى مشتغلا بغزو العدو وتثريد هم . وغزواته وقائمه كثيرة معهم وتخريبه قراهم مشهور ، لوتقبعناها

لاحتاجت لديوان مستقل

ولما نفي ابراهيم محمد الأنضولى لناعية المغرب خرج الى الأعراب حتى أتوا به غريان فدخلها ووافقه أهلها فخلع بيعة ابراهيم . وخرج بمن وافقه على الفساد راجعاً الى المدينة حتى أتوا تاجوراء فالتقى قومه مع محمد باي الجن واقتتلوا ، فها مضت برهة من الزمن حتى هزم قار محمد ومن معه وأخذتهم السيوف ومات منهم نحو الثلاثمائة ورجع محمد باي منصوراً مغفراً . وكانت الوقعة أو اخر رجب سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ، وسلم محمد قار وفريمن معه بمن وافقه الى ناعية الجبل

وكان الله سبحانه أراد انقراض الدولة التركية واقامة الدولة القول أوغلية فأيد محمد الجن وسلط الترك على بعضهم حتى قلوا وضعف أمرهم . فتأقت نفسه رحمه الله تعالى لخلع بيعة ابراهيم وجمع كبراء البلدين : السأحل والمثنية وشاورهم في ذلك فاشاروا عليه بخلع بيعة لخمس عشرة خلون من رمضان وقيل لأربع عشرة مضين من رمضان من السنة المذكورة ، وحاصره بالمدينة ستة عشر يوماً ، ثم وافق أهل المدينة محمد باي المذكور وخلعوا بيعته ليلة العيد الفطر ليلة الأحد وأوثقوه ثم نفوه الى الاسكندرية

ولاية اسماعيل خوجة

وأقاموا مكانه اسماعيل خوجة . كان اماما يجامع الخروبة ، وجلس للحكومة وتفريق رزق الجند في يوم العيد ، وكانت اقامة أهل البلد له برأي من محمد باي ولم يختلف على بيعة محمد اثنان من أهل البلد وبأديها ، واشتغل أول أمره بنفي طغاة الترك وقتلهم حتى أبادهم جميعا الا القليل منهم ممن لم يكن له لعلق في مدتهم وزال الملك من أيديهم ، وتولى ولاية الملك القول أغلية

ولاية الحاج رجب

ولما استتم أمره عزل اسمعيل المذكور عن موضعه وكان ذلك ليلة بقيت من ذي القعدة من السنة المذكورة . وولاه رجلاً آخر يقال له الحاج رجب . وفي أيامه أتى قار محمد لأهل تاجوراء وطرده ورجع لغريان . ولما مهد البلاد ودخل القلعة أحس منه محمود الملقب بأبا أميس - كان كاتباً بالديوان - شراً بدعواه فقدر به وقتله وتولى موضعه . وكان قتله إياه يوم السبت في العشر الأخيرة من جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

ولاية محمود أبي أميس

وبإيعامه الناس على ضغينة من فعلته فأقام خمسة وعشرين يوماً وأرسل مولانا أحمد ابن يوسف قومه إلى غريان ليقدروا به هناك لما توسم فيه من النباهة والصلاحية للملك دونه ، فاتفق أهل البلد على صلاحيته ، فجمع قبل وصوله إلى غريان لما توسم من تحذيره إياه ، فلما قدم البلد بإيعام أهل البلدين الساحل والمنشية ولم يتخلف من بيعته أحد لما جبل عليه من الرقة واللطف ، وهو الذي أسس قوانين الدولة وأحيا رسوما دائرة من قواعدها .

ولاية احمد باسا قرصلى

وكانت بيعته ضحوة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وقيل حادي عشر الشهر المذكور ، فلما أحس بذلك محمود أقام

يومه ذلك متهيئا للحرب ، ثم في ليلة الاربعاء قام الشريف حسونة عليه من داخل المدينة وقبض عليه ، ودخل القلعة صبيحة الخميس الثالث أو الخامس عشر من الشهر المذكور ، فظن أنه يستقل بالأمر وفتحت أبواب المدينة ، فقبض على الشريف المذكور وقت العصر من ذلك اليوم ودخل أمير المؤمنين القلعة في ذلك اليوم . ولما مرت له أيام جعل يوسف قائد خيل محمد الامام سابقاً داياً بالقلعة ، وكان ذلك لتسع بقين من الشهر المذكور من السنة المذكورة

وفي ذلك اليوم من الشهر المذكور قدم خليل باشا بأسطول من حضرة السلطان وسيأتي خبر ذلك مستوفى عند ذكر شمائل أمير المؤمنين ^(١) عند ما يناسبه من أبيات القصيدة

قال النازم :

﴿ اذا آتتها من قد فآته بلادها وأوحشه ذو أمرها من حماها ﴾
 ﴿ تطأ من عن نفس ومال وعشرة ويضحي بعز مائوي بجهاتها ﴾
 ﴿ فكمن دُيُورٍ ^(٢) أخربت وكنائس وكمن من حصون حوصرت بسراتها ﴾
 ﴿ وكمن من بلاد للصليبي مركز أحاطوا بها ليلاً وأفتنوا طغاتها ﴾
 ﴿ وكمن من جوارٍ ^(٣) للكوافر ضيقت على سفن الاسلام من لفحاتها ﴾
 ﴿ قد أضحت بمرساها أسيرة فلكنها وعسكرها في جبرها من حماها ^(٤) ﴾
 ﴿ وكمن من أويسي بها ذي معارف وكمن من جندي على شرفاتها ﴾

(١) يقصد المؤلف بأمير المؤمنين « احمد القرظلي » وقد خصه بهذا اللقب دون من تقدمه من الولاة لان المؤلف كان مقرباً لديه وله عنده المكانة الاولى . فالذي يظهر ان المؤلف اشعارته ظروف هذا اللقب ان يخصه بهذا اللقب

(٢) يعني بالديور جمع . دير ، وهو صومعة الراهب

(٣) الجوارى السفن

(٤) هكذا بالأصل

(بها فضلاء ما الفضيلُ يفوقهم
فوارس انجماء وهم من حماها)
(قد اختارها الزروق داراً وموطئاً
كذا ابن سعيد مُقْتَدِرٌ بهداها)
(تواترت الاقطابُ فترى بأرضها
وكم سيدٌ رام المقام بذاتها)
(بها علماء عاملون بعلومهم
خول عن الاظهار في خلواتها)
(ولم تر غشاً قط من جمع أهلها
ولا قسماً في بيعهم من جفاتها)
(إذا حان وقت الصلاة رأيتهم
سراعاً واخلوا الريح في عرصاتها)

إذا أمها : قصدها . من قد نأته بلاده : أبعدته ، من نأى إذا بعد . وعداه
بنفسه لتضعه معنى بعد بالتضعيف ^(١) . وأوحشته بلاده : البلد مسكة شرفها
الله تعالى ، وكل قطعة من الأرض مستبحرة غامرة كانت أو عامرة ، وهي
المراد هنا ، وأوحشه أخافه . وذو بمعنى صاحب والامر ضد النهي . واولو
الامر الرؤساء والعلماء . والحياة جمع حام ، وهو من يمنع جواره أن يضام ، أو
من يطمئن قاصده عن نفسه وماله أن دخل .

وجوار أهلها مشهور ، قصدها زيادة الله بن الأغلب ^(٢) لما افتك الشيعي
بلاده فحتمه ولم يصل اليه مكروه حتى انتقل منها ، وحت ياقوتاً المعروف بالافتخار ^(٣)

(١) لاجابة الى هذا التوضيح من قوله يتمدى بنفسه ، تقول نأته ، وانأته ، ونأيته . واستشهد صاحب
الاساس بهذا البيت :

ذلك امامه الا سؤالا والا خيالا يواني خيالا

(٢) هـ . ابو نصر زيادة الله بن ابي العباس عبد الله بن ابراهيم الاغلبى ، اخر امراء الدولة الاغلبية بتونس
وافريقية . ولد ونشأ في تونس . وولاه ابو امارة صقلية فمكث على لذاته فعزله عنها وسعته فدرس لايه
من قتله ونودي به اميراً على افريقية فنولاه سنة ٢٩٠ وعاد الى ملوه واهمل شئون المالك . فاستفحل امر
الثائر ابي عبد الله الشيعي ففر زيادة الله باهله وماله من افريقية الى مصر سنة ٢٩٦ : ٠٠٠ ثم قصد بيت
القدس ومات بالرملة سنة ٣٠٤ . وله افترض دولة الاغالبية في افريقية وكانت مدتها ١١٢ سنة و ٥ اشهر
و ١٤ يوماً . هـ . من الاعلام الز. طي . وفي أثناء ذهابه الى مصر مر بطرابلس واقام بها سبعة عشر يوماً
(٣) النظر صفحة ٦٣

فائب قراش لما طلبه يحيى بن اسحاق الميورقي ولم يسلموه حتى قهروا وأخذت أموالهم . وحاجتها لمن أمها قديما وحديثا شهيرة ، أشهر من أن تذكر ، وسيأتي ذكر نبذة منها عند التعرض لذكر شمائل أمير المؤمنين أحمد بن يوسف إن شاء الله تعالى وأما آخرها الديور والكنائس فإن عنى الديور اللغوية والكنائس فلم أقف على إخراجهم شيئا الا ما فعل مصطفى العلج الرئيس ببعض كنائس لهم أو آخر سنة تسع ثلاثين ومائة وألف أو اثني الأربعين ، فانه أخريها وأخذ ما فيها ، وأتى بيد منها معضمة عندهم يزعمون أنها تُعبد ، وبعثوا على ذلك ودفعوا أموالا عظيمة لحاشية السلطان حتى كاتب أمير المؤمنين أحمد بن يوسف فردها اليهم . والا ما فعلته سفن عمان باشا بكنيسة جرجا اليمين التي اثنائها بحيرة لم يسبق بتعميرها ، وابتنى حولها أبراجا وفندقا ومحلا لسكناء وحبوسا لسكنى أسارى المسلمين . واتخذ ثلاث سفن ضيق بها على المسلمين أشد الضيق ، فأخرج اليه عمان سفنه لناحية القسطنطينية فالتقت معه وقتلوه واستولوا على سفنه وأخربوا كنيسه وما عمر . وكان ذلك في ربيع الثاني سنة تسع وسبعين وألف . وإن أراد بالكنائس والديور محالها من القرى فذلك شيء لا يحصى كثرة

حدثني من أثنى به قال : خرجت في شيفي رئيسه قرلونة العلج فقال لنا الآن أغزو بكم بلدنا ، قال فأتيناه ليللا وأحطنا بها ، فاستولينا على همه وبنيه وقتلنا من وجدناه فيها من طغاة الكفرة وأخربنا ديارهم . قال : وفعلنا مثل هذا في عدة غزوات ، ومثل هذا فعل ابن الجن وحده الله تعالى كثيرا

وأما أخذ فلكتها أساطيل غزو النصارى فما محمت من سفن جرجا اليمين التي ضيقت على كافة بلاد الاسلام أشد الضيق ، وسفينة لطاغية الأفرنج كانوا أرسلوها مشحونة جنداً ومالا وخيلا مسدداً لجزيرة الاكريتية المعروفة عند المغاربة بكندية ، وغير ذلك كثير ، وأمرها في العدو ونكايتها له شهيرة . هذا من سفن

النصارى المعدة للغزو على الاسلام . وأما سفن تجارتهم فحدث عن البحر ولا حرج
وقد أخبرني بعض الثقات من تجار البلاد قال : دخلت مدينة بلنسية وأتيت
سوقها ، فسألني بعض التجار بها لما رأى الهيئة مغربية : من أي بلاد المغرب أنت
فأخبرته عن وطني ، فسألني : أيبنون بيوت طرابلس بلنسين الذهب والفضة ؟ أم
هي كسائر الدنيا ؟ فقال فظننت أنه يسخر بي حتى أقسم لي بمعبودهم . قال وداربي
على السوق ، وجمع ما هو مكتوب على أفواه حوانيتهم مما ضاع لسكل ، ففرج شيء
لا يحصى كثرة . فقال هذا ما ضاع لأهل بلادهم فكيف يغيرها من بلاد النصارى
قال وهم يكتبون ما يأخذهم لهم كل فريق من المسلمين

وأما أهل الاحوال فهي مشهورة باقامة أهل الصدق في الاحوال بها قديماً
وحديثاً ولم تزل على ذلك

وأما موافقتهم أويساً القرنى رضي الله عنه في الوصف ، فهم في التشف
والزهد والقناعة بالرتبة الاويسية ، وإن كانت اختصه الله تعالى بزيادة « يتخص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وأما موافقة أهلها الامام أبا القاسم الجنيد بن محمد القواريري سيد طائفة أهل
عصره وامام من بعدهم الى الله تعالى ، على أصول الكتاب والسنة ، فقد كان
منهم شذمة على ذلك قديماً وحديثاً :

✽ الاستاذ أبو الحسن ابن النمر ✽

فن القدماء الفقيه العارف بالله أبو الحسن ابن النمر كان مولده بطرابلس سنة
ثمان وأربعين وثلاثمائة أخذ عن أحمد بن زريق البغدادي بمكة ، وروى عن
ابن القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ثم عاد الى طرابلس ، ودعا الى الله
سبحانه وتعالى ، وقرر الشريعة أصولاً وفروعاً ، وأظهر السنة بها لما هم الرافض

ومات أئمة أهل السنة . وهو أول من قطع الاذان بحمي على خير العمل وأول من أقام صلاة التيمم بطرابلس لما حكي أثرها من أرض إفريقية ، وأحصى طريقة الجنيد ، وكان قد جمع الفقه والادب مع الله ، وهو أول من صلى نافلة الضحى جهاراً ، ولم يكن أحد في مدة بنى عبيد يصلها الا استخفاء . وله تأليف كثيرة في الحساب والازمنة وغير ذلك . وله الكافي في الفرائض . وأقام بطرابلس الى سنة ثلاثين وأربعمائة فخرج من الحنة جرت له ، وأقام بغنيمية « قرية من قرى مسلاته » فأقام بها عامين ثم مات ودفن هناك على الطريق

﴿الشيخ عبد الله الشعاب﴾

ومن كان على سنة الجنيد رضي الله عنه وهو بطرابلس الغرب العارف بالله تعالى عبد الله الشعاب ، كان نجاراً بالمدينة المذكورة ، وكان بعض الناس ابتداءً المسجد الذي هو به الآن الذي نسب اليه وعجز عن إتمامه ، فخرته همته لإتمامه ، فأتى القاضي وطلب منه احضار رب المسجد ، فلما حضر أمره القاضي بالإتمام فأقر بالعجز فأذن للشعاب في إتمامه فآثمه ولزم السكينة به ، ودعا الى الله على نهج الكتاب والسنة وكان يجتمع بالخضر عليه السلام في مسجده ، وكان بحجاب الدعوة لوقته : ميم يوماً بكاء امرأة بباب المسجد ، فخرج وسألها عن الحال ، فأخبرته بأن لها ابناً أسره العدو وسألته الدعاء بخلاصه ، فدعا وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت الى بيتها فاذا ولدها أصبح في السكة يسأل عن دارها فعرف بها ، فخرجت فسألته عن الحال فأخبرها عن فراره في البحر وسلامته ووصوله عن قرب عهد فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصوله وأن ذلك ببركة دعائه ، فمناها بسلامته قبل خبرها وقال : انما انجاء الله ببركة دعائك لما علم من اضطرارك . وتوفي رضي الله عنه ونفعا به سنة ثلاث وأربعين ومائتين

﴿ أبو نزار الشيخ خطاب البرقي ﴾

ومن الاويسيين بها أبو نزار الشيخ خطاب البرقي كان صالحاً ديناً ذا كرامات خصوصاً في باب الرؤى : وكان زاهداً ملازماً لسكني مسجد خارج المدينة . وكان يخاطب في النوم بما يكون في اليقظة قبل كونه
 حكى عنه أبو عبد الله الخياري قال : قال لي مرة : خرجت الى الحج منفرداً
 فبينما أنا في البرية اذ مرّ بي رجل توصمت فيه الخير ووقع في قلبي أنه الخضر ،
 فبادرته وأقسمت عليه بالله تعالى أأنت الخضر ، فقال : لقد بقيت فيكم من
 الخير بقية ، ولم يزدني على هذا ثم غاب عني
 ونقل عن الخياري أيضاً قال : قال لي الشيخ خطاب : بينما أنا في البرية اذ أنا
 بسبع قد عارضني ، فقالت له : يا أبا الحارث ان كنت قد أمرت فينا بشيء
 فدوّنك ، والا فالعريق . قال : ففرب مني ووقف هنيئاً ثم انصرف
 وحكى عنه انه قال : بينما أنا في البرية اذ رأيت شخصاً فاستغربت وجوده
 هنالك فتصدته فوجدته مفرح بن بياضة ، فقلت له : أبا عبد السلام الى هنا ؟
 فقال نعم يا أبا نزار فاستغربت معرفته لي مع كونه مكفوف البصر

﴿ الشيخ أبو عثمان الحساني ﴾

ومن الاويسيين بالبلد المذكورة الشيخ أبو عثمان الحساني . وهو سعيد بن
 خلفون الحساني المعروف بالمستجاب . أصله من أهل قرية حسان احدي قصور
 قرى طاعة طرابلس ، كان استحدث بناء هذه القرية حسان بن النعمان [النساني]
 كان وجهه عبد الملك بن مروان لقتال عسكر كاهنة افريقية المعروفة بكاهنة
 لواته في عسكر حرمرم ، وكانت هذه السكاهنة تسكن الحصن المعروف

بالحجم ^(١) وهو أعظم حصن بأفريقية . وكان توجهه لها بعد انتفاض إفريقية . وموت زهير بن قيس البلوى بها ^(٢) . ولما بلغ عبد الملك ذلك استشار في من يوجهه عوضاً منه فأشاروا عليه بحسان هذا فوجهه بجيش لم يدخلها المسلمين . جيش أضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وأخربها وتوجه الى هذه الكاهنة فهزمت وأسرت كثيراً من فرسانه ، واتبعته حتى أخرجه من قابس فكتب بالهزيمة الى عبد الملك وسار متوجها الى دمشق وريدا طمعاً أن يلحق به من يغلب من أسارى المسلمين ، فعاد اليه جواب عبد الملك يأمره أن يقيم حيث واقاه كتابه وألا يبرح منه فوافاه الكتاب ببرقة فأقام هنالك ^(٣) . وابتقى بها القصور والمعروفة به الى الآن ، وهي على ثلاث مراحل من مصراته الى الجنوب ، وأقام هنالك الى أن وصل اليه المدد من قبل عبد الملك فعاد الى إفريقية ، وكانت الكاهنة أخذت في قطع الشجر وتغوير المياه اتزهدهم في إفريقية . ولم يزل حتى نازلها والتقى الجند ان حتى ظن أنه الفناء الا كبر ، فكانت لحسان عليها وتبعها حتى قتلها عند البئر المعروفة المنسوبة اليها وعقد لا بنها على البربر .

وكان الشيخ أبو عثمان هذا زاهدا فاضلا منقطعاً الى الله تعالى وظهرت بركاته حتى عرف بالمستجاب . وكان له بالمسجد الذي كان به خارج المدينة قضية مشهورة : وذلك انه كان ذات يوم جالساً في المسجد على عادته ، فسمع تحته دويّاً عظيماً اهتز له المسجد ، فخرج بعض من كان معه لاستخبار ذلك ، فوجد شخصاً يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهاه عن ذلك فلم يلتفت ، فرجع الى الشيخ

(١) قال في المعجم : لجم بالتحريك قلعة بأفريقية قريبة من المدينة حصينة جيداً

(٢) قال في المعجم قتل بدرنة هو وجماعة من المسلمين سنة ٧٦ وقبورهم معروفة اهـ ولا تزال تعرف بقبور الصحابة وتقع في جنوبي البلد داخل السور بمحلة بومنصور وقال في الاصابة : زهير بن قيس البلوى ، قال ابن يونس : يقال ان له محبة شهد فتح مصر وقتلته الروم ببرقة سنة ٧٦ هـ

(٣) وكانت اقامته خمس سنين . اما هذه القصور فلم يبق منها الا انقاضها تحت التراب ، ويسمى هذا المكان

فأخبره ، فنزل الشيخ اليه وقال له : اتق الله فان فعلك زلزل المسجد ، فأجابه :
ارجع أيها الشيخ الى مسجدك ومن الوالى أمرني بهذا ، فقال الشيخ لو أمرك الوالى
بهدم المسجد أكنت تهديه ؟ فقال نعم ، لو أمرني لفعلت . فرجع الشيخ الى المسجد
وقال : اللهم احصد عمره ، فبمجرد استقرار الشيخ في المسجد سقط جزء من ذلك
الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبو الخشاب القساضي رحمه الله تعالى : خرجت مع الفقيه أبي
الحسن بن النعمان من طرابلس لزيارة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى
والسمع عليه ، فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث أبو الحسن فقال : أراد الشيخ أبو
هشام مرة الحج ، فاتفق مع جماعة من اخوانه أهل الدين والفضل وكنت معهم ،
فخرجنا مع الوحدة ، فعلمنا صدراً من الطريق وأقمنا ثلاثاً لم نطعم ، فأتى الشيخ
أبو هشام الى ربوة فسيح وجهها بيده وجعل يأخذ ترابها ويضعه في اناء كان في
يده ثم تراه يشي من ماء كان معه وقرأ عليه أوسمى ، وقال لنا : سموا الله وكلوا ،
قال فجهلنا نأكل ونطعمنا منه طعم السويق . قال فأطرق الشيخ أبو محمد بن أبي
زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل في الامكان سيما وقد ذكرتم أنكم
أقمتم ثلاثاً لم تطعموا ، قرأ قوله تعالى « آمن يوجب المضطر اذا دعاه » .

ولما رجع المؤدب محرز بن خلف من الحج الى تونس سأله أهلها : من رأيت
في طريقك من الصالحين ؟ فقال : رأيت بطرابلس رجلاً وامراً ، أما الرجل
فأبو هشام الحسائي ، وأما المرأة فهـ ممدونة « ، وممدونة هذه كانت من أفضل
نساء العالمين وأكثرهن صلاحاً ، وكانت تسكن مسجد الشيخ الشعاب . وكان
أبو نزار البرقي يعتقد بركتهما ويكثر من زيارتهما .

ومن الجليدين بها أبو الحسن علي بن أحمد بن الخطيب الطرابلسي كان يسكن بمسجد الحجاز ثم سكنه أربعين سنة: كان فقيهاً صالحاً عالماً في الفقه والفرائض والشروط ^(١). وكان زاهداً يدعو إلى الله تعالى، أقام أربعين سنة لم يضحك، ونحواً من خمسين سنة لم يحلف يمينا، وقال له ابن أخيه عند ما أُمي وصيته: أنسيت الكفارة؟ فقال: لولا أنني في الموت ما أخبرتك، ما حلفت يمينا إلا بالله منذ كذا وكذا حقاً ولا مبطلاً، وما علمت أن علي يمينا أ كفرها. وقد سئل سحنون بن سعيد لما رجم لأفريقية عن الصالحين، فقال رأيت بطرابلس رجلاً ما الفضيل بن عياض أفضل منهم ^(٢)، والفضيل بن عياض هذا خراساني من ناحية مرو. قيل أنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيورد ومات بمكة سنة سبع وثمانين ومائة.

وأما اختيار الزروق لها فاقامته بها الى أن توفي ، واتخاذها اياها وطناً أقوى دليل على ذلك .

وهو الفقيه العلامة المارف بالله تعالى الامام الاوحد الحبر الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة ، صاحب التصانيف المفيدة ، أبو العباس احمد بن احمد ابن محمد بن عيسى البرنوسي الفانسي عرف بزروق ، لقب معناه غير قائم به ، وانما هو لقب لجده فاستمر الوصف لعتبه كما هو شأن انتقال الالقاب من الاصول الى

(١٠) - تنفيذاً للمادة ١٤ من قانون رقم ١١٠ لسنة ١٩٩٨،

(٢) قال في تهذيب التهذيب : فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي اليربوعي ابو علي الحراساني ولد بخراسان بكورة ابوبورد ، وقدم السكوفة وهو كبير ، فسمع الحديث وانتقل الى مكة فنزلها الى ان مات بها اول سنة ١٨٧ . وكان ثقة فاضلا عابدا ورعا . قال هارون الرشيد : مارا بت من العلماء احبب من مالك ولا اروع من الفضيل . ١٩٠

الفروع . وبرنوس ، ووحدة مفتوحة ثم راء مهجلة ثم نون مضمومة بعدها واو وسين مهجلة ، قبيلة من العرب تسكن أرض المغرب بجهات فاس ، وزرّوق بزاي معجمة مفتوحة ثم راء مشددة مضمومة بعدها واو وقاف آخر الحروف . وقد ذكر سيدي زروق في رحلته أن نسبه يتصل بالمصطفى ﷺ من جهة أم جده . قل ولسكن لم أحقق ذلك لموت أبي في مبدأ نشأتي . وشرف المرء انما هو في سلامة دينه ، ولا شرف أكرم من تقوى الله « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » اهـ

ولد رضي الله عنه ثامن عشر المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة عند طلوع الشمس . توفيت أمه ثالث ولادته ، وأبوه خامسها ، وعمه بقر به . فها استتم سبعا وله غير الله مستنداً ، فكانت مدة عمره أربعاً وخمسين عاماً شغلها بالتعلم والتعليم . تفقه بالمغرب ثم نالته محنة فارتحل عنه الى مصر ولقي بها الشيخ أبا العباس الحضرمي النيفي ، وعنه ورث السر ، وألف توالييف عديدة مفيدة في الفقه وطريق القوم : ألف على الحسك لابن عطاء الله ستة عشر شرحاً وقفت على السادس عشر بخطه ، وقال في آخره هذا تمام الستة عشر شرحاً . وشرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه شرحاً حافلاً مفيداً محرراً النقل قرأت أكره بخط يده . وشرح منظومة الوغليسي والارشاد في الفقه ، ومنظومة ابن البناء ، وابتدأ شرحاً على سنيينة النجاة وظيفته ، وله كتاب الحوادث والبدع ، وهو كتاب أجاد فيه ونقل أقاويل العلماء في البدع وحكم مرتكبها ، وله القواعد في أصول الطريقة ، والكتايش والرحلة ، وكتب كثيرة ، رضي الله عنه ونفعنا به كان زاهداً فاضلاً منقطعاً الى الله سبحانه وتعالى عارفاً به دالاً عليه . له همة عالية تخرج عليه جماعة وانتفع به الناس شرقاً وغرباً . وله بركات ظاهرة وكرامات باهرة في الحياة وبعد المات

حدثني لأعارف بالله تعالى المحقق العلامة شيخنا سيدي محمد العياشي قال :
حدثنا العارف بالله سيدي محمد اليمني ، قال : لما توجهنا الى أرض المغرب ونزلنا
برقة سألنا الله تعالى ببركته أن يجعلنا في جواره ، لما تقرر عندنا أن زروقاً له
للبيد العلياً في أرض المغرب بعد موته ، قال فلم نزل في أمن وسعة الى أن حللنا
مدينة فاس وتوجهنا الى أرض السودان ، فلما توجهنا فيه أصابنا حر شديد ولم
يكن معنا من الماء شيء فسألنا الله تعالى ببركته ، فبينما نحن في كرب وإذا بدياب^(١)
عليه قرب ماء ومعه سائق حتى دنا منا وقال خذوا لستم بجواري من برقة
وبمثل هذا حدثني عبد الله بن أبي بكر المصراي البلالي ، قال : خرجنا
من أرض فزان ومعنا رفقة وأدخلت نفسي في جوار الشيخ ، فبينما نحن ذات ليلة
اذ حدثتني نفسي باعتزال الرفقة والمبيت عنها في جهة ففعلت فما فجأت آخر الليل
الا قطاع الطريق يوقعون برقتي شراً ، قال : فقررت بلا زاد ولا ماء ولا خبيرة
لي بالطريق ، وكانت تلك الأرض قفرة لا يهتدي لطرقها الا خبير ماهر ، وقال
وبقيت ليلى وأنا أسمع قائل يقول عن يمينك فاذا أوغلت في البين قال عن شمالك
حتى أصبحت ، فرأيت رجلاً قصيراً يمضي أمامي فاذا هممت أن أدنو منه بعد
عني ، فاذا أخذت لغير القصد صاح بي الى جهة القصد الى أن أدخلني ودان يوم
ثالث الوقعة ولم أحس بألم تعب ولا عطش . وكان زمان قيظ . وبالجملة فسكراماته
بعد موته أكثر من أن تحصى ، ولو تتبعنا ذلك لجمعنا فيه مجلداً ضخماً ، وفيما
ذكرناه كفاية . توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ودفن في
دصراته ، وكان استوطنها وانخرط في سلك أهلها ، وكان استقراره بجهة تكبيران
منها ، وتزوج من أهلها من أولاد الشيخ : الجمافرة ، وولد له منها وبقوا بعد
موته ثم لحقوا به عن قرب ، وليس له بها نسل ، ومقامه مشهور . وتولى خدمته

(١) يطلق الدياب في لغة الطرابلسيين على الحمار ، والدابة على الاثتان

وأوقافه قوم من أهل سرت كانوا في سالف الزمن لهم تشبه بالصالحين ، ونشأ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . وكان محل الشيخ معلوماً لقراءة القرآن العظيم يأوى اليه المتعلمون ، فلما غلب أولئك الخلف على الاوقاف والفتوحات ^(١) وتجاذبوها بينهم انقطع منه الطالب والمطلوب ، الى أن وفق الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين احمد بن يوسف لرد النظر اليه فرفع أيدي مقتسمي الوقف عنه ، وولاه الفقيه الخير الصالح سيدي احمد بن عمر وأخاه سيدي دخيلا سنة أربع وأربعين ومائة وألف ، فعاد الحل لشبه حالته الاولى ، ورد محصول الوقف لبيته ، وتتابع الطلاب والواردون . وفق الله الامير لمثل هذا ^(٢)

وأما كون علمائها عاملين بعلمهم فأمر غير خفي على من وقف على تاريخهم ، أو شهد حالهم ، فقد كان بها الفقيه أبو الحسن بن النمر وأبو الحسن علي بن احمد ابن الخطيب ، وشيخنا العارف بالله تعالى سيدي احمد زروق ، وقد تقدم ذكرهم

✽ الامام الحافظ الشيخ ابراهيم بن اسماعيل الاجداني ✽

وكان بها الامام الحافظ الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الاجداني اللواتي الطرابلسي ، كان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم : كلاماً ، وفقهاً ، ونحواً ، وفتياً ، وعروضاً ، نظاماً ونثراً ، وله تأليف جلية وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره : فن تواليفه كتاب كفاية المتحفظ ، وكتابات في العروض صغير وكبير وكتاب الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان ، وشرح ما آخره ياء من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء . استوفى فيه جميع أحكامها على اختلاف أحوالها من تصغير وتكبير وغير ذلك

(١) بمعنى بالفتوحات النذور وما يتصدق به على روح الميت أو يوضع على قبره من الزائرين

(٢) يياض بالاصل يسم أربعة سطور

ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جلياً تعرض فيه لشرح مقاطع الياء الواقعة في سورة مريم لاشتغالها على كثير من تلك الاحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق . وله كتاب مختصر في علم الانساب ، وآخر مختصر في الانواء على مذهب العرب ، ورسالة الحول تعرب عن آداب وحفظ غزير

وكان سبب تأليفها أنه حضر يوماً عند قاضي البلد أبي محمد عبد الله بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي فحكم بحكم أخطأ فيه ، فرد عليه الفقيه فزجره وقال اسكت يا حول ، فما استدعيت ولا استغثيت ، فألف تلك الرسالة . واختصر كتاب نسب قريش لابن عبد الله الزبير بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله تعالى

قال التيجاني : وحسبك بهذا التأليف علماً وفائدة . وقد مدح هذا الكتاب للشيخ أبو الحسن بن مغيث بقوله : هو كتاب عجب لا كتاب نسب ، وقد أدخل أبو اسحاق فيه من حفظه زوائد تشتمل على فوائد فيه عليها . ولم تكن له رحلة عن طرابلس الى غيرها ، وقد سئل : أنى لك هذا العلم ولم ترتحل ؟ فقال اكتسبته من بابي هواره وزناته ، وهما بابان من أبواب البلد : الاول من شريقها ، والثاني من غريبها ، نسبا الى من نزل بهما في سالف الزمن [من قبيلتي زنانة وهواره] . وهذا منه اشارة إلى أن ما استفاده من العلوم انما كان بقاء الوافد عليها من الغرب أو الشرق

وكان له رضى الله تعالى عنه اعتناء بقاء الوفود وكرامهم ، ولم أقف على تاريخ وفاته

﴿ الامام الحافظ الشيخ عبد العزيز أبو فارس ﴾

ومن كان بها من العلماء الحفاظ الامام أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم

ابن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيدة . كان فقيها حافظا ، حاز من العساوم الاصولية والفروعية الغاية واقتناها وهو سبأى النسب ومولده بطرابلس سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وتفقه بالتقاضي أبى موسى ابن عمران الطرابلسي وارتحل الى الحج سنة ثلاث وسبعمائة

❦ الاستاذ أبو موسى بن نهران الهوارى ❦

وكان شيخه أبو موسى الهوارى المتقدم الذكر فقيها عالماً تولى القضاء بطرابلس نيماً وثلاثين سنة واستن فيه بسنة أهل الفضل والعدل وكان رضى الله عنه ذا أخلاق جميلة وسيرة حميدة مشتهراً بالعدل ، وبذلك أرسل له الخليفة الحفصى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فوصله بتونس فولاه القضاء بها وأقام نيماً وعشرين شهراً ثم توفى رحمه الله تعالى سنة ستين وسبعمائة

❦ الاستاذ الشيخ أبو محمد بن أبى الدنيا ❦

ومن أشياخه أبو محمد بن أبى الدنيا المتقدم الذكر ، كانت له رحلة من طرابلس الى المشرق في طلب العلم ففقد فريضة الحج وادرك الريفي والصغراوي وأخذ عنهما ، وارتحل الى تونس في مدة الامير أبى زكريا ابن أبى حفص فاقام بها زمناً ثم عاد الى بلده طرابلس ، واستدعاه الامير كما ذكرنا فولاه قضاء الجماعة والانكحة والخطابة بالجامع الاعظم . وله تصانيف كثيرة منها العقيدة الديلية وشرحها وجلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس ، وكتاب مذكر الفؤاد في الخضر على الجهاد

وكان رحمه الله تعالى أديباً شاعراً ، ومن شعره قوله :

طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيت بالتوحش مونس
يكفيه أنساً أن يكون أنيسه أي السكتاب ونوره في الخندش
واذا رأت عيناه النسا أنى فلينفرن نفور ظبي السكنس
واقلم ينفك صاحب مقول من عثرة أوزلة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل حتى يراها في مقام المفلس
وأظهر له الخليفة المستنصر الخفصي تغيراً في بعض الاوقات فسكرت اليه
يستعطفه بهذه الايات :

أمولاي لازلم تنيلون عهدكم ضروبا من النعماء جلّت عن المثل
ولم يبق الا العفو وهو أجل ما ينال فأكل لي به منحه الفضل
فما العيش في الدنيا بغير رضاكم بصاف ولا طعم الحياة بمحلّول
وقد كدر الاعراض صفو معيشتي فأكرت أحوالي وأنكرني أهلي
ولي أمل يقضى بفقران زلتي وبالعفو عن جرمي وبالصفح عن مثلي
بقيت تزيد الملك عزا ورفعة ونحبي رسوم الفضل والدين والعبد
فلا يخطئني منك عفو ورحمة فانهما ما أخطيا أحداً قبلي
وصلى اله العرش بدأ وعودة على المصطفى من خلقه خاتم الرسل
وتوفي بتونس رحمه الله تعالى يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الاول من
سنه أربع وثمانين وستمائة .

﴿ الشيخ أبو الحسن الهواري ﴾

ومن كان بها من العلماء الفقيه أبو الحسن بن موسى بن عمران الهواري (١)

(١) ذكره ابن غلبون هنا باسم أبو الحسن بن موسى بن عمران الهواري ، وقد كتبتاه « عمران » بدل معمر بناء على ما ذكره في صفحة ١٧٥ في ترجمة أبي فارس ، فقال : وثقه بالقاضي أبي موسى بن عمران الطرابلسي . وأبو موسى هذا هو أخو المترجم له كما ذكره المؤلف . وقد ذكره الثاقب في تاريخه بقوله : أبو موسى بن عمران الهواري

الطرابلسي أحد أرباب الرتب الجامعين بين رياسة الفقه والأدب ، ولد بطرابلس سنة ست وستائة وقرأ بها يسيراً ثم توجه مع أخيه القاضي أبي موسى المتقدم المذكور الى المهديّة للقراءة على أبي موسى زكرياء البوني فلزمه مدة ثم عاد أبو موسى الى طرابلس ولزم البوني أبو الحسن وتفقه عليه واختص به اختصاصاً كبيراً ، فلما كانت فتنة أبي حمراء بالمهديّة وبعث الشيخ أبو علي ابن أبي موسى بن أبي حفص والى المدينة اذ ذاك بالتحديد من أبي زكريا البوني وأبي حمراء وتوجه الامر من الخليفة له بقتل أبي حمراء وازعاج البوني الى الحضرة فقتل أبا حمراء وحمل البوني على حمار ومعه خواص أصحابه ، فذكر من رأى ذلك : ان البوني تمثل عند اشرافه على الحضرة بقوله :

هكذا في البر يفعل بي كيف لو زلت بي القدم

وكان ممن وصل معه أبو الحسن بن عمران الطرابلسي ثم أدركت الامير شفقة على البوني فأعاده الى وطنه وأقام ابن عمران بالحضرة . وكان قصباً مفوهاً لساناً خطيباً غير أنه كان في لسانه فضول كثير ، كثير امتعانه به والتعرض له بسببه . وتوفي في دولة الخليفة المستنصر رحمه الله تعالى . وكان أديباً عاقلاً وله شعر كثير حدث عنه أبو يعقوب يوسف بن أبي موسى ابن أخيه ، قال : كنا جلوساً بين يديه فألشد بعض من حضر بيتين لابن الوليد سليمان بن خلف طابا جى وها :

مضى زمن المسكرام والسكرام سقاء الله من صوب الغمام
وكان البر فعلاً دون قول فصار البر نطقاً بالكلام
قال فألشدنا رحمه الله تعالى لنفسه متمماً عليهما بقوله :

وزال النطق حتى لست تلقي فنى يسخو بمرجوع السلام
وزال الامر حتى ليس الا سخى بالاذى أو باللام

وكان الخليفة تغير عليه مرة ، فتقفه بدار الاشراف . وكان ممن ثقف
معه أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيلي فحصل بينهما اتصال وود ، فاتفق أن سرح
ابن همران قبل الفضيلي فهناك الفضيلي بذلك وأنشأ مرتجلا :

لئن سرتني فك الاسارى من الحبس فقد ساءني فقدي لما فيه من أنسي
ولو انني خُيرت فيما أريده لآثرت تقديمي سراحك عن نفسي
وفي مدة لزومه بيته للجفوة التي كانت له من الخليفة قدم صديق له من السفر
ممن تلزمه زيارته فكتب اليه :

كتبتُ ولولا الحكم كنت اليكم من الشوق في متن الرياح أطير
واني أسير أن أسير مسلماً عليكم على وجهي وذاك يسير
وما في صحيح العتب من خالص الوفا فسيان فيه غيبة وحضور
وله رحمه الله تعالى في معافاة الخليفة من مرض كان به :

الله أنعم بعد البؤس بالفرج يأزمة الدهر عند الشدة انفرجي^(١)

وله رحمه الله تعالى في مداعبة أبي المجد الصوفي لولوعه بشكاح العجائز :
أبا المجد كم تغوى بحب العجائز وذلك في شرع النّهي غير جاز
كلت بأطلال محال الدهرُ رعمها فأصبحت تبغى الفوز بين المفاوز
وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أهاً نردد لو تشفى لنا كُرباً وبالتعلات نحي لو قضت ارباً
وبالأماني ينال القلبُ بغيته وقد تحقق من معتادها كذبا
يرتاح ان لاح برق من جهامتها وما قراى له الا وقد ذهب

(١) ذكر المؤلف ثلاثة أبيات بعد هذا حدثناها لاختلافها وزناً ومعنى

يَسْرُ إِنْ مَدَّ يَوْمًا حَبْلَ مَنِيَّتِهِ وَمَا تَطَاوَلَ إِلَّا جُدًّا وَانْقَضَبَا
 إِنْ عَزَا مَا يَبْتَغِيهِ فَهُوَ فِي دَهْشٍ وَيَخْشِي الْفَقْرَ إِنْ مَا يَبْتَغِي قُرْبَا
 وَارْحَتَاهُ لِقَلْبٍ كَمْ أَجْشَمُهُ أَمْرًا يُذَيِّبُ مِنَ الْأَصْلَادِ مَا صَلَبَا
 وَكَمْ يُعَانِي مَلَأَتْ بِأَيْسَرِهَا يَهْوَنُ الْأَمْرُ مِنْ دُنْيَاهُ مَا صَعَبَا
 وَكَمْ يُلْجِجُ فِي أَفْكَارِهِ لُجْجًا سَوْدًا تَوَجَّجُ فِي أَحْشَائِهَا لَهْبَا
 وَكَمْ نَهَبَ مَعُومٍ مِنْ تَنَفُّسِهِ لَوْ اسْتَمَرَّتْ لَمَا هَبْتَ نَسِيمُ صَبَا
 اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لَا أَشْكُو الزَّمَانَ وَلَا أَبْدَى إِذَا طَرَقَتْ أَحْدَاثُهُ رَهْبَا
 وَلَا أَتْنُ لِحَلْطٍ مِنْهُ أَعُوزُنِي وَلَا أَسْرَ إِذَا مَا هُ الْمُنَى أَنْسَكِبَا^(١)

﴿ الشيخ عبد الوهاب القيسي ﴾

ومن الاويسيين بالمدينة المذكورة الشيخ عبد الوهاب القيسي رأى النبي ﷺ نحواً من أربعين مرة ، وكان يشاور النبي ﷺ في أكثر أموره ، وقبره الآن بها مشهور ولم يعلم قبر أحد ممن ذكرنا ، ولم يبق موضع سواه هو والشيخ الشعاب . وموجب ذلك استيلاء العدو عليها وطول اقامته بها

﴿ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الامام ﴾

ومن استوطنها من العلماء الاغراب بعد فتحها الاخير الامام للعالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الامام ، استوطنها ونال بها خيراً الى أن توفي سنة ^(٢) كان رحمه الله فقيهاً حافظاً منقطعاً الى الله سبحانه وتعالى ، ولم يشتغل قلبه من الدنيا بشيء ، ولم يتخذ ولداً ولا أهلاً . وكان رحمه الله أكثر اشتغاله بالمطالعة

(١) بعد هذا بيت حذفناه لعدم وضوحه

(٢) يابض بالأصل يسع كلمتين . وذكر النائب في تاريخه أنه توفي سنة ١٠٨٣

والذكر . وشرح الشيخ خليل شرحاً حافلاً وقفتُ على قطعة منه أجاد فيها .
وذكر لي الأخ سيدي محمد بن مصطفى الماعزي أنه لم يكله

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد بن ثابت ﴾

والفقيه الصالح الزاهد العالم أبو العباس أحمد بن ثابت ، تولى بها مسجداً ما
بين البئر الشامية والحمام الأكبر ، وبه كان يقرأ الدرس ، وتفقّه به جماعة من
أهل البلد ، منهم الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد بن محمد بن مقيل . وله رحلة من
بلده إلى الأزهر ثم إلى الحج ، ثم آب منه واستوطن طرابلس ، ولم يزل بها إلى
تاريخ هذا . وقد طعن في السبب وانقطع عن التدريس

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد النصري ﴾

ومن استوطنها من الأفاضل أبو العباس أحمد النصري ، كان فقيهاً فاضلاً
خيراً نصدي للتدريس إلى أن توفي بها سنة تسع وتسعين والـ

﴿ الشيخ أبو العباس أحمد القروي ﴾

والفقيه أبو العباس أحمد القروي ، كان فقيهاً عالماً أديباً توفي سنة ثلاث
عشرة ومائة والـ

﴿ الاستاذ أبو محمد عبد الله بن يحيى السوسي ﴾

والفقيه العالم العلامة الدّراك الفهامة ، الجامع بين المنقول والمقول ، شيخنا
أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد العزيز السوسي الجلمحي الصقالي الإدريسي ،
نشأ بجاحا بالصقال منها ، وارتحل عنها لمرا كش ، وحضر بها مجلس الفقيه أحمد
الطارفي الفقه ومجلس الفقيه أحمد بن إبراهيم السوسي ، وقرأ في أحكام القرآن

وبعض رواياته على الاستاذ سيدي أحمد أكرز : بهمة بعدها كاف وزاي مضمومة مشددة - نسبة لقبيلة من قبائل حاحا ، وانتقل منها الى السوس ولقي بها الأفاضل ، وانتقل منها لدرعة واجتمع بالشيخ العارف بالله تعالى العالم الرباني سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي والفتية العالم سيدي أحمد المشتوكي والعالم العارف سيدي عبد الكريم التدفي - نسبة الى تدفة احدى قبائل السوس - وعدة أفاضل وأخذ عنهم ، وانتقل منها لتغلالت ولقي بها الفقيه العارف بالله حمزة بن عبد الله بن سالم العياشي صاحب الرحلة ، وأخذ عنه النحو والتصريف وسمع منه صحيح البخاري ، وانتقل منها الى تلمسان ولقي بها المشايخ وأخذ عنهم الفقه : رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وعقائد العارف بالله تعالى سيدي محمد السنوسي ، وانتقل منها الى الجامع الازهر سنة ست ومائة والف . ولقي به الشيخ الفاضل العالم أبا عبد الله محمد النشرتي ، والشيخ أحمد ابن الفقيه الشافعي ، وشيخنا الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي الشافعي ، والشيخ أحمد البقري ، والشيخ المختار التلمساني ، والشيخ الاطفيحي ، والشيخ حسن الشرنبلالي الحنفي ، وتفقه بهم في النحو والتصريف وأخذ عنهم الفقه والتفسير والكتب الستة وتفقه به جماعة ولم يزل الى تاريخ هذا مقصدرا للاقراء ، أخذت عنه قطعة من البيضاوي ، ومسائل من المضد على مختصر ابن الحاجب أبقاه الله تعالى للنفع آمين

﴿الاستاذ الشيخ أحمد المسكني﴾

ومن تفقه بها وولد بها الشيخ الفقيه الصالح سيدي أحمد المسكني . كان رحمه الله تعالى صالحا بحجاب الدعوة محترما موقرا مهابا ، تولى الافتاء بها وسلك فيه سنن أهل العدل ، كان متجافيا عن الظلمة وأعوانهم ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يبالي اذا رأى عظيم منكر بتغييره ، ولا يتوقف فيه على مراجعة اولى الامر واذا بلغهم ذلك لم يسعهم الا مساعفة الشيخ ولد رحمه الله تعالى سنة اثنتين وأربعين والف وتوفي رحمه الله تعالى سنة احدى ومائة والف

﴿الاستاذ الشيخ محمد بن مقيل﴾

ومن تفقه بها وولد بها الشيخ العالم الصالح سيدي محمد بن مقيل الكبير تفقه
بسيدي أحمد المسكني وغيره من الوفود القادمين على البلد ، وتولى الافتاء بها
عند كبر سن الشيخ سيدي أحمد المسكني وصاهره الشيخ بابنته . ولد رحمه الله سنة
أربع وخسين والف . وتوفي ليلة الأحد للسمع خلون من جمادى الاولى سنة
احدى ومائة والف . كان رحمه الله تعالى فقيها ديناً شاعراً مجيداً فيه ، ومن شعره
يخاطب سيدي محمد بن الامام رحمه الله تعالى لما وفد الى طرابلس قوله :

لقد لاح في أفق الدنيا ذكاه	به آتجاب من وجه العويس فطاه
وما هو الا الواحد الجهمي الذي	عليه بمضمار الفحول لثواه
إمام همام قد علا منبر الملا	فأفحم من تبيان البلقاه
رئيس له سلطان كل رياسة	إذا ما تراءى قهقر العلماء
هو البارع البحر العباب محمد	امام له بابن الامام جلاه
اليه مقاليد البراعة سلمت	فحق لها فخر به وعلاه
لطائفه تجلت فكم من أفاضل	أمائل أعيان لها خطباء
ومنها هموس كالغزاة مسبل	عليها حجاب العز وهي ضياء
وتؤنس في دار الدجا ووصالها	ووصل الملاح الغافيات سواء
إذا لمحت تصنى بلدغة لحظها	وفي شهدها للذائقين شفاء
فهذا كتاب كاشف السر كاسف	لتقصيره والمعجز فيه وفاء
غلا زلات يابحر الفوائد لافظا	نفائس منها تنفق الادباء

﴿الاستاذ الشيخ أحمد بن عيسى الغرياني﴾

ومن ولد بها وتفقه العالم الخبير الدين سيدي أحمد بن عيسى الغرياني . وكان

رحمه الله تعالى شديداً في الحق

حكى أنه لما وقف عثمان باشا أملاً له على بنيه أحضر العلماء وسألهم عن صحة الوقف فافتوه بالصحة ، فأمرهم بالنزول فنزلوا ^(١) فلما حضر الفقيه المذكور أمره بالنزول والمواقفة فأبى عليه ، فسأله عن حكمه فأفتاه بالبطالان . والحق ما قال فقد صرح شهاب الدين القرافي رحمه الله تعالى في فروقه ببطالان ذلك ، ولحقه الاذى من عدم مخالفته النصوص مراراً وسجن على ذلك ، ولم يتوصلوا اليه بشيء ، فجزاه الله عن دينه خيراً . ولد رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وألف وتوفي رحمه الله تعالى ضحوة الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمان ومائة وألف

﴿ الاستاذ الشيخ محمد بن مساهل ﴾

ومن ولد بها وكان من الأخيار وتولى الافتاء وسار فيه رحمه الله تعالى سير العلماء العاملين الفقيه العالم الصالح سيدي محمد بن مساهل توفي ليلة الجمعة فأنحدر مضافاً سنة سبع وسبعين وألف . وكان رحمه الله فاضلاً له تعلق زائد بالوفود القادمة على البلد للقاء أهل الخير ، وانتفع به جماعة ، وتفقه به سيدي أحمد المكّي وغيره . وأخذ عنه سيدي عبد الله بن سالم العياشي صاحب الرحلة ، وكانت له رحلة مع سيدي محمد الصبيد

حكى عنه أنه مكث أربعين سنة يصلي الجمعة بمسجده . وله رحمه الله تعالى قدم صدق مع الله سبحانه وتعالى ، وكانت توليته الافتاء أواخر المحرم سنة سبع وثلاثين وألف

﴿ الاستاذ الشيخ عبد الله بن أحمد بن غلبون ﴾

ومن ولد بها في علمها وهو من أهلها الفقيه الصالح الشيخ سيدي عبد الله بن

أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون نشأ بمصراته ، وأخذ عن سيدي الشيخ أحمد المكيني ، وارتحل لجربة وأخذ عن الفقيه الفاضل الشيخ سيدي إبراهيم الجني رحمه الله ، وارتحل عنها إلى مصر وأخذ عن العارف بالله تعالى أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد الخرشبي ، وعن الشيخ العالم الشيخ عبد الباقي الزرقاني رحمهما الله تعالى وجماعة . كان رحمه الله تعالى كريما حلما يتقي ما يشين عرضه

حكى أنه كان رحمه الله تعالى بدرنة ووجد عليه قههاؤها من اقبال الامير محمد ابن محمود باي عليه ، فأجمع أمرهم على أن يفضوه باغرامه شيئا من الدنيا ، فدبروا لذلك حيلة بأن بعثوا الامراة من بنات الخطا^(١) بالبلد وأمروها أن تأتيه وهو بالديوان وتناديه وتدعي عليه بخمسين أصلا نيا أمانة وضعتها عنده ، ووصفوه لها ففعلت ، فلما أتته علم من ذكائه رحمه الله تعالى أنها خديعة قصدوه بها فبادر بالاقرار لها بذلك ، واستلف ذلك ودفعه لها ولم يفضبه ذلك ، وعفا رحمه الله تعالى عن فاعل ذلك عند ارادة الامير محمد باي الانتقام منه . توفي في صفر سنة خمس عشرة ومائة وألف

﴿ الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري ﴾

ومن كان بها من العلماء من أهلها الشيخ عبد السلام بن عثمان بتاجوراء و تفقه بسيدي محمد بن مقيل وغيره من أهل البلد ولم تكن له رحلة عنها . وألف كتابا في الفتاوي سماه « التذييل » زعم أنه ذيل به المعيار . وجمع فيه من الغث والسمين شيئا لم يسبق به . وكتابا سماه « فتح العليم » في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم تعرض فيه لما في البلد من صالحين ، واعتمد في وفاتهم وخصائصهم على أخبار هوام المتفكرة^(٢) ، وله حيل في المعاملات تدل على عدم اتقائه

(١) من المومسات (٢) هم المتسبون الى الطرق . ويسمون عندنا بالفقراء

كان يميل الى نصرة الطائفة المتفكرة المبتدعة ، ويحتج ببدعهم بما لا يشك في بطلانه من له أدنى مسكة من عقل . وإياه اعتمدت الفرقة المتفكرة ، حتى أنهم ان احتج عليهم بحديث أو آية عارضوا بالشيخ المذكور . وله كتابة على المختصر زعم أنه اختصر بها شرح الشيخ عبد الباقي عليه . توفي عفا الله عنه ليلة الثلاثاء لخمس خاؤون من شوال سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ونحانحوه في الانتصار لمتفكرة الوقت تلميذه الشيخ محمد النعاس وشديده على تلك الطريقة ، وحث عوام الناس وضعفاء العقول عليها ، وجعل لهم مرغبات من حكايات الصالحين ، وفي طيها هلاكهم وهلاك الدين

وقد بلغه عني أي أنكر صنيعهم ، وكنت قدمت على حضرة أمير المؤمنين لمصلحة عدت ، وأقت بجواره مدة ، وبلغه إقامتي فأثاني بمض أصحابه وأخبرني بدعوة الشيخ لي ، فوعده بالمرور عليه أن أبت الى أهلي ، فأثانا بعد وداع أمير المؤمنين واستعثنى في الحضور عند الشيخ ، فهيات رواحلي وأمرتها بالتقدم أمامي والمرور على الشيخ فان رأوا منه بشاشة أقاموا الى أن ألحق بهم والاطمنوا فلما قربوا من منزله [رأوا منه عدم ^(١)] البشاشة فظعنوا ، وتخلت بالمدينة لوداع قريب من الاخوان الى أن بقي للغروب نحو الخامسة عشر درجة وسرت ، فالتقينا بأخيينا سيدي عبد الله الشعاب الصيدي فدعانا لطعام فلم تسعنا مخالفتنا ، فتناولنا طعامه وصلينا المغرب وسرنا فقررنا بالمدرسة التاجورية التي بها للطلبة المشتغلون عليه ، فوجدناه خلف لنا صاحبه محمد بن سالم رسول دعوتنا سابقاً ليأتي بنا الى المحل ، فأثيناه وأكرم مثنوا وأحسن نزلنا ، ووافق ذلك ليلة جمعة وبها كان اجتماعهم فأنزلنا بمحلهم الذي يجتمعون به . فلما صلينا العشاء دعانا لبيتته وقرب لنا طعاماً ثم خرجنا منه لنعود الى محلنا ، فأمر بسراج لنا في محل آخر ، فدخلناه

(١) سياق السلام يقتضى هذه الزيادة ، و في الاصل يياض مكانها بسم كلمة

فوجدناه غير فسيح الساحة ، وغاب عنا الشيخ لترتيب المتفكرة مدة ، فرتبهم وقدم ، فلما مكث واستقر به المجلس سأل عن الحال وبالغ في التلطف بنا . ثم استفهمني : هل ما بلغنا عنك من التعرض لمتفكرتنا حق ؟ فأجبت : هو كما بلغك هني . قلت : انك تعلم محقق لكم واعتقادي فيكم الخير . وأنت تعلم أن الدين النصيحة ، وأنا الليلة ضيفكم وبجواركم فحق عليكم نصحي بأن تبيينوا لي الامور ومستندكم في ذلك بحجة واضحة وعلى قبولها ، أو تقبلوا بياني وحجتي فتعذروني فيما أتكلّم به . فكان من جوابه : ان هذه طريقة الشيخ سيدي عبد السلام ، فأجبت أن ليس ذلك طريقته ، وحاشاه أن يفعل ذلك ، وعلى تقدير فعله ذلك لا يقتدى به في ذلك اذ هو رجل مجذوب ذو أحوال لا يتعرض له في خاصة نفسه ، ولا يسلم فعله لمقتدى به . فأضرب عن ذلك وأخذ في الجدل ، فقال : وما تنكر منا ؟ قلت : اجتماعكم لذكر ليلة الجمعة والاثنين بخصوصهما ، فقال : هذه ليال فضلة ورد النص بتفضيلها ، قلت نعم ، وهل ورد نص في تخصيصها بشيء من العبادات ؟ فقال لم أقف على شيء . قلت : أجمعت الامة على أنه لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . فسكت . قلت : أعتقدون أن صنيعكم هذا دين ؟ فأجاب : لولا الدين ما فعلناه . قلت : بم يثبت الدين ؟ فقال بالتواتر : قلت سلمنا أن الشيخ المستندين اليه يسلم له ويقتدى به ، فن أثبت لكم هذا عنه ؟ ومن روى هذه الطريقة عنه ؟ فلا بد أن تكون رواية الدين بالعدول فقال : رواها شيخنا الشيخ سيدي علي الفرجاني . فأجبت : هو أصل هذا الامر ومؤسس قواعده وداعي الخلق اليه . فامتقع لونه ، فلما رأيت ذلك منه سألته : هل يقبل قوله فيه أو شهادته ؟ فأجاب : لا يقبل فيه . فانتقل الى الشيخ أبي راوي فأجبت وأزمته بمثل الاول ، فأنفى فيه بالاول . ثم اهتدى الى الشيخ عبد السلام ابن عثمان بعد مدة واحتج بروايته : قلت : هو منسوب للعلم ومشتهر بالعدالة .

خفرح بذلك . فسألته : هل يفعل ذلك ؟ فأجاب : لا يفعل ذلك . فقلت وهل هو راض به ؟ فأجاب نعم . فقلت : ما حكم الله في شهادته فيه ؟ فقال : لا تقبل . فقلت : حينئذ يجب عليكم الاقلاع . فاضرب عن كلامنا وأخذ يسأل عن المنكر من طريقهم ، فقلت : أخذكم مالا ممن غاب عن جمعكم ليلة الاثنين والجمعة كرهاً ممن انتسب اليكم وتسمونه حقاً ، وأخذكم ممن فعل معصية مالا سوى ما شرع الله فيه . فقال : مستندنا في ذلك جواز التأديب بالمال . فقلت : أنتم مالكيو المذهب ، ومذهب مالك خلاف ذلك : فقال نعم ، ولكن له وجه في الجملة . فقلت : إن جواز ذلك القائلُ به إنما جوز ذلك للإمام بشرط أن يضعه في بيت مال المسلمين إلى أن يتوب فيرجعه إليه . فقال : وأين الإمام ؟ فقلت مذهب مالك يقول باطالته بعد انعقاد البيعة ولو فاسقاً ، فسكت . فكان آخر كلامه لي : هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كائنة ما كانت . فن يومئذ زال ما كان عندي من أنصافه واتباعه الحق . هداانا الله وإياه إلى الصراط المستقيم آمين .

﴿ الاستاذ الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الصادق ﴾

ومن كان بها من العلماء من عملها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الصادق بن أحمد بن عبد الصادق بن محمد بن عبد الله العبّادي نسبة للمبايدة قبيلة من بني سليم . كان أولهم استوطن الحضراء من أرض فزان ، ثم انتقل إلى ساحل طرابلس واستوطنه ونشأ عنه خلق كثير ، وكانت له همة وسطوة ، ولقب بعض أولاده بالجبالية . وسبب ذلك أن عبد الله الجلد المنسوب إليه كانت له أخوة ومحبة في الشيخ العارف بالله تعالى سيدى زروق ، فأتاه الشيخ المذكور زائراً ، وكانت له زوجة تعطل فاشتكى إلى الشيخ فكاشفه الشيخ بأنها تلد جبلاً ، فولدت ولداً وممماً محمداً ولقبه الناس بلقب الشيخ له تبركا . ويقال لذريته أولاد الجبل

والجبالى . ومنهم ا كتسب الوصف أولاد محمد بن حموده لانهم أخوالهم حتى
 غلب الوصف الآن عليهم

كان رحمه الله تعالى فقيهاً صالحاً ديناً يكره الابتداع في الدين ، له تواليف
 عديدة في علم الكلام والفقه وكلام القوم ، شرح الصغرى للشيخ سيدى محمد
 السنوسى ، ومنظومة الشيخ عبد الواحد بن عاشر ، واختصر رسالة بن أبى زيد
 وشرحه . وله منظومة في عيوب النفس وشرحها شرحين كبيراً وصغيراً . وله
 تواليف في أسباب الغنى وشرح منظومة الشيخ عبد الغنى بن عبد الرحمن بن
 عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن الوليدى الفاسى في ما يجب على المسكف مرة
 في العمر عينا ، وفي ما يجب على الكفاية . وألف كتاباً في البدع سماه « تحفة
 الاخوان في الرد على فقراء الزمان » . وشرح منظومة الشيخ أبى عبد الله محمد
 الصالح الأوجلى في التوحيد ، وله عدة تواليف . ونظم أصول الطريقة المنسوبة
 للعارف بالله تعالى الشيخ زروق سماه « هداية العبيد الى الطريق المبتغى الحميد »
 وشرحه .

كان رحمه الله تعالى يميل لجمع المسائل دون تحرير ، فكلمته في ذلك فقال
 قصدي حفظ الدين ونقل أقاويل العلماء ، فأنه تعالى يتقبل عمله ويحسن ثوابه .
 توفي رحمه الله تعالى لثمان بقين من ربيع الاول يوم الاثنين بعد الظهر سنة ثمان
 وثلاثين ومائه وألف نعمده الله تعالى برحمته آمين

﴿ الاستاذ الشيخ احمد بن حسين بن سيد الناس ﴾

ومن ولد بها وهو من أهلها الشيخ الفقيه العالم العلامة ، التحرير الاديب
 النجوى اللغوى ، سيدى أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن

قائد بن أحمد بن علي بن سيد الناس . كان بيته بيت علم . ارتحل الى مصر ،
ولقي بها الشيخ أحمد البشبيشي الكبير ، والشيخ سيدي محمد الخرشى والشيخ
عبد الباقي ، والشيخ حسن الشرنبلالى وعدة أفاضل رحمهم الله تعالى ، وتفقّه
بهم في كل العلوم ، وأخذ عنهم الحديث ، والتفسير ، والكلام ، واللغة ،
والاصول ، والنحو ، والتصرف ، والقراءات ، والحكمة . وله رحمه الله تعالى
القصائد المشهورة بالبلاغة . منها تجميعه العياضية في مدح خير البرية ، فاق فيه
الاصل وغيره ، وله الرسائل المشهورة بالبلاغة والآداب السنية ، كلفامة
الثورية وغيرها . اختصر رحمه الله العزّيّة نظماً رائقاً سالماً من الحشو ، وله منظومة
في العقائد سماها « درة العقائد » سبعين بيتاً ، لم يرمثلها في سلاسة النظم
وعذوبة اللفظ . أعربت عن علم عزيز ، وله منظومة في مذهب أبي حنيفة
سماها « الممينه » كان رحمه الله تعالى علامة عصره فقيهاً في كل العلوم . فنى كل
علم تكلم أعجز فحوله ، لم يصحبه حظ ، ففُتّم عليه من هو دونه للفنّيا وكان ينشد
عند رؤيته : يحسبه الجاهل ، البيت ^(١) وكان محسوداً على فضله . وقد مدحه
الأفاضل من أهل المشرق والمغرب بغرر القصائد . فما مدح به قول القائل :

يا فاضلاً فضله بين الورى ظهرا	وعاقلاً وهو بالهلول قد شهرا
ويا فقيهاً له في الفقه مرتبة	أبدى بها سرماً أخفى من اختصرا
وعالماً بتقارير الشفاء شفى	أمراض قلب الذي في درسه حضرا
وصح لما روى عنه مشافهة	صحح متن البخارى ، وارنوى ، درأ
لقد حباك اله العرش جل بما	حباك مما به قد صرت مشهورا
يا ابن الحسين جزاك الله مكرمة	أبديت في كل علم للورى عبرا
« عزّيّة الشاذلى » كانت منثرة	نظمتها فعلت قدرا على النظرا

وفي العقائد أبديتم لمتشغل بعلمها « درة » قد فاقت الدررا
كفالك في مذهب النعمان نظمكم « معينة » سرها في السالكين سرى
وكم مسائل قد كانت مشتتة جمعها ففدت كالدر حين يرى
يا أيها العلم الفرد الذي افتخرت به طرابلس لما آن بها اشتهرا
دامت عليك من المولى نعمائه ولا برحت بسر الله مستترا
ودتم قبلة للقاصدين ولا زالت فضائلكم في العالمين ترى
بجاه أحد خير العالمين ومن على البراق الى السبع الطباق سرى
عليه والآل والاصحاب قاطبة تحية عرفها قد أخجل الزهرا
ولو تبقينا ما مدحه به الافاضل من أهل المشرق والمغرب نظماً لجمعنا من
ذلك ديواناً . وفي هذا كفاية . توفي رضي الله عنه ليلة السبت ليلتين خلتا من شهر
رجب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

وأما كون أهلها يتركون التجارة وقت صلواتهم اشتغالاً بها فأمر أشهر من
أن يذكر ، ولم يزل منادي السلع ينادي عليها الى أن يسمع الاذان فيضرب
أمينهم حلقة الباب فاذا سمعوا ضربها انفضوا الى الصلاة وتركوا المتجر
قال الناظم :

﴿ بها ملك اندى من السحب راحةً وأرأف بالاعراب من والداتها ﴾

﴿ له همة تدعو لتأييد سنة يحفظ مبانيها وجمع رواتها ﴾

أقول : الملك الممدوح هو أمير المؤمنين أحمد بن يوسف بن محمود بن
مصطفى القرملي نسبة الى القبيل المشهور بأرض الاناضول بيته بيت عز ومجد
مؤئل . كان جده مصطفى كبير طائفة من الجند موقراً مهاباً . وأبوه يوسف نشأ
عاملاً ، ولم يزل كذلك مهاباً موقراً بدار الملك مشهوراً بها الى أن توفاه الله تعالى

وخلف أمير المؤمنين أحمد في رفاهية عيش وعلو همة ، ولاء خليل باشا عمل أبيه على ساحل المنشية ، وكان يكرمه ويواصبه ، ولم يزل كذلك مهابا موقرا الى أن أراد الله تعالى نقل الملك من يد ابراهيم أليل الى محمد باي الملقب بابن الجن فنظر أهل الديوان في البلد مع سابق الارادة الازلية ، فكان لاربعم عشرة خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف . فازداد أمره وعلا شأنه . ولما قتل محمود أبو أميس ابن الجني غدرا وتولى موضعه وبايعه من بايعه على ضئيلة توسم في أمير المؤمنين أحمد صلاحية الملك دونه ، فاراد الفلك به ، فارسله الى غريان ليعطش به من فيها من الجند ، فراسله أهل الديوان من رؤساء المعسكر وعامة الجند وأهل البلد بالقدوم عليهم ليبايعوه ، فقدم يوم الثلاثاء لاحدى عشرة خلون من جمادى [الآخرة] ^(١) سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، فدخل السوق وبايعه من به ولم يختلف في بيعته من أهل البلدين المنشية والساحل وأهل الديوان والمدينة اثنان لعلمهم بصلاحيته لما قلده من أمرهم دون غيره . وحاصر محمودا في المدينة يوما ، وراسله أهل المدينة بالبيعة ومسكوا محمودا بواسطة حسونة الشريف ، وأدخلوا أمير المؤمنين المدينة وبايعه الناس وتمت له البيعة ، وقدمت عليه الوفود من أهل القرى والبوادي يبايعونه وأعلن بنصرة الشريعة وأهلها وعقد مجلسا لحضور العلماء بين يديه لفصل الخصام ، وأمر عماله أن يفعلوا كذلك ، ففعل البعض ، وبالغ في تعظيم العلماء واکرامهم وفرض لهم في الاعطاء ، وزاد في اكرام آرباب البيوت القديمة وحشد الناس سيرته ولما مضت على بيعته عشر ليال خلع على يوسف باي وولاه « دايا » وأقامه بالقلعة ، وخرج عن المدينة وسكن بالمنشية . وكان ذلك في أواسط جمادى المذكور من السنة المذكورة

(١) ذكر في اول ترجمته انه جمادى الآخرة

[وفي الحادي والعشرين من هذا الشهر ^(١)] قدم خليل باشا في أسطول من قبل السلطان والياً ، وأراد الدخول ، فحضر العلماء والروساء من أهل الوطن بين يدي أمير المؤمنين وأجمعوا على منعه من الدخول ، فأقلم الى جهة الغرب في ثمانمائة مقاتل ونزل بزواره « قرية من عمل طرابلس يسكنها أخلاط من العرب والبرابر ^(٢) » وأسكنوه وأنزلوه بها ، وبعث الى الأعراب فقدم عليه ابن فوير ومن تابعه على الفساد ، وتقدمت السفن فقدمت المدينة استخلون من شهر رجب من سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف . وزحف خليل بمن انضم اليه من الأعراب حتى نزل زواغة ، فجنّد له أمير المؤمنين عسكره ، ووافته خيله المرتزة والمتطوعة والتقى الفريقان بزواغة ، فانكشفت الحرب عن خذلان خليل وقتل بزواغة « وهي مدينة قديمة المسماة بصبرة » ^(٣) يوم السبت لثلاث عشرة خلون من رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وانصرفت بعد أن أقامت على المدينة نحو خمسة عشر يوماً يراجعون الناس في قبول ولاية خليل ، وعامة الناس وخاصتهم يابون قبولها . وكانت أقامتها قبل اقلعها به لناحية زواره . ولما عادت بلا من أقت به توهم أمير المؤمنين ايقاع أهلها شراً بينه وبين صاحب القسطنطينية مولانا خايفة الله السلطان أحمد بن مصطفى باخبارهم بخلاف ما عليه الناس ، اذ مساعدته لخليل إنما كانت لما ادعاه خليل من محبة أهل الوطن له ، وإنما أخرجه منه قوم بغاة خارجون عن الشرع والنظر الصحيح فوجه وفداً كبيرهم أحمد بن عثمان وصحبته هدايا جليلة لحضرة مولانا السلطان ولما حضر لمخاطبة الحضرة العلية والرتبة السلطانية والذات المولوية الخاقانية ،

(١) الزيادة من تاريخ النائب ، والشهر جمادى الآخرة

(٢) وهي مدينة من مدن طرابلس المشهورة تقع على مرحلتين منها الى الحية الغربية وهي من مواعن

البربر المختصة بهم في طرابلس ، وهي على البحر ولما ميّله ذات أهمية

(٣) انظر الكلام على صبرة في صفحة ١٥

ودفع له كتاب الجند وأهل البلاد، وعرفه ما كان عليه خليل المذكور من الفساد وأنه أضر بالرعيا كل الاضرار، وسام الاكابر والاصاغر الخسف والذل والاحتقار، وتحقق أن ما ذكره له من موافقة أهل البلاد له ومظاهرتهم إياه شيء باطل وأمر لم يحصل منه على طائل. وكانت عادة البلاد قديما يأتيها على رأس كل سنة باشا من قبل السلطان، فقدم يوم الاحد لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين ومائة وألف محمد ريس الملقب بـ « جاتم خوجه » باشا من قبل السلطان أحمد، فأكرمه اجلالا لهيبة مرسله ووجهه اليه بعد انقضاء مدته معرزا مكرما.

وفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف أواسط شعبان تاق أهل تاجوراء للخلاف واستدعوا له غوغاء من أهل ترهونة وبعض أولاد حميد بن جارية، وسرى بهم طيف الخيال. فلما بان له منهم ذلك جنده مرتزقة وخيم في رياض سكرة^(١) وأظهر أنه يريد غريان لو مبيض نار خلافها، وراسل عامل تاجوراء ليبعث اليه مائتي رام من رماثها بسلاحهم فاحضرهم، وشمخت بذلك نفوسهم وظنوا عجزه عن اقامة الملك بدونهم، وواعدوه وقتا يلاقونه خارج بلدهم ففعلوا فلما التقى بهم أمر بأخذ سلاحهم وإيقافهم، وفرقهم في خيام الجند وقدم البلد وخيم بقلعتها، وأغرمهم من المال ما أثقلهم أداؤه وارتحل عنها، وولى تغريمهم ذلك صاحب خيله أخاه لأمه الحاج شعبان بك بن يوسف، فلما كان التاسع والعشرون من الشهر المذكور من السنة المذكورة أجمعوا أمرهم ومن وافقهم وهجموا عليه بالقلعة يريدون قتله، وكان معه طائفة من الجند فامتنع منهم حتى تمكن من القلعة وحاصروه بها ورموه بالحجارة وامتنعوا من الاداء، وبلغ خبر

(١) موضع بالنشبة جنوبي مدينة طرابلس فيه من انواع الاشجار ما يندر وجوده في غيره، وفيه بساتين غناء ومناظر تشرح الصدر، وفيه من جيد انواع الثار والظلال الوارفة ما استعق ان يسمى به « سكرة »

فعلتهم تلك أمير المؤمنين بعد العشاء فاستنفر المرتزقة وأهل البلدين الساحل والمنشية وصباحهم فلم يقووا على حرب ولا دفاع ، وأباح أموالهم فنهبت ديارهم ومواشيهم ووثق منهم وقتل « ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، وأغرهم مالا ثقيلا ووالى عليهم المغارم حتى بدد شملهم وتركهم عبرة لمن تأقت نفسه لما تأقت نفوسهم اليه .

وفي السنة المذكورة في أواخرها خرج على البيعة ابن حسين الكول أوغلي ولحق بقرية مسلاتة ، وبايعه من بها من الرعايا وغيرهم الا آل بيت النبي ﷺ وأعاتهم على فسادهم محمد بن منصور الترهوني الملقب بسوق الذيب ^(١) ومن واقفه فاستنفر أمير المؤمنين جنده وتولى حربهم بنفسه ، فبدد شملهم وفرقهم وأحاط بهم ، الا من توغل في الجبال ، وحرَّق بيوت الرعايا الذين بايعوه ، وأباح نهب أموالهم وأغرهم ثم عفا عنهم وارتحل ، ورجع مظفراً منصوراً . ثم خلع بيعته بأثر ذلك ابن عشرين ، وواقفه على ذلك بعض أهل البيوت القديمة ولم يجعل الله لهم أثراً ، ثم بعد ذلك عفا عفو قادر على أهل البيوت وأقارب القائم ، وأحسن وبالغ في الاحسان لكل جزاء الله تعالى خيراً

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة وألف فخلع فيها علي بن عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي المكني « أبو قيلة » بيعة أمير المؤمنين ، وانضم اليه كل مفسد من الجبال وأودية الككوم ^(٢) ومن أراد الفساد من أهل السواحل ، وأخذ أموال الرعايا ، ونهب مواشيهم وأكل الزروع ، وأخذ أولاد خليفة وأولاد نصر ، وسبى حريمهم ودخل يبيع بناتهم كرها ، وقتل نحو الستة عشر رجلاً من بني

(١) سوق الذيب كان رجلاً عظيماً في ترهونة وهو شيخ قبيلة المهادي التي تسكن الآن جهة الدواوين وسيدى معمر ، وفي بعض السنين حصلت حروب بينه وبين الشيخ عبد المولى (الجد الأعلى لعائلة المريس) بقصد بدد الياء فهجروا وطنه إلى مصر ومعه بعض الصار و استوطنوا « أسبوط » ، ولا تزال قبيلة ترهونة معروفة بها الى الآن

(٢) اودية الككوم تقع في الجنوب الشرق من مزدة على مسافة يوم تقريبا

خليفة . وكان ذلك قبل سنة سبع وعشرين . واشتد أمره على الرعايا ، وكثر تابعوه حتى ظنّ ضعفه العقول أنه الفاطمي الموعود به . وارتحل بتابعيه الى ناحية الجبل الأخضر فالتقى بخراج أوجله وافدا على حضرة أمير المؤمنين فأخذه ، وأخذ خيل الجند الوافدين به ، فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك توجه الى لقائه وكان هو توجه الى الجبل الأخضر وهاداه كبراء أهله وأعطوه مالا وأخذ من لم يعطه ورجع . ولم يكن لأمر المؤمنين علم برجوعه ولا اقامته بالجبل ، فلما نزل الزعفران من أرض سرت خرجت من الجند طائفة تنصيده ، فالتقوا ببعض وراده وبعض قناص الصيد منه ، فأخذوهم وأخبروا أمير المؤمنين بدار الأعراب ، فارتحل من ليلته حتى أصبحهم على حين غفلة فاستولى على أموالهم وحرّ بهم ، وقتل أخاه عبد النبي وفر علي بنفسه ولم ينبج من أبلهم وأموالهم الا ما قل ، ووجد بيئته الخراج المأخوذ تالما ، ورجع منصوراً مظفراً ، وكان ذلك أوائل ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائة وألف . فلما قدم المدينة أنشد بعضهم بين يديه قصيدة وبذل له فيها كثيراً ، وهي هذه :

هذي جنازهم وذا نحر الوري	بالنصر والغوز المبين مبشرا
قل للجحافل يصبروا أو ينفروا	فاليوم يوم دمائهم متحدرا
جاء الصلاح الى الفساد فكيف لا	يذرُ الفسادَ وأهله تحت الثرى
ان الجحافل حان وقت وفاتهم	ففتناؤهم لا شك فيه ولا مرا
وافام الدهر القوي ومن سوى الد	هر القوي على العدو بأقدرا
فتزلت بلغوهم حافاتها	تركت مقدم جمعهم متأخرا
واستسلمت طوعها وكرها نحوه	لما رأت ظفرا يقل مظفرا ^(١)

(١) بعد هذا بيتان في الاصل لم تستطع قرأتهما لعدمهما

لم تلق منهم غير من في كفة
حافين حول لواء من في طية
نسخت شعار صفاته ما كان من
لا تسمعن الحديث ليث غيره
أفنى جوعهم وخرب دورهم
فاستلبوا الأرواح حتف أنوفهم
بالموت أنذرهم وبشر أنه
كأس المنون تديرها أسد الشرا
لمع يخيل عززل مصورا
كسرى ومن إسكندر أوقيصرا
فالصيد كل الصيد في جوف الفرا
فنواح أهليهم غدا متكررا
وكسى البقاع من الدماء معصفرا
لا زال أحمد منذرا ومبشرا

ثم زين له علي المكّي التوجه لفزان وحته على ذلك ، فتوجه إليها حتى نزل
على مركز وحاصرها أياما نحو العشرة ، ثم قدم عليه خبر أزعجه فارتحل عنها
ورجع الى المدينة أو آخر سنة ثمان وعشرين ومائة وألف

ثم راسله صاحب فزان مع خواص بلده وأرباب البيوت منها وتلطف أن
يقبل منه الخراج ، فقبل منه الى أن ظهر منه من قلة الأدب ما يوجب التوجه اليه ،
فتوجه اليه بعد أن اخذ على بن عبد الله بن عبد النبي بعد عوده لمثل ما كان عليه
« بدريد » (١) - ماء مورود - وكان أخذه له على يد صاحب خيله أخيه الحاج
شعبان باي ، فوافاه ولم يخرجوا له من السور ، وأقام عليها مدة قليلة ، وأباح نهب
بعض البلاد التي لم تحب دعوته كالقطرون - إقليم تحت ولاية صاحب فزان ،
كثير النخل والزراعة يرده أهل كاوار ومن حوله من جفاة السودان ، وأهل
النوبة قليلا - ثم رجع ولم يصب من مركز - محل كرمي صاحب فزان - في
تلك المرة ، وكان ذلك في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف . وكان
كبير الجنود الذين أرسلهم لنهب القطرون وأخذها إبراهيم الملقب الترياق
الكلول أوغلي ، فأصاب منها مالا كثيرا اختصه لنفسه ولم يعاتبه أمير المؤمنين

(١) هو عدة آبار متقاربة بعضها من بعض ، وتقع شرق مزدة الى الجنوب بمسافة يوم ولصف تقريبا

على ذلك .

فلما كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف خلع البيعة ابراهيم الترياقى وعلى ابن خليل الأدهم و ابراهيم أبليلو وطائفة من جفنة الجند .

وكان سبب ذلك أن أمير المؤمنين وجه صاحب الخليل الحاج شعبان والبا على أهل برقة : بنغازى ، ودرنه وبواديهما ، وأرسل القائمين من الجند صحبته ، وصحبهم مفتاح بن عبد الرحمن الاصفر : رجل يزعم علم الغيب ، واعتقده أولاد الترك الذين هم بمصراته . فلما سحب الوالى المذكور اساء الادب معه ظناً منه ان له فيه العقيدة كما للمذكورين ، فبالغ فى الاغضاء عليه الى أن بطش ببعض أهل درنة وبعض من معه لامر قيل فيهم ، بطش بهم من غير ترور ، فاجتمعوا والترياقى على المجذوب المذكور يستطلعون منه خبر الغيب ثم خلعوا البيعة من هناك ، وبايعوا ابراهيم الترياقى وعلي بن خليل الادغم ، على أن الاول ملك والثانى وزيره وكاهيته ، ووافقهم من شاكلهم من الجند ، ومن لم يشاكلهم لم يستطع دفعاً ، فوافق ظاهراً ، وتوجهوا من برقة كلما مروا بقبيلة دعوها الى البيعة فأجابت طوعاً أو كرهاً ، الى أن قربوا من تاورغاء وبها يومئذ قائد وحسن أغا وكلا على قبض الخراج ، فنهض لمسكهم على بن خليل و ابراهيم بليبلو ، فدخلوا البلد ، وأظهروا بعض كبرائثها على فعلهم ، ومسكوا القائد وأخذوا فرسه وسلاحه ، وتوجهوا الى ابن علاق وحسن نازل عنده ، فلما دخلوا بيته أرادوا البطش بحسن فخماء منهم ابن علاق وتوجه فارا الى الحضرة ، وفر معه من لم يرض بنعلهم ولا عقلم . ودخلوا مصراته وتمت بها بيعة السكول اوغلية الآ من قر ، وأرسلوا الى المملوك الذي كان رتبة أمير المؤمنين ليقوم بوظائف القصر الذي بمرسا قصر أحمد ليحمي من بها من سفن العدو . فأخذوا ما بيده من البارود والرصاص المعدلحماية بيضة الاسلام من النصارى ، وأخذوا سلاحه وفرسه : وحضر عندهم من الدجاجة المدعين علم الغيب

خلق لا يحصون كثرة ، وتقوى ظنهم في انهم يمتلكون وتوجهوا حتى نزلوا
تاجوراء وفر منهم حسن الصغير في شردمة الى الحضرة وخرجت لهم خيل أمير
المؤمنين فأخذت منهم شيئاً كثيراً ، وعفا عن أصابه منهم الا القليل ، وتفرقوا
في البوادي يحمون رؤوسهم ، فكاتبهم بالامان الا رئيسي الثورة : علي بن خليل
والثرياقى ، فتوجه على بن خليل الى مصر ، وبقي الثرياقى بالاعراب يتقلب في
البرارى . فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين - ونحن يومئذ بمصر بالجامع الازهر -
قدم كتاب من الحضرة بتأمين على ان قدم تائباً ، فشكرنا عفوه وقدمنا على
الحضرة . فلما نزلنا « التميمي » أحسنا ما عذب ببطن واد يبعد عن درنة مسير
يوم - أخبرنا أن محمداً الملقب « جانم خوجه » أتى مطروداً من الحضرة السلطانية
الأحمدية ونزل على بنغازى وبايعه كبراء الاعراب : عبد الله أبو طرطور
الجبالى ، وصالح بن سليمان ، وسليم بن جليد بن موسى وسائر كبراء أعراب الجبل
وبرقة ، ووافقهم أهل البلد . وكان صديقنا في الركب الحاج على الماعزى وعلى
ابن خليل ، فوافينا جماعة من الجند كان أرسلهم أمير المؤمنين في بعض السفن
فظفر بهم جانم خوجه ، وكنا أردنا الإقامة بالجبل لزيارة رويغ بن ثابت بن
السكن الانصارى النجارى صاحب رسول الله ﷺ . فلما وجدناه بها عجبنا الى
الحضرة فأخذنا من وجدناه من جندها ، ورحلناهم وزودناهم . وسرنا حتى
انتهينا الى « المنعم » - احسنا ما عذب شرقي مدفع^(١) وادى الكبريت ، -
فرأينا جند أمير المؤمنين به وكبيره يومئذ ابراهيم تابعه متوجها الى لقاء جانم
خوجه ومن معه ، وناول أمير الحج كتابا من أمير المؤمنين بالتحجير على بيع اغليل
لغير الجند ، فناولني أمير الحاج فقرأته وشكرنا الله على العافية . ونادى أمير
الحاج في الناس : من باع فرساً لغير الجند فلا يلومن^٢ الا نفسه ، وكان بيدي

(١) يستعمل الطرابلسيون كلمة مدفع الوادى، ودفعه ومضيه: في الموضع الذى ينتهي اليه جريانه . ويركد فيه

فرس جيد وشى به بعض الناس عنده ، فلما بلغنى ذلك أرسلت به واحدا اليه
ففرح بذلك وردّها على ، وتعال بأنّها لو وافقته لاعطى أضعاف القيمة ، وبالف في
الاكرم وكان ذلك أواسط شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف

فلما نزلنا مصراته ائت بالاهل ويجوار الوالدة ، وكانت صحبتي هدايا
للحضرة فارسلتها اليه ووجهت كتاباً من عندي الى الحضرة اعتذر
عن المثل بين يديه ، فشرفتي بكتاب العمال يتضمن احترام
رعايتي واعوانى ومن لا ذنبى من الطلبة . وحدد عن العمال فيمن
قصده على من خائف اذا بلغ أرض كذا فلا يقرب ولا يمك جزاء الله عنا خيراً
فأئت شهر رمضان بأهلى وكان عامل البلد سن فيها قتل النخل^(١) وجعل فيها
محلا لبيعه ، فبعثت اليه أن هذا لا يسعكم في دين الله ولا يسع أمير المؤمنين غداً
بين يدي الله ، وقرأت عليه كتاب أمير المؤمنين ، وأفهمته ما تضمنه من تعظيم
الحل وقوقير الطلبة ، وأخبرته أن هذا لا يوافق . فأعرض عن الكتاب ،
فأرسلت الى المخبرين وأعطيتهم ثمن ما اشتروا به النخل وتركوه ، وقدمت على
الحضرة ، فلما مثلت بين يديه وأخبرته بالواقع أمر برفع يد العامل وولى غيره
فأقننا بجوارده في كرامة الى أن دخل شهر ذي القعدة ، فاجتمع جماعة منهم احمد
المعروف بابن الرئيس^(٢) وبعض بني علوان على خلع البيعة ، واتعدوا على وقت
معلوم فهرب ابن الرئيس^(٢) ومن معه ، ودخلوا على الحاج شعبان وهو بمحلة
فقتلوه ، وفشل موعدهم بالعذر بأمر المؤمنين ، وشتت الله شملهم وأعاد كيدهم في
نحرهم . فأخذوا وقتلوا ، وفر ابن الرئيس^(٢) الى جبل الحاميد ، واستقر أمر
أمير المؤمنين بنخير ، وبقي ابن الرئيس^(٢) مع أعراب الحاميد الى سنة خمس

(١) قتل النخل : هو ان يقطع جريد النخل حتى اذا لم يبق الا الجارة . - وهى شجرة النخلة - عمل
حواليها سوس ، وهى بهذه العملية تصب ماء كالسل ، فاذا تخمرا استحال الى خر ويسى (اللقي)
(٢) كانت في الاصل « الرايس » وهى كلمة عامية شائعة الاستعمال في طرابلس

وثلاثين ومائة وألف ، فخرجت أعرابهم لارض « سرت » وأخرجوا أهلها منها كرها ، وأخذوا مواشيهم ، وقد كان جعل صاحب الخليل ابراهيم موضع أخيه المقتول تداركه الله بالاطف ، فلحق بهم في أرض سرت فأخذهم وفرق جمعهم وهرب ابن الرئيس فلحقه بعض الاعراب ومسكه وقدم به على الحضرة فقتل صبراً . كما تدين تدان .

ونداء - أكرمه الله ووقفه - وحديث فضله سارت به الركب ان شرقا وغربا وقصده الشعراء والناس وامتدحوه . وأعطى عطاء يفوق عطاء مثله قصده محمد جر كس ، واحمد بك الاعسر ، واحمد بك الصغير ، وعمر بك لما أخرجوا من بلادهم فارين برؤسهم فآمنهم وأكرم مشواهم ، وبعث كاهيته حسن الاحمر للقائم وكان لما نزل الحاج بمصراته ومعه محمد جر كس التقيت به وأكرمته مشواه عملا بحديث « راعوا عزيزاً ذل وغنياً افتقر » . ولما كان له من منة على سيدي على الشري الطرابلسي ومجاوري البلد بالازهر ، فأسر الى الحديث في شأن أمير المؤمنين ووفائه بالذمة ، فأخبرته بما صدقه العيان فشكر واطمأنت نفسه . فلما أصبح لقيه الكاهية بخيرات كثيرة وانعام واسع . ولما قدم على الحضرة هيأ له عرصة أنيقة البناء واسعة الفناء ، وأعد له فيها ما يليق بالهمة من فرش وما كل ومشرب من العسل والسكر . وبعث اليه وقر أربعة بغال لباساً من ثياب الملك والفراء الرفيعة . وأقام في جواره مدة ، وانتقل الى أرض الجزائر فلم يجد من صاحبها ما وجده من حضرة الامير مع ما له عليهم من اليد ، إذ هو جاء في خفارة ولد صاحبها ، وكان قدم عليه صحبة الحاج حاجا ، ووجده متنعا في بحبوحة الملك فأنعم عليه وأخذ بيده . ولما انقلب الحاج الى مصر وجد أن الله قد أزال النعمة عليه ، وفر عنهم الى المغرب متمسكا بأذياله . وكان قدومهم عليه سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ، وأقام أحمد الاعسر ومن معه بجوار ابن أمير المؤمنين محمود بك

صاحب ولاية بنغازي . في كرامة الى أن قدم على الحضرة ، فهيأ له من الاكل والشرب والمركب والملبس ما يليق بفرضه وأعطاهم ما تشتهي أنفسهم زائداً عما أعد لهم ، وأقام عليهم خدما وحناء عليهم حنو الوالدة على ولدها بل أبلغ . وهذا شأنه - وفقه الله تعالى الى الخير وأعانته عليه - مع كل غريب حل بجواره

ولما حلت بجواره « خناتة » حريم أمير المؤمنين بأرض المغرب مولانا السيد اسماعيل في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، وابن ابنها مولانا أمير المؤمنين بالمغرب السيد عبد الله بن اسماعيل سنة خمس وأربعين ومائة وألف أكرم مثواها وكفاها مدة اقامتها ما تحتاج اليه من مأكل وأسكنها عرصة فسيحة ، وأقام من الخزانة كافة ما تحتاج اليه دوايبها وخدمها . ولما ظعنت من عنده الى الحج أعطاها خمسين بعيراً ، وبعث لعماله في البلدان بالوقوف اليها فيما تحتاج اليه ، فوقف كل على حسب مقامه وجري بمجهوده ، الى أن خرجت من الطاعة ونعمه شاملة لها ، وكذلك فعل بها لما قدمت سنة أربع وأربعين ومائة وألف (١)

وأما دعوة همته لتأييد السنة فأمر أشهر من أن يذكر ، فقد كان الوطن قبل توليه - لشغل أهله بما دهمهم من الظلم وعدم مراعاة أهل الفضل والدين - في غفلة عن أمر الدين . ولما أراد الله ولايته ، وراعى جانب الدين في ابتداء أمره نفر من أهل طاعته خلق كثير لطلب العلم ، وتفرقوا في البلدان يطلبون العلم ، فتفقت منهم خلق كثير وآبوا اليه فأكرم مثواهم

(١) كتب على هامش الاصل هذه العبارة : « قوله وفي سنة اربع واربعين ، ضرب الامير المذكور سكة وسماها الدشارية كل عشرة منها بريال في ربيع الاول سنة ١١٤١ . وفي سنة ٤٤ ضرب الامير المذكور سكة وسماها الفتيديية كل عشرة بريال واستمرت الى اخر ولايته رحمه الله

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماعزى ﴾

فمن نفر منهم وتفقّه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماعزى للسكرول أوغلى ، ارتحل الى مصر ولقي بها الافاضل وأخذ عنهم العلم ، وتفقّه في كل العلوم : نحو ، وكلام ، وحديث ، وتفسير ، وانتقل الى مكة ، ولقي بها الشيخ أكرم الهندي وأخذ عنه ، والشيخ أبا الحسن السندي وعدة أفاضل وأخذ عنهم ، وآب الى وطنه فأكرمهم أمير المؤمنين وإعانه على بناء زاويته بالمخشيّة فبناها وهو في وقتنا يقيم بها لقراءة العلم نفع الله به

﴿ الشيخ محمد بن محمد بن مقبل ﴾

ومن تفقّه بها ولم تكن له رحلة عنها أبو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بن مقبل ، تفقّه بالشيخ عبد السلام بن عثمان ، والشيخ أبي العباس أحمد بن ثابت وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن النجار ، وجماعة من الوافدين عليها

﴿ الشيخ محمد بن أحمد المسكني ﴾

ومن تفقّه بها أبو عبد الله محمد بن أحمد المسكني نشأ بها وتولى الافتاء بها بعد موت الشيخ محمد بن مقبل الأكبر

﴿ الشيخ أحمد بن محمد المسكني ﴾

ومن تولى الافتاء بها أيام تأليفنا هذا الكتاب الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد المسكني ولم تكن له رحلة في طلب العلم ولا كثرة رواية ، ونصب لمكان البيت ^(١) وفقه الله للخير . وروى الفقه عن أبي الحسن علي بن الشاهد المالكي نزيل جربة . وأخذ عن الفقيه أبي عبد الله محمد المشهور بأبي حافر وغيرهما

(١) أي تولى الافتاء لالعلمه ولسكن لشهرة بيته وفضل اسلافه

﴿ الشيخ محمد بن عبد الحفيظ النعاس ﴾

ومن تفقه بها أبو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ النعاس التاجوري
تفقه بشيخنا أبي محمد عبد الله محمد بن يحيى ، وبالشيخ عبد السلام بن عثمان
وجاعة ، وأقام بالمدرسة للتاجورية الى الآن . وله اعتناء زائد بنصرة المتفكرة
وأهل الطرائق . هداه الله تعالى ووقفه الى الخير
روى الفقه عن أبي الحسن علي بن الشاهد نزيل جربة المالكي . وأخذ عن
الفقيه أبي عبد الله محمد المشهور بأبي حافر وخيرها

﴿ الشيخ سالم بن أحمد بن قنونا ﴾

ومن تفقه في أيامه وارتحل لطلب العلم الى حضرة مصر الشيخ سالم بن أحمد
ابن قنونا ولقي بها الأفاضل ، وأخذ عنهم العلم وآب الى بلده فعمل بها مدرسة
بازاء منزله ، وبالح أمير المؤمنين في اكرامه ومراعاته حتى انتفع به الناس . وهو
مقيم على السنة لا يترخص

﴿ الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن غلبون ﴾

ومن تفقه بها ولم تكن له رحلة لطلب العلم عنها الفقيه الفهم أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن أحمد بن غلبون تفقه بالوافدين عليها وأخذ عن أخيه أبي عبد الله
محمد بن محمد بن مقيل وأبي عبد الله محمد أبي حافر ، وعن العالم للفقيه الأديب
أبي محمد عبد العزيز بن عبد العزيز بن أحمد مروان ، والفقيه أبي عبد الله محمد بن
مصطفى المازري وجاعة ، وكان ذلك في مدة أمير المؤمنين

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن العربي ﴾

ومن تفقه في أيام أمير المؤمنين وارتحل عن الوطن لطلب العلم وخيم له
بارض مصر وجال فيها والحرمين الشريفين الفقيه الأديب العالم الشريف
أبو عبد الله محمد بن العربي بن محمد بن حمودة بن الصغير الهاشمي . وارتحل الى
مصر ولقى بها الافضل وأخذ عنهم ، واشتغل بالعلوم وتفقه فيها كلها . وله باع
واسع في الأدب ورقة ولطافة زائدة ، وله القصائد المشهورة البلاغة . فن
قصائده لما قدم الوطن ، وقدم دار الملك وغمط بعضهم حقه قوله :

أهل ترى العينُ الى قبل ودعوا	وהל سيل اجفاني التارق والهمع
وعل تبلى نفسى الامانى برهة	وهل يسرج الاحلاك من ليلناشمع
أو الموت أدنى من لبانة قاصد	يسامره جنح الدجى الشعر والدمع
بلى ان دهري والعم بتبددي	الى الله أشكومن زمان به ولم
فقال وللافراح من بعد جيرة	تفضي بهم رشدي وأعوزنى الجمع
لقد سئمت نفسي الحياة وطولها	تساوى لى القبر والسوق والربع
ولا سيما في منبر الجهل هذه	فكل سليم الذوق ضاق به الفرع
فلولا الامير المرتضى لم يكن لها	سجيس الليالي ^(١) في خواطرننا وقع

ولما بلغ أمير المؤمنين تلهفه وضيق ذرعه بما قال أمر باعطائه بيتاً بتربة
الامير محمد باشا فاعطيه ونزل به ، وأقام بالمسجد يقرئ العلم ، واشتغل عليه
الناس نفع الله به آمين

وأنشأ حفظه الله يمدح أمير المؤمنين معللاً نفسه فقال :

لك الخير عرج بي على طلل الربع محط المنى مغنى السكى المقنع

(١) أى طوالها ، كما تقول لايتك سجيس الدهر أى طوال الدهر

ولكن خالماً نعليك بين مراع
 هناك المنى والعزم حيث تقطعت
 به صادحات الورق تسجيم في الضحى
 يحا كيني اذ شط عني وليهم
 وبت بلبل نابض كانني
 وأحزان يعقوب تسربلت درعها
 وزهر رياض مائس بين جدول
 يحا كى جنا ورد ندي بوجنة
 فاذا عليهم لو أباحوا اجتناءه
 وعيناه قد أعماه ككرة البكا
 تحا كي نوالا لاح من كف أحمد
 على الغيث شبه من نداه كأنما
 ألا فاعجبوا من أربع وملاعب
 ولم لا يكون الورد موطيء أرجل
 أديب أريب فاضل متعفف
 أقول لأصحابي عليكم بأحمد
 فكم أضحك المحزون من نقش رسمه
 أثبت وجيش الهم جر خفيه
 اليك أبا الامداد حنت مطيقي
 لها منك حاجات وفيك فطانة

مقدسة تبلغ منك وترفع
 تمامه والمجد منك بسمع
 تنادى هديلا بين أدواح أجرع
 وقد خلفوا جمر الغضا بين أضلعي
 ظهينة شرك^(١) فرخها وسط بلقع
 وحيك فرائشي من سلالة أدمي
 به الماء منساب الى كل ممرع
 فباء بفضح في صدور ومشرع
 لقلعة صب مدمن الشهد مصرع
 فديعتها تهمني على كل مربع
 يقسمه ما بين كهل ومرضع
 يمر يداً فوق السحاب المرفع
 سحائب سيب منه ليس يقطع
 تجاورها من كل شهم حميدع
 نجيب حسيب عالي القدر أروع
 أفاد فجاء بالحياة المنوع
 وأبكي جريئاً بالشكاسة مولع
 فقهر جنناً من حسام مروع
 وآمالها سفن وجسمي بموضع
 سكوتى بها أولى لكم من توجي

(١) يقال للمرأة ، ظهينة ، مادامت في المودج شبه بها صغورة وقعت في شرك ، والبلقع والبلقعة الارض القفر التي لا شيء بها

مضى تعلم الايام والدهر مدحني لكم ترعوي عني وترني وتخضع
وله غيرها من القصائد زاده الله تعالى نباهة ونفع به وبأصله ، وأرشد أمير
المؤمنين لمد النظر اليه فانه أولى الناس بنظره وأحقهم به

وافقه في أيامه خلق كثير ممن لم تكن لهم رحلة ولا كثرة رواية ، واقتصرونا
على ذكر المشاهير منهم ، وكاهم مراعون لديه مكرمون

فان قلت : هذا أبو محمد عبد العزيز بن عبد العزيز مروان من أجل الطلبة
وأعلام سنداً في العلم ومنزلة في النسب قد حل به منه ما حل . قلت : هو منه في
سعة على ما ثبت من الطلبة فيه ، فما أخذه الابطما جنته يده بشهادة العدول ،
وهبه أنه لم يكن : كفى المرء نبلاً أن تعد معائبه

ومن مراعاته لجناب العلم الذي به حفظ مباني الشريعة جمعه العلماء بين يديه
لفصل الخصومة ، وتصريحهم بالمجلس : احكموا بحكم الله ولو عليّ ، وقبول
شفاعتهم فيما شفّعوا فيه في غالب الامر

فقد وقع لسكاتب هذا معه عدة وقائع شفّعه فيها : منها أنه أرسل — أكرمه
الله سنة ست وثلاثين ومائة وألف في الخريف يطالب أرباب البيوت والمحربين
من وظيف المخزن بشيء من القمح على يد العمال ، فأتاه عامل مصراته بعد
ما وظف على كل من أهل البيوت ما يخصه من تلك الطلبة ، وكان ممن كتبه
بطلبية ^(١) بعض اقاربي ، فلما ناوله التوظيف فاذا فيه بنو غلبون بكذا ، فأمره
— أكرمه الله وأعزه — بمحو ذلك . وكان العامل شرس الاخلاق بليد الطبع
فقال : غيرهم من أهل البيوت مثلهم فأمر بتنقيص الطلبة مراعاة لجاني ومكانتهم
فقال : ان اعتقدتم أن لهم بمحمد قرابة فليس لهم به قرابة ، وانما يجمعهم نسب بعيد ،
فقال : هم قوم حررتهم اكراماً لفلان وكان له غرض في تفريمهم . فقال ياسيدي ان لم

(١) الطلبة بكسر اللام : الشئ المطلوب

يعطوا ارتفعت الطلبة عن غيرهم وأتوكم ، فما زال يردد ذلك عليه وهو أكرمهم الله - يلين لسكرته المراجعة حتى خفف الطلبة ، ونبه على احترام الكتاب (١) واخوته ، فألقى له العامل ان فلانا يأتي شافعاً ، وما زال يردد ذلك حتى صدر منه أمراته لا يقبل شفاعتي . ثم قدم العامل البلد . ولما قدم اليها أرسل الي رسولاً يطالب بتلك الطلبة ، فأخبرت الرسول بأني أحضر اليه في غد وأنا قادم على حضرة أمير المؤمنين ان شاء الله . فلما حضرت عنده وأنا على اهبة السفر خاطبني بأني أرسلت اليك لتحضر لي طلبة امير المؤمنين في ملأ من الناس ، فأخذته لأختلي به فسكأني - من شراسة اخلاقه - أرسلت عليه افهى ، فأغلظ في القول وقال : انه لا يترك شيئاً ، ولا بد له من ذلك ، وكانت له على ضغينة . وذلك ان اهل الذمة الذين بهرته ارادوا احداث كنيسة ، فبلغني بعض الطلبة ذلك ، وكان العامل بالبلد يومئذ غيره ، فحضرت عنده وبالغ في التلطف معنا والاحسان جزاء الله خيراً ، واخبرته بما فعل اهل الذمة من احداث كنيسة في بلاد الاسلام فأجاب ان خبرها معه ، فقلت كيف يسمعكم في دين الله وأنتم نواب امير المؤمنين ان تحدث كنيسة في ارض اخذها المسلمون عنوة من يد من ليس بها الآن من العدو ، وهم طارئون عليها ، فلا جماع منعقد على عدم احداثها ، بل وتهد كنيستهم التي زعموا قدمها ، قال فكنت متوقفاً بحيث اذ أصمتوني ذلك أتولى هدها بنفسى ، فهدها وهده الاصلية التي زيدت هذه عليها . فرفع اليهود أمرهم الى أمير المؤمنين وأخبروه أن الموقع بهم هذه ابن خلبون . فبدأل أباً محمد عبد العزيز مروان عن حكم الله فيها ومن حضره من العلماء ، فأفتوه بالمنع فاغرض عنهم ، فراسلوا بعض من ينسب الى العلم من أهل تاجوراء فأفتوه بجواز تربيم ماوهى من كنيسة الصلح ، فاستفتاوا ببعض الحاشية ومنهم العامل المذكور ،

وراجعوا أمير المؤمنين وأطلعوه على النص وهو غير عالم بالفروع ، فكتب للعامل بعدم منعهم من بنائها ، وأرسل بذلك رسولا وحرصه الشافعون لهم بالوقوف هناك حتى تبنى . فلما حضر الكاتب بين يدي العامل وهو « علي » الملقب « شمار » لم يجد بدا من موافقة الأمر ، فبنوها . فلما قاربوا الأمام رجع رسول السلطان الى الحضرة فانتدب لتخريبها طائفة من أولاد الجند الذين بمصراته ، فأخربوها ليلا وأصبحت رميا . فلما أخبر بذلك أمير المؤمنين سأل عن الحكم فيها فأفتاه أبو عبد الله محمد بن محمد بن مقييل ، وأبو محمد عبد العزيز مروان بالندم ، فوشى الشافعون بي وأن هذا من فلان ، فلم يلتفت - أكرمه الله تعالى - لقولهم فاضطعنوا العامل على أن جاءت تلك الطلبة فيمن تعلق بي فظن أنه يظفيء بها ما يجد من حرارة هدم كنيسة أحدثت في دار الاسلام . فخاطبني بالغاظة ، فلما رأيت منه ذلك أعرضت عن محاورته وسألته كتاب أمير المؤمنين فاذا هو يتضمن احترامي والنهي عن دنو ساحتي ، فركبت فرسي ونهضت من عنده الى الحضرة العلية . فلما مثلت بين يديه انشدته أبياتا فقلت :

سيدي نصرة الضعيف وغوث	للفقير اذا الظلوم قلاه
رحمة يرتجى نوائل فضل	من يمينك من أراد غناه
أحمد بيتك المسكرم عز	كيف يخشي العناء من يفشاه
ناظم القول جاركم ومحب	قد أفاط بيايكم رجواه
يرتجي نصرة وغرفة فضل	من نوال وأن تكفوا عداه
خادم العلم في جناب الامير	منه دوماً بدعوة مانسائه
تقتضى رفعة وشامخ عز	في هناء وأن ينال مثاه
ابن غلبون قد أنى من بعيد	زائراً حسن ظنه قد دعاه

أن يكون شفيع قوم اليه نسبوا دنية ومنهم ولاء
 قد أتاهم حديث عز مريد منهم بعض طلبه ورواه
 قائداً ليته يكون رفيقاً بالفقير وربنا قد هداه
 وقت عدم لما أردتم دانتهم نيل جود وفيضكم نرجاه
 فلما أنشدته الأبيات قال : قد شفّعناكم وأمر بكتاب للعامل برفع يده ان لم
 يأخذ ، وإلّا رد ان أخذ . فوافاه السكتاب وقد أخذ البعض فردّه من بيته . وأمر
 بالاقامة بجواره ، فأقمنا بجواره في كرامة وجبر زائد ، وأمر بحضور المجلس مع
 العلماء لفصل الخصام بحضوره أيّاماً فلم أجده فيه أنصف منه ، ثم خرج الى التنزه
 في رياض الربيع ، فلما جئته للدواع أشار بالحضور معه ، فبقينا بعده في البلد ثلاث
 ليال ، ثم خرجنا وصحبنا أخونا الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عبد الله
 غلبون ، وأخونا أبو محمد عبد العزيز بن عبد العزيز مروان ، والأديب محمود
 ابن قاسم الخناش ، فوافيناه عشية بوادي المجنين في متنزه أنيق ورياض نضرة
 فلما رأنا ظهر السرور على وجهه وبالغ في السؤال عن الحال ، وأخبرنا أنه رأى
 بضحي ذلك اليوم أن قائلاً قال له : أنت تلام على عدم حضور العلماء معكم وقت
 خروجكم ، وها هو ابن غلبون قدم عليكم ، وخبرنا في الزول ففوضنا الأمر
 اليه ، فاختر لنا فسطاط كاتبه الأديب الأريب البليغ الفاضل صاحب قلعه الكاتب
 « قاسم بن أحمد بن رمزون » وأمر لنا بفرش وغطاء ، وأقمنا بجواره في كرامة
 أربعة عشر يوماً لا يحضره طعام الا أحضرنا وآنسنا عليه ، ويخاطبنا بما يزيل
 الاحتشام ، ولا يرفع يده الا بعد تحقق كفايتنا وربما عزم على من يراه منا محتشماً
 فجزاه الله خيراً ، ما أرق خلافة وألطف شاملة

ثم لما عزم على الرجوع الى دار المملكة أحضرني وقال قد فوضنا لكم في
 العطاء ، ففرض لي ولابن عمي فيه ، تقبل الله عمله ، واحضره له متقبلاً « يوم

تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه
أمداً بعيداً ،

ومن شمائله الكريمة التي بها تأيدت السنة ما فعله معي لما نزلت ببلدنا سحائب
هي فرع سحائب عاد لا أعاد الله مثلها في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة وألف أخرجت
للبيوت ، وأهلك المواشي ومما هدمته زاويتنا التي بنيناها في أيامه السعيدة لقراءة
العلم ودرس السنة ، ومسجد محمود خازن دار الذي ابتناه بقرينتنا وجعل نظره
لبني غلبون ، وعظمت على كلفة البناء فتوجهت الى الحضرة العلية وأخبرته بما
فعلت الايام بنا ، فأزال عني جورها وأمدني بما سددت به ما دثر منها ، أعانه
الله على ما أولاه

ومثل هذا ما فعل مع أبي الحسن علي بن عبد الصادق لما هد السيل زاويته
التي بساحل آل حامد . وكم له من مكرمة من هذا القليل وفقه الله وأعانه
وأما حلمه فهو أخنف وقته ، لم ينقل عنه عدو ولا صديق أنه أظهر غضباً
قط ولورأى أو سمع كل المغضبات

وأما حياؤه فحدث عن البحر ولا حرج ، حتى أفضى به الى أنه يبرم الأمر
فاذا رأى المبرم عليه استحي ونقض ما أبرم ، فرماه من لم يطلع على أخلاقه
الكريمة بعدم الوفاء بالعهد ، وقطع بأن ذلك سليقة لا لموجب . ولو علم أخلاقه لما
ظن ذلك ولا توهمه

وأما تأييده للاسلام فأمر يشهد به عمله : من ذلك وقته على سور البلد
أوقافاً كثيرة يفوق ريعها في العام على ألف وخمسمائة أو أقل بقليل . واجراؤه
الماء للمدينة لنفع أهلها على حنايا لم يسبق بها ، وإيقافه عليها ما يقوم بها . ومن
ذلك السوق الجديد الذي بازاء خندق القصبية من جهة الشمال ، وهو سوق فسيح
الفناء أنيق المنظر والمبنى ، وكان بناؤه سنة ست وثلاثين ومائة والف .

وبنى بالقلعة بيوتاً ومقاصير أنيقة وجدد ما وهي منها وقد كانت قبله خراباً .
وهو الذي جدد الباب للخندي الغربي السكائن بين سوق الخضر والحدادين .
وبنى المخازن التي على عين وشمال الداخل منه الى القلعة وبني الحاجز بين القلعة
ومجلس قائد الخندق ، حتى منع الداخل لغير حاجة . وبني «الفسقية» لسقي أهل
السفن على ساحل البحر التي لحق نفعها المسلم وغيره من غير تعب . وبني
الحواصل التي على عين داخل القلعة من الباب الموصوف الملتصقة بسور المدينة تجاه
القلعة ، وغير ذلك من مهام المسلمين . وكل هذا مع ضيق يده وكثرة شكاة
الفقراء اليه فتعجده في مراعاة الصلاح يشتد في جباية الخراج وربما استعجله ، فرماه
من لم يدر حاله بالجور ، أعانه الله ووفقه

ومن شدة حمله تجرأ العمال على الرعية فيزيدون شيئاً عليهم لم يدره وتأنيه
الرعية فيقبل قولهم فيستشفع العمال بمن يليه فيحلم عليهم فيظن غير الخبير بأحواله
أنه راض . وقد شاهده مراراً يصرح بأن الرعية ثقل عليها المغرم وأنه لم يجد
سبيلاً لرفعهم عنهم للحاجة . فقلت ان ذلك من جور العمال وادراجهم في الضرائب
مالم يكن لازماً ، فيقول السلطان لا بد له منهم وهم كدعائم البيت جزء منه ،
ويتعلل بالحياء وهو كما قال ، لما شاهدناه من حياته . وقد كان أرسل كاهيته
(حسن الاحمر) في شعبان يطلب من العمال شيئاً يستعين به على مصلحته فلما
حل ببلدنا يطلب عاملها في ذلك وهو إذ ذاك (سالم بن خليل الادغم) تعلل
له بضيق اليد وأنه لم تقم به أجرة عمله المفروضة له على الرعية ، واستشاره
في أن يأخذ ذلك من المحررين من الوظيف ففوض له الامر فأول من قصده بالسوء
جامعي وأهل حمايتي لمنافاة طبعه طبع بني آدم ، لما هليه أصحابنا من مداومة
طلب العلم ولما كان يسمعه مني من النصيحة حين اجتماعي به من جهة السرف في
الخراج [فيغفل لمن ذهب تمييزه ^(١)] ان ذلك مني بفضاً له . فكتب على لسان

(١) كانت بالإسلا (يظن لأذهاب ميزه الأصل) وهو تركيب فاسد

الكاهية وأرسل لهم يطلبهم ، وأمر رسوله أن يأتيني ، فوافاني أقرىء الدرس عشية وأنا بالسجدة فدخل يتخلل الطلبة حتى انتهى إلي فناولني كتابا فيه خطاب طم ، فقلت له غيري المخاطب ، فقال أمرني سالم أن أدفعه اليكم على أي حالة كنتم ، فلاحظته الى أن توجه وقفوت أثره حتى أتيت الكاهية وقت صلاة المغرب فوجدته بخباء معد له خارج بيت العامل فجئته خيانا كعادته وأحضر طعاما بين يدي الكاهية فدعاني اليه فجلست بإزائه حتى تناول الطعام ثم سألته عن الطلبة أهى من أمير المؤمنين بخصوص هؤلاء القوم ؟ فقال ان أمير المؤمنين لم يعين أحداً وإنما أرسل يطلب العامل بذلك وهو الذي عين ، فاستشفعت عند الكاهية فشفعني ، ودعا بالعامل وقل : انا قد شفعتنا فلانا في من انتهى اليه ، فقال لا بد منه فأجابته الكاهية : انا شفعتناه . فعربد في كلامه على مقتضى طبعه . فأمرني الكاهية بالمسير الى أهلي وقبل الشفاعة وأصبح عازما على الذهاب الى بادية تاورغاه ليقضي من عاظم مطالبه فلما مضى وجه الى كتابا آخر على لسان الكاهية ومكنه من رسول لا يفقه قولا ، وتهده ان لم يلاحظ لي في القول ، فخضرتي وأنا أقرىء درس الفقه بعد أن انتهيت من تفسير آية كنت أقدمها أمام الدرس للتبرك بكتاب الله ، فتدخل الحلقة بغلظة وناولني الكتاب فلما قرأته فاذا هو مزور على الكاهية فعلت أنها من العامل لشراسة أخلاقه وغلظة طبعه لما يعلم من غيرني على خلق العالم فيغيظني بذلك ، فأغلظ في القول فتهرت فانتهر ، وركب وركبت متوجهاً لأمير المؤمنين فمررت بالكاهية وأعدت له الخبر ولما رأي متوجها الى الحضرة أخذ بيدي وعاب العامل ، وحضر عنده الرسول وعابه وكلمه بلسانهم وأنا لأنهم وقل له : انه احتقر الترك وحط منهم ، فغدعن بكتاب للقائد أرسله اليه بعدم مطالبته من انتهى الى فلان بشيء وان فعلت فلا تلومن الا نفسك ، واضطجعتها علي حتى قدم على القائد واخترت بجوابه وملاحظته ، فانفق أن أعلم القائد أمير

المؤمنين بأني ضربت رسوله واهتمضت جنابه بملأ من الرعية لأحقه في أعينهم ويكون السكاهية شاهداً بذلك . فلما بلغ أمير المؤمنين ذلك ظن صدقهم فبعث يطلب من انتهى الي بمبلغ من المال ، ونبه في الكتاب على عدم قرب خدمي وإخوتي ومن اختص بناء فركب وهو مخمر وحضرني قبل أن أدخل حلقة الدرس فاستوقفني وأخبرني الخبر فسألت : من أمير المؤمنين أم منكم ؟ فقال من أمير المؤمنين ، فأجبت بالسمع والطاعة لما أراد بقتل أو غيره ، فقال بمال ، فقلت عامة ما علينا نعمه نأوئني الكتاب ، فناوئني ، فلما قرأته فاذا فيه التحريض على عدم قرب ساحتي فشكرت الله وأثنت على أمير المؤمنين وعلمت أنها خدعة موجهة تصديق أمير المؤمنين كاهيته حتى أوقع بحاشيتي ، وخاطبت العامل بلطيف القول . فلما سمع من القول ما نافي طبعه ظن أنني قلت له شراً فاخترط سيفه وضربني فحمانني الله من ثمره ودفعت له الطلبة وتوجهت الى الخصرة فلما قدمتها منعت الدخول يوماً وحجبت عنها وعزمت على الانتقال ، ثم أتاني منه جواب لطيف ورد علي ما دفعته عن حاشيتي ، وأمر بدخولي فحضرت بين يديه فلما شاهدته رأيت ماء الحياء يرشح من جبينه وتلطف واعتذر مما حل بي من الروع فكان من جوابه : فمن يوم أن حللتهم بجواري هل رأيتم مني ما تذكرهون ؟ ألم أزدكم احتراماً على ما لبيتكم من الاحترام قديماً ؟ ألم أفرض لكم من العطاء ؟ ألم أحرم زاويتكم على من يقصدها ؟ ألم أترك لكم وظيف ما تأخذونه من الاملاك الموظفة من أهل الخراج ؟ وردد على من نعمه مالا أستطيع أن أقبله الا بدعاء الله بمكافأته

فلما استتم ذلك أقررت له اقراراً معترف ، فرأيت منه ... أكرمه الله - أن تعدادها لالمنة ، وانما هو ليشكر فيزيد . فلما اعترفت بها زاد في الانعام ووعد

بالزيادة في العطاء ، وعمل بمقتضى الآيات التي كنت أُنشدتها حين توجهي اليه
وهي هذه :

جئناك للفضل فافسح يا أخاه ولا تدع من الفضل شيئاً للذي جاكا
هذا ابن غلبون من عودته كرما لدفع حادثة قد جاء يرجاكا
حلت به من عديم الذوق يحسبه من لم يخالطه انسانا ولا ذاكا
خاطبته بكتاب فيه مطلب ما ألفاظه عذبة شيمت بمعناكا
وقلت ان الذي للعلم نسبته ومن يليه فلا قطام خفاكا
تخالف الامر فيه بالاداء له وأنت تعلم من يؤذيه آذاكا
تريد اعزازه وهو يريد له ذلا خفيئذ في الملك ضاهاكا
بل استقل به لو كان شاركم لكان في بعض ما قد قلت راعاكا
ان تكفناه كفاك الله شر لظي وكان في جنة الفردوس مأواكا

فلما بلغته الآيات رفع يده عن العمل وأكرم أمثوانا . وهذا العامل
واضرابه في الشكل والعقل احدى المعائب التي يعدها العقلاء على أمير المؤمنين
لما يشاهدون من جماله ولطيف شمائله وسليم طبعه ، وزائد دهائه ، وهم على الضد
من ذلك : من جفاء طبع ومنكر فعل وعدم تمييز فيما يصدر من لفظ ودراية
بالسياسة كأنهم أصل البداوة ومنهم تفرغت ، وما دروا انه لا يقدمهم اختياراً
ولكن لغلبة الحياء عليه وتصلبهم واستشفاعهم بمن لا يسعه رد شفاعته من نديم
أو وزير فيوليهم رعيّاً لاغير وهو مضطرب ، ولو خلى ونفسه لتنزّه عن النظر اليهم
فضلا عن خطابهم أو يصنع اليهم باذن أو يلوّن عمله . « والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

لطيفة (١) حكى أن المأمون خلا مجلسه يوما من الشاكين وأرباب الخواج فدخل من دسكرة كان مختلئاً بها فوجد بعض الناس ممن يتصفون بالكتابة فنفز الى صورة مهولة المنظر فاستنطقه فلحن فأمر باخراجه ، فتلطف اليه بالشفاعة فيه فقال : من أدخل هذا دار الملك قصد تكثير معايننا : روح الحياء ان ظهرت كانت جمالا وان خفيت كانت أدبا ، وهذا لا أدب ولا جمال ، فأخرجوه ولام مدخله لوماً شديداً

وكم له من فضائل أبقاء الله تعالى موقفاً وأرشداه لمعائبه بتداركها بالحسنات آمين

فن فضائلة الدالة على تأييد السنة ما فعله مع رجل شريف مرعشي منقشب للعلم وفد عليه صفر الكف ، فلما حل بجواره كناه مؤنته وأقام في كفالته الى أن فارق حضرته فوصله بخمس ممالك ومائة دينار حمراء

وما فعله مع الفقهاء والعلماء : أبى الحسن على المكناسى ، وأبى العباس أحمد ابن الصغير وأخيه محمد المكناسيين لما قدموا عليه صفر الا كف فرض لهم في العطاء ، وأقام لهم ما يحتاجون اليه من قح ولحم وأدام حتى غدت أيديهم مملأى بالمال وله السياسة الفائقة على سياسة كسرى فلذلك طالت أيامه وساد ذكره حتى صار جداً في الملك

وله أولاد أنجاد ثلاثة : الأمير محمود باي صاحب ولاية برقة والأمير يوسف باي صاحب الخليل بين يدي أبيه ، والأمير محمد باشا .

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها السارى وقهم الله وأرشدهم ، لهم زائد لطف ورقة وشدة تواضع ، لم يؤثر عنهم تحبير

(١) مناسبة ذكر هذه اللطيفة ان طدل احمد باشا عنده من سوء الاخلاق ودماة الوجه ما يستوجب طرده لولا الوساطة مثل ما طرد المأمون ذلك الرجل لجهله ودماة خلقه

ولا غلظة ، مقتنون أثر والدهم أقر الله عينه بهم وخلد ملكهم وجعل منهم للإسلام خلفاء موقفاً آمين

وأما حسن صحبته لعبيده وحاشيته فهو في الغاية التي لم تؤثر عن ملك سوى القليل كالعز بن باديس ومحمود بن زكريا ، ومع هذا إذا كان لاحد قبيلهم حق شرعي ألزمهم الوقوف معه للشرعية ، فإذا ألزمهم الحق أدوه . ولو تبتعنا فضائله لعجز القلم عن الحصر . وفيما ذكرناه كفاية والله ولي التوفيق وهو المؤمل في اتمام النعمة عليه والحمد له بالسعادة والله على كل شيء قدير (١)



تنبیه ❦ — لم يذكر المؤلف متى انتهى من تأليف كتابه هذا . وقد ذكر بعد هذا خاتمة اشتمل على فائدتين : الاولى في حقيقة الملك وتوابعه ، والثانية فيما يحتاج اليه الملك من أعوان وسياسة . وقد ذكر في هذه الخاتمة احاديث كثيرة نحو ٤٠ صفحة كلها تتعاقب بفضل الرباط والمرابطين ، ومكائد الحرب وتعبئة الجيوش ونحو ذلك مما لا علاقة له بالتاريخ مطلقاً ، لذلك رأينا عدم ذكرها . وقد ذكر المؤلف أثناء هذه الاوراق الكثيرة نبذة لا بأس بذكرها ^(٢) ، وهي :
وقد ذكر بدر الدين العيني في تاريخه أن حد افريقية من الشرق قصر أحمد قرية هي آخر عمل افريقية ومنها تدخل البرية الى برقه ، وحدها من الغرب طنجة كذا ذكر اليكري حدها من جهة الغرب وذكر أن عرضها من البحر الى الرمال

(١) وجدت بطاقة الأصل هذه العبارة : وتولى الملك ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر . وتوفي رحمه الله سنة سبع وخمسين ومائة والف وتولى ابنه محمد باشا
(٢) هذه التنبؤة من شرح قول الناظم :

رويدا فلا تعجل بذلك التي تباهى بها الاسلام من غزواتها
وقد وجدت في شرحه ايضا بالاصل بسم احد عشر سطرا وقد ذكر المؤلف ما يدل على انه ذكر احاديث
تدل على فضل طرابلس وقد شطبت في هذا البياض فحذفنا ما يتعلق بها مما وجدناه مكتوبا لانه غير منسجم

التي هي أول بلاد السودان وهي جبال رمل عظيمة ومتصلة من المغرب الى المشرق وبها يصاد الفئك الجيد . فاذا علمت هذا فاعلم ان طرابلس من افريقية والعيان شاهد لذلك . واشتغال أهلها بالجهاد برأً وبحراً أشهر من أن يذكر ، فجهادها بحراً في الروم وفي البر في محاربي الاعراب

وقد نص مالك وغيره من أصحابه الا ابن حبيب على ان جهاد المحارب أفضل من جهاد العدو وان ورد النص بمزية الثاني عن الاول اذ المزية لا تقتضى الافضلية قال الناظم :

فلا تهيج أمماً للشغور حنونة كفاها مديحاً عدم هفواتها

الآلف واللام في الشغور للهدوء ، والمعهود هنا شغور المغرب . وامومتها لها من حيث أنها أول شغرت فتح فيه بلاخلاف بين المؤرخين وموتها افتتحت شغوره في الاصل . وحنانها من حيث جفنها من أمور المعاش مالم يجمعه غيرها : فقد جمعت النخل والزيتون والتين والسكرم والحراث فلا يستولى على أهلها قحط بخلاف غيرها من بلاد المغرب [وما ذكرناه من أنواع الشجر] قائم لا أهلها مقام النيل من حيث الوثوق بتخصبه بل هو أقوى

ويكفي أهلها من الفضل انها رباط لمن قد قام في حجراتها

ثم ساق في فضل الرباط من الاحاديث الشيء الكثير

والى هنا انتهى ما ذكره ابن غلبون بشأن التاريخ ، والله يتولاه برحمته ، ويجازيه عن عمله هذا أحسن الجزاء



هذه قصيدة الأديب الفاضل الشيخ أحمد بن عبد الدائم

الانصارى الطرابلسى

وهي القصيدة التي أنشأها في مدح طرابلس ردا على ما وصفها به العبدى
في رحلته من أوصاف لا تتفق مع الحقيقة (١)

وقد شرحها الاستاذ أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون ، وصحى شرحها
التذكار ، وهو كتابه هذا . قال الاستاذ أحمد بن عبد الدائم :

أرى زميناً قد جاء يفتنص الممها	بلا جارج والاسد في فلواتها
رأى القيض مبيضا بمنزلة الحى	فقال كفى إن من صفاتها
أنى أهله يهوى وبشر أنه	بربة من خليانها ومهاتها
فألقي قشوراً باليات وقد رمى	بدائه أرباب الخصى من نهاتها
كن رام أن يرى العليل بحية	وزارع شوك يرنجى ثمراتها
الا أيها النحريرة عن مذمة	فما فى الأوانى بان من قطراتها



طرابلس لا تقبل النعم أنها	لها حسنات جاوزت سيئاتها
إذا أمها من قد فاته بلادها	وأوحشه ذوأمرها من حمايتها
تطامن عن نفس ومال وعشرة	ويضحى بمن ماثوى بجبهاتها
فكم من ديور أخربت وكنايس	وكم من حصون حوصرت بسراتها
وكم من بلاد للصليبي مركز	أحاطوا بها ليلاً فأفنوا طغاتها
وكم من جوار للكوافر ضيقت	على سفن الاسلام من نفحاتها

قد أضحت يمرسها أسيرةً فلكنها وعسكرها في جبرها من حفاتها

وكم من أويسي بها ذي معارف وكم من جنيدي على شرفاتها

بها فضلاء ما الفضيل يفوقهم فوارس انجاده وهم من ححاتها

قد اختارها الزروق داراً وموطناً كذا ابن سعيد مقتد بهداتها

تواترت الاقطاب تترى بارضها وكم سيد رام المقام بذاتها

بها علماء عاملون بعلومهم خول عن الاظهار في خلواتها

ولم تر غشاقط من جمع أهلها ولا قسماً في بيهم من جفاتها

إذا حان وقت الصلاة رأيتهم سراعاً وخلوا الريح في قرصاتها

رويداً فلا تمجّل بدمك لقي تباهى بها الاسلام من غزواتها

بها ملك أندى من السحب راحة وأرأف بالاغراب من والدتها

له همة تملؤ لتأييد سنة بحفظ مبانيها وجمع رواتها

أعمرك تلقى سوء قصدك عاجلاً وتسلم نور العلم من بركانها

فتب وانتصح لله ان كنت عارفا ودع سوء ما أبديته من صفاتها

فلا تهج أمّا للثغور حنونة كفاها مديحاً عديم هفواتها

ويكفي أهلها من الفضل انها رباط لمن قد قام في حجراتها

نجاءك يا شرق نسعى فراعها وكن منصفاً ثم آجن من ثمراتها

وصل وسلم يا الهى على الذي نهى عن حفاظ النفس مع شهواتها

انتهى

فهرس التذكار

صفحة		صفحة	
١٧٥	أبو محمد بن أبي الدنيا	١٠	انطابلس
١٧٦	أبو الحسن الهواري	٦٦	أبو بكر بن عمر
٢١٠	آثار أحمد باشا	٩٣	أول دخول الترك طرابلس
	ب	٩٤	أصل آل عثمان
		١١٣	الامير عمر المقدسي
١٩٠، ١٦٣، ١٦٢، ١٦٣	أبيات القصيدة التي شرحها المؤلف	١١٤	الأمير محمد بن جهيم
٥	البيع	١٣٣	أصل الارنؤود
١٣	برقة	١٣٥	آق محمد
١٣	بنغازي	١٤٤	أسر خليل القازداغلي
١٧	بناء مدينة القاهرة	١٥٦	ارم ذات العماد
١٧	بناء الازهر الشريف	١٦٢	أمير المؤمنين
٣٣	بحاية	١٦٥	أبو الحسن بن النثر
٣٧	بكر بن كامل الدهماني	١٧٥	أبو موسى بن عمران الهواري

صفحة

٢١	دولة بني عبيد
٢٤	دخول العرب افريقية
٢٤	دؤلول ابنة الرقيم
٧٢	دِرِن
٩٣	دخول الترك فزان
١١٣	دخول الترك غات
١٢٨	درنة
١٣٠	دار الندوة

هـ

١٢	هواره
٢٦	هزيمة المعز بن باديس وصنهاجة أمام العرب
٣١	هزيمة حمو أمام تميم
٧٧	هرغة
١٣٧	هون
١٤٥	الهيشة
١٤٩	هزيمة علي بن المكني
١٥٠	هزيمة عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي

صفحة

٥٩	بنو ذباب
١١٠	استبعاد عثمان باشا
١١٣	ابن فوح المصري
١٣١	بناء برج الشعاب
١٤٠	ابن فاشلوم عمر ومحمد
١٤٨	بيعة أهل فزان تمام بن محمد
١٤٩	ابن وليد
١٧٣	ابراهيم بن امماعيل الاجداني

ج

٢٢	الجر جرائي
٤٥	جورجي قائد رجاء
١١٠	جبر بن موسى الشاورفي
١٣٣	جبلة بن الایم
١٣٧	الجدید
١٥١	جبل نفوسة
١٥٤	جامع محمد باشا الامام
١٥٤	نجدید السواقين المحدثين بجامع محمد باشا الامام

د

١٠	دخول البربر بقرقوارض المغرب
----	-----------------------------

صفحة	
٦٠	استيلاء ابن غانية على بجاية
٦٢	وفاة علي بن غانية
٦٣	استيلاء يحيى بن غانية على طرابلس
١٣٧، ٦٤	ودان
٦٤	أولاد محمود
٦٩	وفاة يوسف بن تاشفين
٧٣، ٧١	» ابن عباد
٨١	الونشريسى
٨٢	وفاة المهدي بن تومرت
٨٣	ولاية عبد المؤمن بن علي
٨٣	استيلاء عبد المؤمن بن علي على مراكش
٨٦	{ ولاية عبد الله بن عبد المؤمن على بجاية
٨٦	وفاة عبد المؤمن بن علي
٨٧	» يوسف بن عبد المؤمن
٨٨	ولاية المنصور يعقوب بن يوسف
٨٩	وقعة تاجرًا
٩٢	استيلاء صاحب جنوه على طرابلس

صفحة	
١٤	ودان
٢٨	وفاة المعز بن باديس
٢٩	ولاية تميم بن المعز بن باديس
٣٧	وفاة تميم بن المعز
٣٥	استيلاء تميم بن المعز على طرابلس
٣٩	ولاية يحيى بن تميم
٣٩	وفاة يحيى بن تميم
٤٠	ولاية علي بن يحيى
٤١	وفاة علي بن يحيى
٤١	ولاية الحسن بن علي
٤٦	استيلاء جورجى على المهديّة
٤٧	استيلاء عبد المؤمن على بجاية
٤٩	» رجار على طرابلس
٥٢، ٥٠	{ ولاية رافع بن مطروح على طرابلس
٥٣	{ استيلاء الافرنج على طرابلس واقتداؤهم
٥٩	استيلاء قراقش على طرابلس

صفحة		صفحة	
١٢٩	ولاية ابراهيم مصرلى أغلى	٩٣	وفد تاجوراء الى القسطنطينية
١٣١	» ابراهيم شلبي انيلي	٩٣	ولاية مراد أغا
١٣٢	» مصطفى الكبير	٩٤	» طورغود باشا
	الاستنكويلى	٩٨	وفاة مراد أغا
١٣٣	» عثمان وكيل الخرج	٩٨	» طورغود باشا
١٣٣	» آق محمد الحداد	٩٩	ولاية يحيى باشا
١٣٦	» حسن عباره	١٠١	أولاد نویر
١٣٨	» يلك محمود	١٠٢	ولاية سليمان داي
١٣٩	» على الجزائري	١٠٤	ولاية شريف باشا
١٤٠	» الحاج عبد الله الازميرلي	١٠٤	وفاة محمد الصيد
١٤٢	» ابراهيم التريزي	١٠٤	ولاية رمضان داي
١٤٢	» محمد باشا الامام	١٠٦	» محمد باشا الساكلى
١٤٩	استيلاء محمد بن جهيم على مركز	١٠٨	» عثمان باشا
١٥٠	وادي حسان	١١١	وادي الآجال
١٥١	ولاية عثمان القهوجى	١١٥	وفاة محمد بن جهيم
١٥٢	» الحاج مصطفى غلبولى	١١٦	وجلة
١٥٣	» خليل باشا فازداغلى	١٢٠	ولاية الترك عمالا كفارا
١٥٤	الوحشة بين محمد باشا الامام	١٢٨	ولاية عثمان يس الشوهلى
	ومحمد باى تونس	١٢٨	» بالى شاوش
١٥٩	ولاية ابراهيم الاركلبي	١٢٩	فاة بالى شاوش
١٦٠	» اسماعيل خوجه	١٢٩	ولاية مصطفى بهلوان

صفحة	صفحة
٤٨	١٦١ ولاية الحاج رجب
٦٢	١٦١ » محمود أبي أميس
٧٠	١٦١ » أحمد باشا قرمنلي
١٠٣	ز
١١٣	٢٧ زويلة تونس
١١٤	٥٨ » فزان
١١٦	٥٩ زعب
١٤٤	٧٠ زيق بنت إسحاق النفزاوية
١٥٦	١٥٢ الزعفران
١٦٧	١٦٣ زيادة الله بن الاغلب
١٧٠	١٦٨ زهير بن قيس البلوي
١٨٠	١٩٢ زوارة
١٨٠	ح
١٨٠	٤ الحميم
١٨١	١٦٤ ١٤ حصار طرابلس
١٨٢	٢٩ حمون مليل
١٨٨	٣١ حروب الناصر بن غلنكاس
٢٠٢	مع العرب وهزيمته
	٤٢ حصار اسطول رجار المهدية

صفحة

م

٩	المدن الثلاث
١٢	مراقبة
١٣	المرج
١٣	المدن الخمس
١٩	المعز لدين الله
٢٥	المعز بن باديس
٢٧	المهدية
٢٨	مدة ملك المعز بن باديس
٣٣	محمد بن البعيج
٣٦	ملك شاه
٣٦	محمد بن خزرون
٣٨	محاسن تميم بن المعز
٣٨	مدة ولاية تميم بن المعز
٣٩	» » يحيى بن تميم
٤١	» » علي بن يحيى
٤٦	محرز بن زياد
٥٨	{ محمود بن خطاب الهواري
	{ صاحب زويلة
٥٩	مسعود بن زمام

صفحة

ط

٧	طرابلس
١١٣٤١١١٤١٠٣	الطاهر صاحب فزان
	ي
٦٣	ياقوت المعروف بالافتخار
٦٤	يحيى بن غانية
٦٨	يوسف بن تاشفين
١٦٤	اليك المعظمة عند النصارى

ل

٤	الكلاء
١٧	كافور الاخشيدي
٤٣	كتاب تهنئة للحسن بن علي
١٦٧	كاهنة افرقية (كاهنة لوانة)
	ل
١٢٤٩	لبدة
١٢	لوبة
٥٨	التمحاق قراقش بزويلة
١٦٨	لجَم

صفحة	صفحة
١٢٧	موت عثمان باشا
١٢٩	مصراته
١٤٥١٤١	منصور بن خليفة الترهوني
١٤٦	موت منصور بن خليفة الترهوني
١٤٧	مصطفى البسكري أبوخشم
١٤٨	محمد الغزّيل بن المكّي
١٤٨	{ موت محمد الغزّيل بن المكّي والتّثيل به
١٥٤	محمد باشا الامام
١٥٨	مزدة (بلد)
١٧٩	محمد بن أحمد الامام
١٨٢	محمد بن مقبل
١٨٣	محمد بن مساهل
١٨٧-١٨٥	مناظرة بين المؤلف والشيخ
	محمد النعاس التاجوري
١٩٦	محاربة أحمد باشا فزان
٢٠٢	محمد بن مصطفى الماعزي
٢٠٢	محمد بن محمد بن مقبل
٢٠٢	محمد بن أحمد المكّي
٢٠٣	محمد بن عبد الحفيظ النعاس
٦٢	{ محمود بن طوق بن بقية جد المحاميد الاملى
٦٣	محسن (وادي الهيرة)
٦٣	ميورقة
٦٥	الملثمون
٦٨	موت أبي بكر بن عمر
٧١	المعتمد بن عباد
٧٧	المصامدة
٧٧	المهدي محمد بن تومرت
٨٧	مدة ولاية عبد المؤمن بن علي
٨٧	» يوسف بن عبد المؤمن
٩٩	موت يحيى باشا
١٠٠	ماي والى فزان
١٠٠	موت الناصر صاحب فزان
١٠٣	موت المنصور صاحب فزان
١٠٤	محمد للصيد
١٠٥	محمد باشا الساكلى
١٠٦	مريم بنت فوز الشبلية
١٠٧	موت محمد باشا الساكلى
١١٢	مندرة
١١٤	مرزك (مرزوق)

صفحة

- ١٥٨ انتقاض عبد الله بن عبد النبي
على خليل باشا
١٦٠ نفي ابراهيم الاركللى الى
الاسكندرية

س

- ١٥ سَبَرْتُ (صبره)
١٥ سروس « شروس »
١٦ سور مدينة طرباس
٣٩ سبيطة
٣٩ سوسة
٣٢ سبيية
٥٣ سبب انتقال قراقش الى افريقية
٥٨ سنترية
٦٨ سبب التزام الملتزمين الاثام
١١٤ سلطان بن مرعي النيباني
١٣٧ سوكنة
١٥٣ سعيد بن المنتصر المرموري
١٦٧ سعيد بن خلفون الحسانى
(أبو عثمان)
١٦٩ سَمْدُونَةُ (اسم امرأة)

صفحة

- ٢٠٣ محمد بن عبد الله بن أحمد غلبون
٢٠٤ محمد بن العربي

ن

- ١٥ نبارة
نقض المعز بن باديس عهد
٢٣ النعمانيين ، ودعوته للخليفة
العباسي ببغداد
٤٣ انتصار الحسن بن علي على
جيش رجار
٦٥ نسب الملتزمين
الناصر بن المنتصر
١٠٠ ١٤٧٦ صاحب فزان
١٣٧ النجيب بن محمد بن جهيم
صاحب فزان
نفي علي الجزائري الى بلاد الترك ١٣٩
نقض محمد الامام الصالح الذى ١١٤
عقده عبد الله الازميرلى
مع الاسبان
١٤٥ انتصار منصور بن خليفة
الترهونى على الترك

صفحة		صفحة	
٦٧	قتل عبد الله بن يس	١٤٠	افتداء طرابلس من الاسبان
٩٩	قصر قراقش	١٥١	فساطو
٩٩	قراقش	١٧٠	فضيل بن عياض
١٠١	قتل يحيى بن يحيى السويدي		
١٠٢	قتال المنصور صاحب فزان		
	مع الترك		
١٠٣	قتل حسن النعمال عامل فزان	١٩٠	صبره
١٠٤	قتل شريف باشا	٤٤	صقلية
١٠٧	قتل مريم الشبلية	٧٩	الصورة أخت علي ابن يوسف
١١١	قتل أولاد جبر بن موسى التاورغي		ابن تاشفين
»	قربة أولاد شوشان	١٠٣	صلب سليمان داي
١١٢	قبر عون	١١٤	الصلح بين محمد باشا ومحمد بن جهيم صاحب فزان
١١٦	قبر عبد الله بن سعد بن أبي سرح		
١٣٨	قتل النجيب بن محمد صاحب فزان		
»	القبض على الناصر صاحب فزان		
١٤١	قتل أولاد فشوم : عمرو ومحمد	٢٥	قدوم امراء العرب على المعز
١٤٢	قتل مراد الغوشلي	٤٣	قصر الدماس
١٤٩	القصر الاحمر بسمة	٥٤	قلمة الشوبك
١٥٣	قتل مصطفى غلبولي	٥٤	قلمة الكرك
١٥٩	قتل عبد الله بن عبد النبي	٦٢	قصر المروسيين
		٦٤	قتل قراقش

ق

صفحة

ت

- ٢٦ توجه العرب الى افريقية
٤٥ تسليم الحسن المهدية
٦٨ تأسيس مدينة مراکش
٧٧ تومت
٨٠ تينمل
٨٤ اتفاق العرب على محاربة عبد
المؤمن ورفضهم مساعدة رجاء
٩٤ تاجوراء
٩٩ تغلب حجاج على غريان
١٤٥، ١١١ تاورغاء
١٦٥ تاجر من بلنسية يسأل طرابلسياً
عن بلده

ث

- ٢٤ الاتيج
٥١ ثورة أهل طرابلس على النصارى
١٠١ ثورة يحيى بن يحيى السويدي
١٠٢ ثورة نبال
١٠٢ ثورة عبد الصمد

صفحة

- ١٦١ قتل الحاج رجب
١٦٧ قرية حسان : قصور حسان
١٩٢ قتل خليل قازد اغلى
٢١٨ قصيدة ابن عبد الدائم
٦ الربة
١٦ رقادة
٤٠ رافع بن بكر الدهماني
٥٩ الرشاطي
١١٣ رات (غات)
١٤٠ رمى الاسبان مدينه طرابلس
بالمداقم

ش

- ١٥ شروس « شروس »
٧٤، ٧٣ شعر ابن هباد
٨٧ شنترين
١٤٠ شروط الاسبان على أهل طرابلس
١٤٥ شروط الصلح بين محمد الامام
والاسبان
١٥١ شكشوك

صفحة

صفحة

خ

٩٧	خروج الملائين من الصحراء الكبرى الى السوس الاقصى	١٠٢	ثورة تاجوراء و بنورقيمة
٩٩	خودة بنت شرومة	١٢٦	الثورة على عثمان باشا
١٠٣	خراب قرية تاجوراء	١٣٥	الثورة على آق محمد
١١١	الخرمان	١٣٦	ثورة المحاميد على آق محمد
١٤٧	خدع الناصر صاحب فزان	١٤٨	ثورة أهل فزان على محمد الغزِيل بن المكفي
	والقدرية	١٥٦	ثورة أهل غريان على خليل باشا
١٥١	خلم محمد الامام	١٥٨	ثورة ابراهيم أليل بالمدينة على خليل باشا
١٥٣	خروج غريان على طاعة مصطفى غلبولي	١٦٠	ثورة الاعراب مع محمد الانضولي على ابراهيم الاركلي
١٥٧	خليل باشا قازداغلي	١٦٨	محمد حسان
١٦٧	خطاب البرقي (أبو نزار)	١٩٣	ثورة أهل تاجوراء
١٧٣	خدّام الزروق	١٩٤	د ابن حسين الكول اغلي
		١٩٤	د على بن حميد الله الصنهاجي (أبو قبيلة)

ذ

١٩٧	ثورة ابراهيم الترياق وعلى ابن خليل الادغم
١٩٩	ثورة ابن الرئيس

صفحة	صفحة
غ	ض
٦	ظ
٧١	أغاث
١١٣	غاث ، أو (رات)
١١٧	غدر عثمان باشا بأهل أوجلة
١٢٧	غدر عثمان باشا بوفد الامان
	٧٧ ظهور دولة الموحدين
	ظلم عثمان باشا وارهاقه الالهالى
	١١٩ ، ١١٨ بالضرائب

تصحیح

وقع في صفحة ٢٤ سطر ٩ كلمة « اتبعت الرقم » وهي خطأ . وصوابها -
« ابنة الرقم » - وفي صفحة ١٤٣ سطر ١٤ كلمة « ضرك بضاد مهملة »
وهي خطأ صوابها صرك بضاد مهملة - وفي هذه الصفحة سطر ١٦ « بصباد
معجمة » وهي خطأ ، وصوابها « بصاد مهملة »